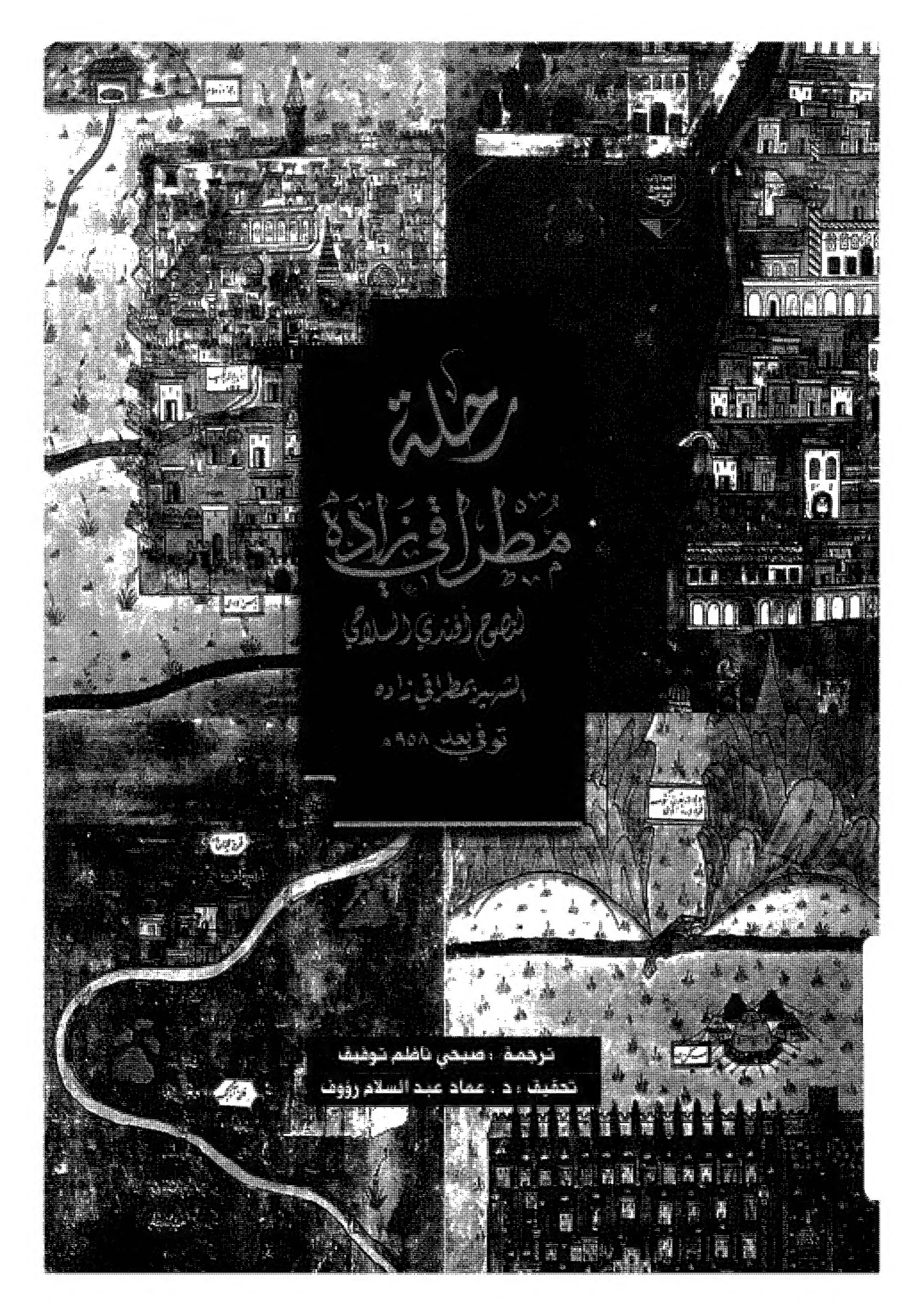

رحلة
مطراقي زاده
نصوح أفندي السلاحي
الشهير بمطراقي زاده
توفي بعد ٩٥٨ هـ
ترجمة : صبحي ناظم توفيق
تحقيق : د . عماد عبد السلام رؤوف



رحلة مُطراقي زاده

لنصوح السلاحي الشهير بمطراقي زاده

(توفي بعد 958 هـ)

ترجمة

صبحي ناظم توفيق

تحقيق

د. عماد عبدالسلام رؤوف

913.5
م ط ر ح
مطراقي زاده، نصوح بن عبد الله.
رحلة مطراقي زاده/ لنصوح السلاحي؛ ترجمة صبحي ناظم توفيق؛
تحقيق عماد عبد السلام رؤوف.- أبوظبي: المجمع الثقافي، 2003.
192 ص.
1- معاجم البلدان.
2- الرحلات.
3- العالم القديم - جغرافيا.
4- الحرب العثمانية - الصفوية (940- 941 هـ).
أ- صبحي ناظم توفيق، مترجم.
ب- عماد عبد السلام رؤوف، محقق.
ج- العنوان.
د- عنوان: منازل سفر العراقين للسلطان سليمان خان.

أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380- هاتف: 6215300
Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae



رحلة مُطراقي زاده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الهادي الأمين، وآله الكرام الطاهرين ، وصحبه المنتجبين.

وبعد، فيسرنا أن نقدم لقراء العربية، الترجمة العربية الكاملة، والمحققة، لوقائع الرحلة التي قام بها الأديب المؤرخ نصوحي السلاحي الشهير بمطراقي زاده، صحبة الحملة الكبرى التي قادها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م لفتح العراق، بدءاً من نقطة انطلاق الحملة في القسطنطينية، مروراً بكوتاهية، فقونية، فوان، في الأراضي العثمانية، ثم تبريز ، فهمذان، فقصر شيرين، فبغداد، وصولاً إلى الحلة فالنجف، فكربلاء، من الأراضي التي كانت تحتلها الدولة الصفوية عهد ذاك.

المؤلف

هو نصوح أفندي السلاحي، ابن عبد الله قرة كوز، الشهير بمطراقي زاده، مؤرخ ورحالة ورياضي، أصله من قصبة (فيسكوف) في ولاية البوسنة يوم كانت جزءاً من الدولة العثمانية، تقدّم في الوظائف العسكرية، ومهر في فنون الفروسية، وفي ألعاب الأسلحة الشائعة في ذلك العصر، حتى اكتسب لقبه (المُطراقي) بضم الميم، وهو الدرع المغلف بالجلد الذي كان يستخدمه الفرسان في قتالهم، وفي ألعاب الميدان أيضاً. ولمهارته في فنون الكتاب والحساب، وثقافته التاريخية والجغرافية الواسعة، فقد ضم إلى الخدمة في قلم الديوان الكبير كاتباً، وَصَاحَبَ السلطان سليم الأول في حملته العسكرية على دولة المماليك في مصر والشام سنة ٩٢٦-٩٢٧هـ ، كما صَاحَبَ السلطان سليمان القانوني في معظم حملاته العسكرية ، ومنها حملته على الدولة الصفوية في إيران سنة ٩٤٣هـ، وحملته على البغدان (رومانيا)، وحملته التي انتهت بفتح (شقلوش واسترغون وأرستوف وبلغراد)، وغيرها، ويظهر أن أمر براعته في التأليف والرسم قد اشتهر عهد ذاك حتى كلف

بمهمة تسجيل وقائع الحملات العسكرية التي شارك فيها، وتزيينها بالصور الملونة التي تمثل المدن والقصبات التي مرّ بها الجيش، أو التي فتحها . وفي الواقع فإنّ مواهب نصوح تنوعت تنوعاً مدهشاً، فهو مؤرخ متقن، وفارس ماهر، وجغرافي واسع المعرفة، وشاعر بليغ، ومترجم ضليع، ومهندس عسكري بارع، ورياضي مصنف. وله في معظم هذه الجوانب مؤلفات قيمة تكشف عن إحاطته بتلك المعارف والفنون على ما انتهت إليه في عصره.[1] ومن غير المحدد تاريخ وفاته، ويذكرها حاجي خليفة[2] أنها جرت سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٣م، وليس ذلك بصحيح، فإنه فرغ من تأليف كتابه " منازل العراقين" سنة ٩٤٥، وأكمل ترجمته لتاريخ الطبري بذكره الحوادث على السنين، حتى سنة ٩٥٨، ووصل في تاريخه المسمى " تواريخ آل عثمان" إلى حوادث سنة ٩٦٨هـ على ما سيأتي بيانه.

ومن مؤلفاته التي وصلت إلينا :

١- مجمع التواريخ. وهو ترجمة لتاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري، ترجمه عن الأصل العربي مباشرة، بينما سبقته ترجمتان نقلتا من الترجمة الفارسية التي قام بها الوزير ابو علي محمد بن عبد الله البلعمي. أشار إليه حاجي خليفة بقوله :" تركي لبعض الكتاب، من بدء الخلق إلى بناء الكعبة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، أوله حمد وثنا أول مبدعه كه..."وفي حاشية على نسخة من كشف الظنون عبارة بالعربية جاء فيها" صافي نصوح الشهير بمطراقي، وسماه بمجمع التواريخ مرتباً على الجلدين، فالأول من ابتداء العالم إلى انتهاء زمن الملك أنوشروان، والثاني من ولادة سيد ولد بني عدنان" [3]. والمهم أنه اضاف إلى هذه الترجمة ذيلاً من تأليفه أتم فيه حوادث السنين التالية حتى عهده، سنة ٩٥٨هـ/١٥٥١م.

٢- سليمان نامه . ألفه باسم السلطان سليمان القانوني، وتناول فيه أخبار الحملة الأولى

١- Yurdaydhn, Husyin G., Beyan- I Menazil- Sefer- I Irakeyn, Ankara 1976, p.t.-7

٢-كشف الظنون ١٦٠٢.

٣- توجد هذه النسخة في مكتبة المتحف البريطاني، انظر يور دايدن ص٣.

التي قام بها هذا السلطان في إيران سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م.

٣- فتحنا (مهء قره بوغدان)، أي فتوح قرة بوغدان (رومانيا) تناول فيه وصف المنازل التي مَرَّ بها السلطان سليمان القانوني حين غزا هذه النواحي. فرغ من تأليفه في ٢٣جمادى الآخرة سنة ٩٤٥هـ/١٦تشرين الثاني ١٥٣٨م.

٤- تاريخ فتح (شلقوش واسترغون وآرستوف بلغراد). كتبه برسم السلطان أثناء حملته لفتح هذه المدن، أثناء السنتين ٩٤٤-٩٥٠هـ.، أوله " جون أول سلطان كبير ومالك ملك القدير ومدبر بي وزير.. " منه نسخة في مكتبة طوب قابي باستانبول.[١]

٥- تواريخ آل عثمان، وهو في التاريخ العثماني خاصة، وصل به إلى حوادث سنة ٩٦٨ / ١٥٦١م، وقد نسب تأليفه إلى الوزير رستم باشا. ومنه نسخ عدة في (أوكسفورد وكمبردج) وغيرهما.

٦- تحفة الغزاة، وهو يتناول فنون الفروسية واستعمال الأسلحة المعروفة في عهده، ألفه سنة ٩٣٦و٩٣٩هـ/١٥٢٩-١٥٣٢م.

٧- عمدة الحساب في الفروض المقدرة بالكليات . ألفه سنة ٩٢٣هـ/١٥٤٧م. أشار اليه مؤلف كتاب كشف الظنون[٢]

٨- جمال الكساب وكمال الحساب. ذكره حاجي خليفة بهذا العنوان، وقال: إنَّهُ برسم السلطان سليم الأول، ورتبه على قسمين، الأول فصول، والثاني مسائل متفرقة، وفرغ منه في صفر سنة ٩٢٣، أوله " الحمد لله الذي عجز عن عد نعمه. [٣]ومنه نسخة في مكتبة جامعة استانبول عنوانها " جمال الكتاب.. " .

٩-بيان سفر العراقين. وهو الكتاب الذي نقوم بنشره الآن.

١- Karatay, Fehmi Edhem : Topkapi sarayi Muzesi Kutuphanesi, C.I,667.

٢-كشف الظنون ١١٦٦.

٣- كشف الظنون ٥٩٤.

الكتاب

كتب نصوح السلاحي مطراقي زاده كتابه" منازل سفر العراقين للسلطان سليمان خان" ليكون سجلاً مفصلاً لوقائع حملة السلطان سليمان القانوني على الدولة الصفوية خلال السنتين٩٤٠ و ٩٤١هـ وتتمثل أهمية كتابه هذا بأمور ، منها :

١- وصف بتدقيق مدهش منازل أو مراحل ، الطريق الذي سلكته الحملة بدءاً من مغادرتها (اسكدار)، في الجهة الآسيوية من القسطنطينية ، وحتى وصولها تبريز، عاصمة الصفويين، ومنها إلى بغداد، فحلب، ثم ديار بكر، وصولاً إلى (اسكدار) ثانية .فقدّم بذلك تفاصيل جديدة عن طرق المواصلات التي كانت تربط بين المدن الرئيسة في بلاد المشرق الإسلامي إبّان ذلك العصر، وعين أسماء عشرات القصبات والقرى والقلاع والجسور والأنهار والجبال والتلال والصحاري، الواقعة على تلك الطرق، وحدد مواقعها بدقة، ووصف طبيعتها التضاريسية والمناخية، وأثبت المسافات بينها بالفرسخ، وهو وحدة الطول المستعملة في قياس المسافات الطويلة عصر ذاك . وبذا فإن الكتاب يعد وثيقة نادرة، ومهمة ، توثق وجود كثير من تلك المواقع، وتعين أسماءها القديمة، وتعرف الباحث على ملامحها كما بدت للمارّين بها في النصف الأول من القرن العاشر للهجرة(السادس عشر الميلادي)، وهي حقبة تَعُزُّ فيها المصادر العربية التي تبحث في مثل هذه الشؤون .ويبلغ عدد هذه المواقع نحو تسع مئة، تنتشر على منطقة واسعة من أراضي الأناضول وإيران والعراق وبلاد الجزيرة الفراتية .

٢- سجل شهادة نادرة لوقائع الحرب العثمانية - الصفوية، كما رآها بنفسه، فهو شاهد عيّان صحب الجيش، واقترب بحكم مهمته من السلطان، صانع القرار، ولذا فليس غريباً أن يأتي وصفه للمعارك التي دارت بين السلطان العثماني والشاه الإيراني مفعماً بالحيوية، معبراً عن روح الأحداث الدائرة بدقة ملحوظة، على أنه يجب علينا أن نتذكر أن المطراقي زاده لم يكن مؤرخاً محايداً وليس من المعقول أن نتوقع منه ذلك، فهو يلتزم وجهة النظر العثمانية بشكل مطلق، ومع ذلك فإننا وجدناه في مواضع عديدة يذكر

الحقائق كما تتطابق مع المصادر الأخرى، أو يدعنا نتصور الوقائع كما جرت فعلاً بفضل ما يسوقه من معلومات تفصيلية، ومنها تسجيل تواريخ وقوعها بدقة، ووصف طبيعة الأراضي التي جرت فيها. .الخ، لأنه كان فناناً تشكيلياً فقد حفل حديثه عن ساحات القتال والطرق التي كانت تسلكها الجيوش المتحاربة بأوصاف خلابة عن أصوات المحاربين، وجلبة نقل المعدات، ولمعان الأسنة والسيوف، وامتقاع الوجوه، وتضمخ الدروع بالدماء القانية ، وما إلى ذلك من أوصاف يكاد بها القارئ يرى المعارك تستعيد صورها أمام ناظريه.

٣- ومما يزيد من أهمية الرحلة إلى حد كبير لا يدانيها فيه أية رحلة أخرى، ضمها عدداً كبيراً من الصور الملونة التي أبدعتها ريشة المطراقي وفرشاته وألوانه الخلابة، رسم فيها المدن والقصبات والحصون والخرائب الأثرية والخانات والممرات الجبلية والأضرحة والمباني المختلفة والقرى، والمضايق والمياه والعوارض الطبيعية والحيوان، على نحو بالغ الاتقان، حتى يمكن القول إنَّ هذه الصور تمثل وثائق عالية القيمة لا غنى عنها في دراسة تخطيط المدن الإسلامية والأبنية الرئيسة إبَّانَ القرن العاشر للهجرة (السادس عشر الميلادي) ، وهي الحقبة التي تمثل مرحلة انتقال حقيقية من العصور الإسلامية الوسطى إلى العصور الحديثة. وسيجد الباحث في هذا الصدد أن هذه التخطيطات جاءت متشابهة إلى حد كبير، باستثناء ما تمليه البيئة الجغرافية والمناخية نفسها، في مدن الأناضول وايران والعراق، مما دَلَّ على وحدة العمارة الإسلامية، أو تشابه خصائصها، حتى ذلك العصر. وعلى أية حال فإن المطراقي قد أوضح الكثير من التفاصيل الخاصة بهذه المواضع، من خلال صوره ، في الوقت الذي سكت عن وصفها في رحلته. وقد أثبت الاستاذ (تيتشنر)، في دراسته للصور الخاصة باستنبول وقونية وآمد وتبريز وسلطانية أن المطراقي كان يستند في رسمها على المشاهدة المباشرة، ويمكننا أن نقول بذلك أيضاً في تصويره لمدينة بغداد والحلة أيضاً، ففي صورتي هاتين المدينتين من الدقة ما يبعث على الانبهار، حيث يبرز في أولاها جانبا المدينة، الشرقي والغربي، وفيها تبدو القباب المخروطية

المعروفة بالقباب السلجوقية ظاهرة على مراقد عدد من المشاهير فيها . كما يظهر النخيل في الأجزاء الخالية من المدينة، ويبدو شاطئ النهر وقد شُيِّدَ عليه سور محكم ذو أبراج، وعلى النهر جسر منصوب على زوارق، إلى غير ذلك من التفاصيل التي في وسعنا الجزم بوجودها في ذلك العصر. وكذا الحال في مدينة الحلة، ومدن أخرى . ولم يكتف المطراقي بصوره للمدن فحسب، وإنَّما انساق وراء رغبته في التبرُّك بأضرحة الأولياء الموجودة داخل أسوار تلك المدن، أو في جوارها، فرسم صوراً مستقلة لكل ضريح من تلك الأضرحة، وبخاصة في بغداد والنجف وكربلاء، ولا نشك في أن تصاوير كهذه تصلح أن تكون مادة مهمة لدارس فنون العمارة والبناء في العراق في الحقبة التالية لزوال الخلافة العباسية . ويهتم المطراقي على نحو خاص برسم عناصر البيئة المحلية الطبيعية، ففي مناطق الأناضول تبرز أشجار السرو بكثرة، وتبدو الغابات واضحة، بأشجارها العالية في ضواحي المدن وعلى الطرق المؤدية اليها، وتكون الأرض مكسوة بالعشب الغامق والخضرة. وفي بعض المناطق منه، تبرز الأعشاب الطويلة على حوافي الأنهار، وأنواع من الزهور البرية تغطي الفضاء، أو تظهر أشجار الزيتون، وأنواع أخرى من الشجر. أما في وسط العراق، فتظهر الأرض المتروكة، وأشجار النخيل، ووفرة الأنهار الفرعية. ومن ناحية أخرى، فإنه رسم ، في صوره، أنواعا من الحيوانات التي كانت تكثر في بيئة ذلك العصر، كالغزلان، والأسود وغيرها. ويلاحظ أنه لم يرسم بشرا في رحلته، عملاً بالتقليد الإسلامي المعروف بهذا الشأن ، وبذا فقد ضاعت فرصة التعرف على أنواع الأزياء التي كانت تلبسها شعوب المنطقة آنذاك.[1]

٤- ونظراً لنوع الاهتمام الذي كان يبديه المطراقي، فضلاً عن اهتمام السلطان سليمان نفسه، بزيارة مراقد الأولياء والصالحين ومقاماتهم، الكائنة في طريق الحملة، تَبَرُّكاً

(١) أثبتنا هذه الرسوم في آخر النص المترجم،وهي تحمل أرقام الصفحات المذكورة في أصل المخطوطة المنشورة بالتصوير، وقد أبقينا هذه الأرقام في متن النص المترجم لتسهل مراجعة القارئ الصورة المرسومة عند قراءته ما يتعلق بها من وصف في ذلك النص.

بأصحابها، فقد سجل الرحالة أسماء تلك المراقد والمقامات بعناية شديدة، وتقديرا منه للأهمية الخاصة التي كانت تحتلها بغداد بوصفها تضم أجداث العدد الغفير من الأولياء والصالحين، فقد عني عناية خاصة بمراقدهم ومقاماتهم كما عرفت بين أهل عصره، وبذا فإنه قدم لقرائه معلومات ثمينة عن خطط المدينة وشواخصها الماثلة في ذلك العهد . وينطبق هذا القول على وصفه لمراقد الأئمة والأولياء والعلماء في الحلة والنجف وكربلاء.

٥- ومما يزيد هذا الكتاب أهمية أنه تضمن نصوصاً كاملة لعدد من الرسائل المتبادلة بين السلطان سليمان القانوني والشاه (طهماسب) الصفوي، وفيها من ألفاظ الترغيب والترهيب، والتلميحات السياسية، والتلويح بالأعمال العسكرية، ما يكشف عن جوانب مهمة من الصراع العثماني الصفوي عهد ذاك، كما من شأنه أن يوضح لغة الخطاب السياسي والدبلوماسي التي كانت تستخدم بين قادة الدول الإسلامية في المنطقة.

مخطوطة الرحلة

اعتمدنا في ترجمة رحلة المطراقي زادة على نسخة خطية نشرها بالتصوير الفوتوغرافي كاملة الأستاذ الدكتور حسين يوردايدن(أنقرة ١٩٧٦)، وأصل المخطوطة محفوظ في مكتبة قصر يلدز باستانبول تحت العدد ٣٥، وعدد أوراقها ١٠٩أوراق، وجميع صفحاتها مجدول بماء الذهب، وفي كل صفحة منها ١٧سطرا، وهي بخط نسخ جيد مشكول، كتب بمداد أسود ، عدا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والحكم المأثورة فإنها كتبت بمداد أحمر. وقد قدم الأستاذ (يوردايدن) للمخطوطة بمقدمة بالتركية الحديثة (بالحروف اللاتينية) والإنكليزية، تناولت ترجمة نصوح المطراقي، وأهمية رحلته، والدراسات السابقة التي تناولها، ووصف النسخة المخطوطة. كما أنه أعاد كتابة الرحلة نفسها بالحروف التركية الحديثة.

وقد تأكد لنا أن هذه المخطوطة النفيسة لم تكن بخط مؤلفها المطراقي زاده، و إنْ كانت الصور المرسومة فيها هي بريشته، ويظهر أنه كُلّفَ ناسخاً متقناً لفن الخط بنسخها مكتفياً هو بتزيينها بالصور المعبرة عن سير الرحلة، ولذا فقد حفلت المخطوطة بأخطاء في كتابة عدد من أسماء المواضع، وتباين في إملاء لفظها بين موضع وآخر، فضلاً عن أخطاء إملائية عادية أشار إليها ناشر الرحلة في قائمة خاصة.

ونظرا لأهمية المخطوطة، من النواحي التاريخية والبلدانية والفنية، بما يجعل منها مصدرا لا يستغني عنه باحث في تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث، وإدراكها لقيمتها العلمية في دراسة أحوال العراق خاصة ومعالمه المختلفة في حقبة من تاريخه عزّت فيها المصادر، فقد عقدنا العزم على تقديمها إلى قراء العربية، فكان أن تولى الدكتور صبحي ناظم توفيق نقلها إلى لغة الضاد، وهي مهمة لم تكن ميسرة بحال بسبب الألفاظ والتراكيب الأدبية المعقدة التي استعملها كاتب الأصل التركي، وكثير من ألفاظها كان باللغات التركية القديمة(الجغطائية) الفارسية، فضلاً عن العربية. ولأن المخطوطة لم تحقق من قبل، إذ نشرت بحروفها دون تعليقات إلاّ نادراً، فقد قام الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف بتحقيق النسخة المعربة، فقابل اسماء الأعلام والمواقع الجغرافية والمصطلحات الحضارية على الأصل المخطوط وضبطها وعلق عليها بتعليقات توضحها على النحو الذي يراه القارئ الكريم .

وختاماً نرجو أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا، وما توفيقنا إلاّ بالله، والحمد لله أولاً وآخراً.

كتاب تواريخ آل عثمان[١]

الباحث في المنازل التي مرّ بها السلطان (سليمان خان) خلال حملته على تبريز وبغداد المبتدئة في أوائل شهر ذي القعدة عام أربعين وتسع مئة للهجرة .

١ هذا عنوان ثانوي وضعه المؤلف لكتابه، والعنوان الرئيس لا الذي كتبه على صفحة العنوان هو(بيان منازل سفر عراقين سلطان سليمن خان))

النص المحقق

<ب١> [١]الحمد والشكر بلا حدود للقادر المتعال والقيوم الذي لا يزال، جلت قدرته وطابت حكمته. فبحكم قضائه الأزلي وتأييد تقديره السرمدي والذي بدّد حجب الظلام التي اكتنفت الأرض فجعلتها داكنة، وسدّد العيون المترفعة فمنعت الرؤية عنها، وبدّل الفتن والفساد بقمر منير في سماء المملكة، بينما أزال وجود السلطان حامي البلاد كل ذلك بكواكب مواكب جنده وسباهيته [٢]. ومن جملة عناياته الكاملة الوافرة وتمام مقدرته الشاملة قطع دابر الكفر والضلال ودفع دائرة الفساد والجدال، وكما ورد في قوله تعالى: ((كتب عليكم القتال))[٣]. وأدت منجزاته الحربية إلى إعمار الملك، وفق الكلام القديم الأساس وطبقاً للنص الهادي إلى الاستئناس:– ((وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس))[٤]، وانطلاقاً من مفهوم السعادة المرسومة، فإن سيفه البتار جعله مهيمناً ومسيطراً على ميادين الوغى:

فالحمد لله لمن عظم سيفاً وسنانا
والشكر لمن فخم ضرباً وطعانا
من خصص قرباه لأصحاب جهاد
ومن عمم نعماه شجاعاً وجباناً[٥]

---

١ العلامة < > والأحرف والأرقام المثبتة بين ضلعيها ترمز إلى بداية صفحة جديدة من المخطوطة وحسب ترقيم صفحاتها. (المترجم).

٢ السباهية: هم الفرسان، ويقصد بهم صنف الخيالة في القوات المسلحة العثمانية ويُعَدُّ هذا الصنف أقدم صنوف القوات المذكورة، ويعود نشوئه إلى زمن الإمارة العثمانية الأولى، حيث لم تكن قوات البنكجرية (الانكشارية= النظام الجديد) قد تأسست بعد، يتميز السباهية بأن دخولهم تأتي من ضرائب اقطاعات تقطع لهم، وتتفاوت هذه الدخول بحسب نزلهم وما يتولونه من مناصب عسكرية أو إدراريّة ويدعى نظام ملكياتهم الاقطاعية بالتيمار، نسبة إلى أصغر وحدة إقطاعية فيه، تعلوه، صعوداً، الزعامت، والخاص. ينظر جب وبوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمدعبد الرحيم مصطفى (القاهرة ١٩٧١) ١/ ٦٩.

٣ البقرة، آية ٢١٦و ٢٤٦.

٤ الحديد، آية ٢٥.

٥ جاء في النص "شجاعا جبانا" ولربما فات الناسخ إثبات واو العطف.

والصلوات الناميات على سيّد الكائنات وفخر الموجودات وزبدة المخلوقات رسول الكونين ورائد الثقلين ومركز دائرة التوحيد وثمار شجرة الحكمة والبحر الخضم بلا نهاية ولا قياس، والذي جاء في حقه :- ((جعلنا له نوراً يمشي به في الناس))[1]، وهو النسر الذي عشه في العرش، وعنقاء [2]جبل القاف[3] مجهول المحل، وسيمرغ جبل الملكوت[4] والباز الحاكم في أجواء الجبروت، وترجمان بوابة القدم وأفصح العرب والعجم ومعدن العلم والكرم، ومِلك ملوك الطبل والعلم[5]وأوسط العقد في القلادة الكونية للجواهر وخلاصة الأنجم الزواهر- عليه الصلوات وأكمل التحيات- <ص أ> على صاحب المروءة وكعبة الصفا، الحبيب محمد المصطفى، وهو الفارس المقدام في ميدان النبوة، والمكرم في رواق الفتوة، عليه صلوات الله، والذي لم يغمد صارماً لقمع الأعادي وجمع الغنائم، بعد أن بذر البذرة الأولى لخلقنا جميعاً ولولاه لما خلق العالم جميعاً، وعلى آله وأصحابه وأرباب هدايته وحماة أبواب رواق رسالته، وعلى بناة أسس العدالة ومعماري مقصورة الجلالة ونظار بستان النبوة ومحارم أسرار الفتوة، المحافظين على الرسالة النبوية والملة العربية والشريعة المحمدية، وأنصار الطريقة الأحمدية والأمناء على تركة الرسول الربانية من القائمين على خزائن كنوز

---

١ سورة الأنعام الآية١٢٢.

٢ العنقاء طير خرافي له أخبار مهولة في الاساطير العربية القديمة، قيل إِنَّهُ يسمع لأجنحتها دوي كدوي الرعد القاصف والسيل، وإنَّها تعيش ألفي سنة .وإنَّها تقيم عند مغرب الشمس ، وفي بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء ، ينظر الدميري: حياة الحيوان الكبرى ٢ /١٦٢(القاهرة ١٩٥٤)

٣ جبل قيل إنه محيط بالأرض، وإنَّ الشمس تغرب فيه وتطلع منه . ياقوت معجم البلدان ٤ /٢٩٨(بيروت ١٩٥٧).

٤ هو طير أسطوري موهوم في الأساطير الفارسية ربما يكون شبيهاً بطير (العنقاء) في الأدب العربي ذي التأثير التاريخي على الأدب التركي والفارسي معاً. ((المترجم))

٥ الطبل والعلم : شعار الحكم والإمارة لدى العثمانيين وغيرهم من الأقوام ، وكان السلطان يهديهما لمن ينعم عليه بلقب (أمير)، ويفوضه بالحكم باسم السلطان في منطقة معينة، وإذا كان ذلك مشفوعاً بـ(طوغ أو طوغين)أي ذيل الحصان الأصيل، فمعنى ذلك منح ذلك الشخص درجة (وزير) في الوقت نفسه. ((المترجم))

المعاني والعاملين على جمع الكلام القديم والساعين في رواية الحديث الكريم، وناشري الآثار الدينية والهادين إلى العقائد اليقينية، وعلى الذين رفعوا راية الإيمان، ودفعوا شرور جيوش الطغيان، وعرفوا أسرار القرآن، وعملوا لفك رموز الفرقان، من أولئك المرشدين إلى ممالك عالم الملكوت، ورواد مسالك الجبروت، وعنادل الحدائق القدسية، وببغاوات المروج الأنسية، وَغواصي بحار الصفا، وصرّافي جواهر شرع المصطفى، فعليهم جميعاً حيث كانوا من مستكشفي الكنوز الجهادية، وواصفي الرموز الاجتهادية، ومحققي ومؤيدي ومشيدي أركان الجهاد في سبيل إيقاد مشاعل الدين المتين، وتثبيت أوامر ونواهي شريعة سيد المرسلين، وتزييد وتعيين وتحديد أركان الأمة وتضاعف أعداد أعيان السنة وتزين مذاهب الأمة وترتيب أسس الخلافة وتمتين قوانين السلطنة ونظام المملكة :

عليـــهم ســـلام الله مـــا لاح كـــوكبٌ
كلـمع ســـيـــوف في رؤوس المغـــافـــر

ومـــا دار بـدرٌ مـــثل ترس مـــذهـبٍ
بـأيدي رجـــال خـلا العـــســـاكـــر

وعلى هذا الاعتبار فإن إقامة مراسيم الإعداد للجهاد والغزوة وإفاضة القوانين ذات الشأن لمقاتلة الأعداء كان من دأب الصحابة الكرام وإعلاء شأنهم، ومن شيم المجاهدين المسلمين ورفعة منزلتهم < ص ٢ b> ، لا سيما وأن الكلام الرحماني القديم والفرقان السبحاني العظيم، يفيد :

"إن الله يحب الذن يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص"[١] و "وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم ".[٢] وكذلك في المعجز النبوي والخبر الأصح الرسولي، عليه الصلوات والسلام، وحسبما ثبته رواة المجالس الدينية ومحدثو المدارس اليقينية : —

---

١ الصف آية ٤.

٢ التوبة آية ٤٢.

"غدوةٌ أو روحةٌ في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها"[١] إذن، فبمقتضى الآيات السعيدة والبينات المذكورة والمسطورة والأحاديث النبوية الشريفة المروية، فإن السلطان ظل الله في الأرضين، والمبشر بالبشائر، وصاحب الشمم، والفرح بما أتاه الله والمتشرف والمتميز بفضله، والمزدان بمنشور قدرته:- "وآتيناه الملك "[٢]والمنظم لأمور العالمين والمقسوم له قرص فتح البلاد، والمعني بقوله تعالى: " يخلق مايشاء ويختار"[٣]، والمحظوظ بسعد :- "كنتم خير أُمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف"[٤]، فتفوق على غيره من سلاطين عصره، وكذلك على الذين تسنموا العروش وتحملوا أعباء الخلافة من قبله جميعاً، وهو سلطان البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين،[٥] بادشاه[٦]العالم وخسرو[٧] عهده وزمانه، وملاذ أهل الإيمان، السلطان ابن السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد خان مراد ابن السلطان أورخان بن عثمان خان ، أعز الله نصره وأنصاره، وقد فترت أعماله بحساب الفأل الميمون،.وصحائف آماله بدرر الانتظام للمئوية المنظوم، فقد كانت أمنيته اتخاذ ما يلزم تجاه ما يقوم به (طهماسب)[٨] في الوقت الحاضر

---

١ سنن الترمذي الكتاب ٢٠ الباب ١٧.

٢ يشير Nلى الآية ٢٥١و ٢٥٨من سور البقرة(وآتاه الله الملك) .

٣ الزمر الآية ٤.

٤ آل عمران الآية ١١٠.

٥ هو اللقب الذي أطلقه خطيب الجمعة في الجامع الأموي على السلطان سليم الأول BQيام دخوله دمشق بعد أن اضطر المماليك الى الانسحاب منها سنة ٩٢٣هـ/١٥١٦م وكان اللقب الذي اتخذه سلاطين المماليك من قبل (حامي الحرمين الشريفين) ينظر محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٥.

٦كلمة تركية فارسية تعني : سلطان ، ملك .

٧ من ألقاب الملوك عند الفرس، عرفه العرب قديماً بـ(كسرى) .

٨ هو الشاه طهماسب ابن الشاه إسماعيل الصفوي تولى عرش إيران بعد وفاة والده سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م وهزم الأوزبك وتغلب عليه العثمانيون على ما يذكر المؤلف هنا، وتوفي سنة ٩٨٤هـ/١٥٧٦م.

من محاولات في الديار الشرقية لتبديل أصول الشريعة المحمدية وتغيير الملة الحنفية[1]وإشاعة الإباحة ‹ ص أ ٣› الإلحادية ، ونشر المذاهب غير الأصلية ، والإجهار بالبغض نحو الخلفاء الراشدين والحسد لأئمة المسلمين وشتم الصحابة المرموقين في العلن، وهو زعيم ذوي الرؤوس الحمر[2]وقد نوهنا عنه، ابن إسماعيل ابن الشيخ حيدر الشخص الضال والمضلل الذي يعتبر وجوده مدعاة لإشاعة الفوضى في أرض الله ومادة لجلب الشقاء على عباد الله، حين طغى كالسيل الجارف في نشر الفساد وكان سبباً في تخريب البلاد

---

١ في الأصل : الخفية ، وهو تصحيف.

٢ كذا كتبها المؤلف، وهي تعريب قزلباش، المؤلف من مقطعين، قزل=أحمر،وباش =رأس، ويعني بهم أتباع الطريقة الصفوية المنسوبة إلى الشيخ صفي الدين بن اسحق بن أمين الدين بن صالح (المتوفى سنة ٧٣٥هـ ، ١٣٣٤م) وكانت هذه الطريقة قد وجدت انتشارها في مدينة أردبيل في أذربيجان الإيرانية، ثم سرعان ما امتد نفوذها، وكثر أتباعها في المدن الأُخرى سواء في إيران أو في الأناضول، ويعتقد أن علياً المعروف(بسياه باتس أي المسود) ابن صدر الدين موسى بن صفي الدين المذكور (المتوفى سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م) هو الذي سعى إلى تنظيم أتباع الطريقة وأن حفيداً له هو الشيخ حيدر بن جنيد بن إبراهيم بن علي، اتخذ لهؤلاء الأتباع شعاراً يميزهم على صورة قلنسوة حمراء ذات اثنتي عشرة شقة تلف حولها العمامة ومن هنا سموا بالقزلباش، أي ذوي الرؤوس الحمر، وقد نجح إسماعيل بن الشيخ حيدر في تحويل الطريقة الصفوية إلى سلطة سياسية –عسكرية، بأن أعلن نفسه (شاهاً) سنة ٩٠٥هـ/١٤٤٩م، وتمكن باتباعه المسلحين من الاستيلاء على تبريز سنة ٩٠٧هـ/١٥٠٢م واتخاذها عاصمة له، وبذا بدأ عهد الدولة الصفوية في إيران. وفي سنة ٩١٠هـ/١٥٠٥م جرى ضم اصفهان ويزد وكرمان وجنوبي خراسان إلى الدولة الجديدة، وما لبث الشاه إسماعيل أن تقدم إلى بغداد سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م ليقضي على دولة (الآق قوينلو) فيها، وضم العراق إلى دولته، بيد أن توسعه إلى داخل الاناضول ومهاجمته الدولة العثمانية سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤ أدى إلى أن يوقف السلطان سليم الأول فتوحاته في َأوربا، ويستدير بجيوشه إلى غربي إيران حيث اصطدم بقوات الشاه في معركة جالديران شمالي تبريز في السنة نفسها، فانتصر على الصفويين واستولى على القسم الشمالي الغربي من إيران، وبضمنها تبريز العاصمة إلا أنه لم ينجح، لأسباب داخلية وعسكرية، في القضاء على الشاه إسماعيل، وبذا استأنف الشاه طهماسب بن إسماعيل أعماله العسكرية المناوئة للدولة العثمانية، مستعيداً مدينة تبريز، فكان تقدم السلطان سليمان القانوني، الذي خلف أباه سليم الأول، بجيشه سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٤م في حملة كبرى ثانية ضد الدولة الصفوية، وهي التي شاء القدر أن يكون بصحبتها نصوح السلاحي ومُطراقي زاده فدون وقائعها في هذا الكتاب .

ومنبع فسق وعدوان وعناد، وتمادى وأوغل في تعذيب العباد، حيث لا جرم في إزالة نقطة وجوده من صفحة الحياة وإزاحته بحبال المعارج إلى السماء وإجلائه عن محطته وإخراجه عن هذه الدنيا قد أصبح من لوازم الأمور، كما أن إصلاح مذاهب أمة ملك اليقين وإفلاح أوامر الدين المبين ومراسيمه هما من أوجب الواجبات، والاستحضار لقلع هذا الشاه وقمعه، ومنع الفساد الذي يبثه ودفعه، قد استوجب على دار خلافة سيد العالم وسند شؤون حكمه، صاحبة الأمر المطاع وكيان الملك الرفيع وعاصمة الحكم المنيع، إصدار الأمر إلى القائمقام السلطاني وقائد الجيش ذي الطالع السعداني للانتظار والتربص حتى ظهور أمور مرهونة والتريث حتى صدور أوامر مطاعة عملاً بفحوى قول الشاعر :ـ

الأمـــور مـــرهونة بأوقـــاتهـــا

والظهـــور مـــقـــرونة بميـــقـــاتهـــا

ولما صدرت، فإن السلطان المرشد والرائد قد أجرى تسيير جيوشه وقوامها الألوف المؤلفة من الجنود الخيالة المغاوير والمشاة الأبطال المدججين بالبنادق، ليتحركوا على ضربات النفير والصنوج متوجهين نحو الجبهة في المقدمة، وما لبث أن تحرك السلطان نفسه على رأس قوة كافية في أوائل شهر ربيع الآخر لسنة أربعين وتسع مائة [1] من مجمع الشرائع المحمدية ومنبع المذاهب الإسلامية وموضع المساكن الإسلامية وحاضرة الأركان الراسخة ذات البنيان الشامخة والأسس القديمة والشؤون العظيمة، مسورة الأطراف بأحاسن (ص ب٣) المحاسن، مزينة الأكتاف بزينة الأنهار والبحار، وهي مدينة القسطنطينية، وذلك صوب حدود الولايات العربية، بقطع مراحل ومنازل، حتى وصل معمورة (حلب) المحروسة، وحط في صبح الدولة المحظوظة ونجمة الدارين اللامعة المسعودة، فيما كان الشتاء شديد البرودة منذراً بحلول قضيضه والهواء القارس على أبوابه، حيث اقتضى الأمر الصادر إلى الجيش المشفوع بالنصر، قضاء الشتاء في تلك المدينة المشهورة حتى انقضى، فتحرك من تلك

---

١ يصادف الأول من شهر ربيع الآخر من تلك السنة : يوم الأحد الرابع من نيسان سنة ١٥٣٤م.

الأراضي والبقاع المعمورة ميمناً نحو ولاية أذربيجان[١] وهضاب تبريز وهمذان في أوائل شهر رمضان من السنة نفسها[٢]

ولقد استوجب أمر تحرك السلطان سيراً في إثر الجيش المقدام وضرورة الأخذ بزمام الأمور على وجه البسيطة، أن يخلف وراءه الأمير مصطفى[٣] في العاصمة للنيابة عنه في النظر نحو شؤون الرعية من المسلمين الأخيار والمؤمنين المحظوظين والفقراء الذين لا حول لهم والتبعة من الذميين دافعي الجزية وهم صاغرون، وهو نجله المحروس وواسطة عقده البادشاهي ونتيجة عقده الشاهنشاهي[٤]والمعروف برجاحة عقله وسداد رأيه ، سيّما وهو ولي عهد العرش العثماني، لكي ينعم الناس بالأمن والراحة تحت رعايته وينال الجميع اليسر والطمأنينة في نظارته خلال فترة نيابته حسب مقتضيات الأحوال، وينالوا البحبوحة من النعيم، حيث جرى تخويله بجيمع الصلاحيات اللازمة لممارسة مهنته لتسيير أمور الولايات المحمية الأخرى، وتمشيتها من حيث البسط والقبض والحل والربط إناطةً إلى رأيه الصائب ونظره السديد، أما النظر في تحصيل الجباية والأموال وإصلاح السوق والأحوال من حيث الرواج والكساد وبسط بساط الرأفة والإفضال ‹ ص ٤a› ونشر العدل والإنصاف وإرخاء جناح الحماية على الرعية بالتمام والكمال مع توفير الاستقامة في معاملات الخزينة العامرة، عمّرها الله تعالى إلى يوم القيامة، فقد أنيط أمر كل ذلك إلى عهدة محمود جلبي الدفتردار، وأبقي في استانبول .

---

١ وردت في أصل المخطوط (بادربيجان)

٢ : ٣ آذار سنة ١٥٣٤.

٣ هو أكبر أبناء السلطان سليمان القانوني وولي عهده، وكان يتولى حينذاك ولاية آماسيه، وصف بالأدب والميل الى الشعر، فضلاً عن الشجاعة والإقدام. قتل في ١٢شوال ٩٦٠هـ/١٥٥٣م نتيجة مؤامرة دبرتها زوجة أبيه الروسية الأصل روكسانا المسماة (خرم سلطان) لتقديم ابنها سليم (السلطان سليم الثاني) لولاية العهد، وقد نفذت هذه المؤامرة في داخل الخيمة السلطانية في منطقة (قونية اركليسي) بمناسبة انطلاق الحملة الثانية على إيران، وكان مصطفى قد جاء اليها لتوديع أبيه :ينظر انور بهنان شابليو : تاريخ سلاطين آل عثمان استانبول ١٩٦١ص ١٧٧ومحمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية ص١٣٥.

٤ شاهنشاه، كلمة فارسية استعملها العثمانيون الأوائل، وتعني : ملك الملوك.

ومن ثم فإن الباد شاه، ملجأ الأنام وملاذهم، ظِلٌّ الله السعيد والمستقيم، والغازي في سبيل الله والمجاهد لوجه الله والمؤيد من عند الله، خلدت خلافته، فبكمال قدرة وعظمة فاتح البلدان والأمصار وتوفر أسباب العدة اللائقة بملكه وحكمه ليماثل الفلك في الحشمة، ويحيط به جموع الخدم والحشم كالكواكب، وقد خفقت رايته البيضاء عالية، وسار من ورائه الوزراء أصحاب الرأي والتدبير، وعلماء الشريعة من أهل التوقير، وأمراء الدولة ذوي التقرير، والأغوات سعداء المصير، أُولئك القائمون جميعاً بإرساء قواعد العدل السلطاني، والمؤسسين لبنيان الإنصاف السليماني والمتممين لأمور الجمهور الإسلامي والمتكلفين بتحقيق مصالح الأنام، وذلك إضافة إلى من لفَّ لفهم من ذوي الأقدام الثابتة والمحاربين المخترقين لصفوف الأعداء والمقاتلين الذين يقيمون القيامة في يوم الوغى من الغزاة الذين كتبت لهم السلامة، والأبطال المغاوير وحملة الرايات الإسلامية المبشرين بالنصر المبين، نصرهم الله تعالى جميعاً إلى يوم الدين. ففي شهر ذي القعدة من السنة المذكورة [١] جرى شد الرحال من المدينة المحروسة استانبول، دار السلطنة والخلافة والعدالة والإقبال، أبعدها الله تعالى عن الآفات والعاهات والزوال، متوجهين نحو ديار الشرق وأراضي تبريز وأذربيجان وكردستان وأقاليم الكرج والشيروان، ولربما تجاه ممالك إيران وبلاد توران وغيرها من ولاية بغداد وسمر قند وخراسان [٢] ، فجرى لوي العنان نحو تلك الأصقاع بوثاق من نطق الفلك بعناية الله الملك الخلاق لتحقيق عزم قرين الجزم بنية النهضة لمناصرة العزم، وبذلك فإن

---

١ ويوافق أوله ١٣ أيار سنة ١٥٣٤

٢ يتضح من هذه العبارة ، وصاحبها من مرافقي السلطان والمكلف بتسجيل وقائع سفره وحروبه ،أن الخطة العسكرية للسلطان سليمان كانت تتألف من مرحلتين، أولاهما ضرب الدولة الصفوية وإزالتها من الوجود، وهي المتمثلة باحتلال شمالي إيران وكردستان ونواحيهما، وثانيهما التقدم في محورين رئيسي، جنوبي لاحتلال بغداد، وشرقي للتوغل في خراسان وتركستان .وفصل المؤلف بين المرحلتين بلفظة (ربما) توضح أن تنفيذ الأخيرة كان يتوقف على نتائج الأولى، ومن ثم تكون استثماراً لذلك الفوز إن هو تحقق فعلاً، وستكشف وقائع الحملة أنها لم تحقق كامل أهدافها هذه، صحيح أن السلطان نفذ المرحلة الأولى من خطته المذكورة، الا أنه لم يقض على الدولة الصفوية واكتفى من المرحلة الثانية باحتلال بغداد وسائر أنحاء العراق، فأكمل بذلك ضم العراق، بعد أن كان سلفه السلطان سليم الأول قد ضم إليه ولاية الموصل بامتدادها الذي يصل إلى تكريت جنوباً .

مهندسي القضاء والقدر، ورسامي أشكال الصور في رسالة التصرف والتدبير، وفي حبول أرقام التقدير، وبموجب "إنَّا كل شيء خلقناه بقدر"[1] في مجال الإبداع بإضفاء هدية تليق بمقام فرد من أفراد الكليات، وأحدٍ من آحاد الممكنات على صورة محددة، وزينه بلبوس كرامةٍ توافق حاله بحيث يدرج في عنوان<ص ب ٤> وجود كل كائن في مقدمة كتاب خلقه. وبناء على ذلك، فإن هذا الفقير البسيط والحقير المحروم من حطام الدنيا، خادم الشاه وعبد الباد شاه، والمدعو "نصوح السلاحي الشهير بالمطراقي" يفيد بأنه -:

وردت الأشارة بمقياس ميزان صحيح وقياس برهان صريح، أن حضرة باد شاه وجه الأرض وسلطان السلاطين المتمسك بالشريعة السمحاء، لما غادر أوج الفلك الملوكي ومدار الوكر السلطاني محاطاً بحاشيته، متوجهاً نحو مبتغاه بالسطوة الخاقانية القاهرة وصدى الشوكة السلطانية الباهرة والكوكبة الحكومية الهادرة، وعلى قرع الطبول الملكية التي أثارت الخوف والهلع في أرجاء البلاد العامرة، واهتزت لها الأطراف والأكتاف، لما أوحته قوافل الجند من الهيبة والرعد والصلابة، فإن فلول جند الأعداء الملاعين ورؤساء قوافل الأحقاد والأحساد لم تجد في نفسها القوة الكافية للدفاع والمقارعة، فأطلقت سيقانها للريح هاربة خائبة: "يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت"[2]ليقعوا في براثنه انتحاراً وإفناء لأنفسهم، مما يسر دخول الكبار العظام والأمراء الكرام ممن هم في المقدمة وعلى رأسهم قائد الجيش المنتصر، إلى بلدة آذربيجان، والتي سبق ذكرها، وذلك في سنة إحدى وأربعين وتسع مائة [3]، وقبل ذلك في أراضي تبريز وجيزان [4]مكللين باليمن والسعادة والإجلال، فاتحين القلاع والحصون التي يسر الله لهم ذلك تحت رعاية السلطان المظفر.

---

١ القمر آية ٤٩

٢ البقرة آية ١٩.

٣ ويوافق أولها ١٤ نيسان سنة ١٥٣٤م.

٤ جيزان: بليدة في ديار بكر قريبة من سعرت. زكريا القزويني: آثار البلاد ص ٣٦٠.

ومن جملة قلاع الولايات المذكورة والمسطورة، قلعة أخلاط [١] وعدل جواز [٢] وإختمار [٣] وواستان [٤] ووان [٥] وعميق [٦] وأرجش [٧] ، وكذلك دخلوا مدينة تبريز نفسها ببنيانها ذي الآية في الجمال والفن المعماري، والتي أبدعت فيها أيدي المهندسين المهرة، وتأخذ بالألباب عقودها ومداخلها ومعاقلها المنقوشة بالألوان الزاهية والمزينة بالمقرنسات الرائعة، وكذلك القصبات التابعة لها، ومن ضمنها: نوشار [٨] وخوي [٩] ونخجوان [١٠] ومرند [١١] وسفيان [١٢] وأوشني [١٣] وأورمي [١٤] وسردارو [١٥] ودرزو [١٦] وخسرو شاه ومراغة [١٧] وسراو [١٨]

---

١ وتسمى ((خلاط) أيضاً، مدينة على الساحل الغربي لبحيرة (وان) في شرقي الأناضول .

٢ وتسمى (عادل جواز) أيضاً، و(اسطان) و(سطان) مدينة قرب خلاط .

٣ مدينة وقلعة في الجنوب من بحيرة (وان) .

٤ واستان، وتسمى أيضاً (واسطان) و(وسطان) مدينة قرب خلاط.

٥ تقع مدينة (وان) وقلعتها على الساحل الشرقي لبحيرة (وان).

٦ لم نقف عليها .

٧ مدينة على الساحل الشمالي لبحيرة (وان) .

٨ لم نقف عليها.

٩ مدينة على نهر قرة جاي إلى الشمال من بحيرة اورمية في أذربيجان الإيرانية .

١٠ مدينة على نهر الرس إلى الشمال من (خوي) .

١١ مدينة في شرق (خوي)، إلى الشمال من بحيرة اورمية .

١٢ بلدة على الطريق بين خوي وتبريز.

١٣ وتكتب أيضاً (اسنو) و(أشنة) و (اشنوية) مدينة في جنوب بحيرة اورمية .

١٤ هي مدينة أرمية، وبها عرفت البحيرة ، وتقع في غرب البحيرة المذكورة.

١٥ لعله (سرد رود) ويعني الماء البارد، وهو نهر يجري يأخذ مياهه من جبل سهند إلى الجنوب من تبريز ، ويصبها في بحيرة اورمية.

١٦ لعلها (ورزند) أحد النواحي الأربع لمدينة سراو.

١٧ مدينة مشهورة في أذربيجان إلى الشرق من بحيرة اورمية .

١٨ مدينة على نهر (سراو رود) في شمال تبريز.

وأردبيل<ص ٥a> وميانه الواقعة في الحدود العراقية[١]

وأن السلطان المعظم قد التحق به الصدر الأعظم [٢]وقائد الجيش المفخم في مرعى أوجان[٣] بتاريخ العشرين من شهر ربيع الأول للسنة المذكورة[٤]، وهو الذي أيده الله بالنصر وبجنودٍ من عنده سبحانه وتعالى، وقد توجه تحت رايات الظفر وأعلام النصر صوب ولاية عراق شرق العجم متوجاً في هامته بأكليل الغار .

ولدى وصوله إلى هناك، غادر إلى القصبات التابعة لتلك الولاية والمملكة المشروحة، ومنها :ـ زنكان[٥] وسلطانية [٦]وأبهر [٧] وحجاز [٨] وسجعاس [٩] وجرور [١٠]

١ مدينة على نهر (سفيد رود) في أذربيجان، عرفت في المصادر العربية باسم (ميانج) .

٢ هو يومذاك إبراهيم باشا، من أغوات الداخل في عهد السلطان سليمان القانوني، ومن مشاهير من شغل منصب (الصدارة العظمى) في الدولة العثمانية، عرف بإنشائه جملة من المؤسسات الخيرية في القسطنطينية، ودفن عند جامع ابتناه هناك سنة ٩٥٨هـ. شمس الدين سامي : قاموس الاعلام ٥٦١.

٣ اوجان، وتكتب أيضاً : اجان. مدينة وصفت بأنها على عشرة فراسخ من تبريز في طريق ميانة ، وكانت نواحيها وافرة الخيرات ليسترنج ص١٩٨.

٤ الموافق ليوم ٨ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٥٣٣.

٥ وتكتب أيضاً : زنجان مدينة في غرب قزوين. انظر ليسترنج ص ٢٥٦.

٦ هي المدينة التي أنشأها المغول سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٥ واتخذوها قاعدة للدولة المغولية الايلخانية وتقع أطلالها في نحو منتصف الطريق بين أبهر وزنجان، ليسترنج ص ٢٥٧.

٧ مدينة قريبة من زنجان ، في غرب قزوين .

٨ لم نقف على هذه المدينة.

٩ كذا كتبها المؤلف، والمشهور : سجاس، بضم أولها، مدينة كانت تقع إلى غرب السلطانية، وقد آلت إلى الخراب، ليسترنج ٢٥٨.

١٠ كذا في الأصل، ولم نقف على مدينة بهذا الاسم في نطاق المواقع التي يذكرها المؤلف، ومن المرجح لدينا أنها تصحفت من (سهر ورد) فهذه المدينة تقع مجاورة لسجاس المذكور إلى الجنوب منها، باتجاه دركزين التي سيذكرها المؤلف.

ودركزين [١]وهمذان، وأرامند[٢]الكائنة في سفوح جبل الوند،[٣] وصداوا، [٤]ودينور[٥]وقلعة دلاور ورازور، وتخت كسرى[٦]الذي أُطيحَ به والواقع في ذيل جبل بيستون، وقبلانية[٧]وقلعة شاهين [٨]الشامخة على جبل حمرين، ثم إلى قصر شيرين[٩]الذي يكون الحدود العراقية والواقع على شاطيء نهر نسرين. ولما لوى عنان العزيمة من ذلك القصر ونادرة العصر نحو جانب عراق العرب، فقد مرّ بالتوالي في القصبات التي تحتويها الولايات المذكورة والمملكة المعمورة، وهي: خانكية[١٠]وهارونية[١١]وقزل

---

١ مدينة من أعمال همذان، بينها وبين السلطانية .

٢ لعلها: اروند : مدينة كانت على جبل الوند، المعروف أيضاً بأروند، اتخذت مركزاً لضرب النقود في عهد الدولة الايلخانية ، ليسترنج ٢٣١.

٣ جبل عال في جنوب غرب همذان .

٤ ويعني اسمها الأنهر المئة (صد= مائة، آوا = ماء النهر) ومن الواضح أنه أسم موضع في جبل الوند .

٥ مدينة وصفها ياقوت بأنها من أعمال الجبل قرب قرميسين (كرمنشاه) وهما في الطريق من همذان إلى شهرزور وقد دثرت .

٦ موضع في جبل بهستون، بين همذان وكرمنشاه، ونقشت فيه على الحجر صور بارزة ترقى إلى عهد الدولة الأخمينية (القرن ٥ق.م)ويعرف اليوم بطاق بستان .

٧ لم يتحدد لنا مكان هذه البلدة بحسب الخوارط الحديثة، ومن الواضح أن اسمها مأخوذ من لفظة (قبلان) التركية وتعني : النمر .

٨ قلعة شاهين: بلدة تقع في نهاية وادي درتنك في أخر حدود ايالة بغداد في أوائل عهد الدولة العثمانية في العراق ،ثم عدت، فيما بعد، ضمن الأراضي الإيرانية وما تزال معروفة باسمها هذا حتى اليوم، ينظر اوليا جلبي : سيا حة نامه ٤ /٢٨٨.

٩ مدينة كانت جزءاً من كورة حلوان الحدودية العراقية، وعدت محطة على طريق حلوان(درتنك) وأُدْخِلَتْ في الأراضي الإيرانية سنة ١٨٢٠م. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٤ /٣٥.

١٠ كذا كتبها المؤلف، وهي بلدة ((خانقين)) المعروفة، الواقعة على ضفاف نهر الوند: وكانت تعد في أواخر عهد الدولة العثمانية (في حدود بغداد) وتعد اليوم مركزاً لقضاء باسمها.

١١ قرية وصفها ياقوت (معجم البلدان ٥ /٣٨٨) بقوله "من قرى بغداد قرب شهربان في طريق خراسان بها القنطرة العجيبة البناء، لها ذكر تعرف بقنطرة الهارونية " . وظن المرحوم عباس العزاوي أنّها بلدة هارون آباد المسماة اليوم بشاه آباد، وهي في الأراضي الإيرانية، بين كرند وما هي دشت . رحلة المنشي البغدادي ٤٥.

رباط[1]وبيات [2]وشهربان [3]ومندلي[4] وبعقوبة [5] والوندية[6]، والمدائن عاصمة نوشيروان العادل، وجان [7]وبدران،[8]وبرج أولياء الله ومسكن أولاد رسول الله وموضع عرش الخلفاء أصحاب الانتباه، ومقر العلماء الأمناء على الشريعة، وسند مشايخ الطريقة وحديقة الأئمة العظام وروضة الصلحاء الكرام – المدينة المحروسة دار السلام بغداد التي لم يخلق مثلها في البلاد،ومن ثم إلى أرض المحنة والبلاء صحراء كربلاء والحلة ومنصلف[9]وكوفة وحنانة [10]

---

١ كذا كتبها المؤلف ، والمشهور : قزل رباط ، أي الرباط الاحمر . نسبة إلى رباط كان قد بناه ملكشاه السلجوقي(٤٦٥–٤٨٥هـ/١٠٧٢–١٠٩٢م) وتسمى اليوم (السعدية) وهي مركز ناحية السعدية في قضاء خانقين من محافظة ديالي .

٢ بيات : بلدة نشأت في القرن الرابع عشر للميلاد، لترث بلدة في جوارها هي (الطيب) التي اندثرت عهد ذاك ، وتعاظمت مكانتها في القرن السادس عشر حتى أنها أصبحت ، بحسب التنظيمات العثمانية في ذلك القرن ، مركزاً لاحد الولاية التابعة لايالة بغداد ، اوليا جلبي: سياحة نامة ٤ / ٢٩٠.

٣ هي مدينة (المقدادية) الحالية، وتعد مركز قضاء باسمها في محافظة ديالي .

٤ هي مدينة(بندجين) التي تَحَرّف اسمها، على مر الزمن، إلى مندلجين فمندلي، على ماسماها المؤلف، وما تزال تعرف باسمها الاخير هذا.

٥ المدينة المعروفة مركز محافظة ديالي اليوم.

٦ مقاطعة في ديالي، قريبة من دلي عباس (المنصورية حالياً) .

٧ كذا في الأصل، ومن الواضح أنها (جسان) اسم بلدة تقع بقرب مدينة بدرة (بادرايا القديمة وضمن منطقتها) وعدت في القرن التاسع عشر جزءاً من لواء شمل بدرة أيضاً وسُمِّيَ لواء بدرة وجصان ثم أُلغي هذا اللواء في ظل التنظيمات الإدارية التي أُجريت أيام ولاية مدحت باشا، وفي سنة ١٨٨١عُدّت جصان إحدى نواحي قضاء الكوت، كتابنا: الاسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتاخرة ص١٢٢.

٨ هي مدينة بادرايا القديمة المعروفة في العصور الإسلامية وكانت تعد عصر ذاك من أعمال واسط، وهي اليوم مركز قضاء باسمها في محافظة واسط.

٩ كذا كتبها المؤلف، ولم نتبين حقيقة هذا الاسم .

١٠ الحنانة : أرض تقع بين النجف والحيرة والكوفة، وتعد جزءاً من منطقة (الثوية) وهي مقبرة منطقة في الحيرة والكوفة قديماً ، انظر د. حسن عيسى الحكيم : الثوية موقعها وتاريخها، مجلة كلية الفقه(النجف ١٩٨٤) العدد ٢ص ١٢٥.

وسهلة[١]وبحر النجف وقلعة الأنهارية[٢] ، والرماحية [٣]وحويزة [٤]وفلوجة وهيت[٥] وقلعة تكريت< ص ب ٥ > وكركوق[٦] وطاوق[٧]من تلك الولاية المعمورة المذكورة وبتأييد من الباري والتوفيق السبحاني توجّه صوب كردستان على رأس الجيش المنصور المحفوف بالسعد، وبعد أن وصلها، قرّر تسجيل جميع القلاع والقصبات فيها، والتي تم فتحها خلال هذه

---

١ السهلة : موضع في شمال النجف على يسار الذاهب إلى الكوفة، قريب من الثوية ، وفيه المسجد المشهور المعروف بمسجد السهلة من مساجد النجف القديمة .

٢ صور المؤلف هذه القلعة في كتاب رحلته (الورقة ٦٧ (aويظهر من هذه الصورة أن القلعة المذكورة كانت تقع وسط جزيرة تحيطها الأنهار من كل جانب، ويصل الجزيرة بالمناطق المجاورة قنطرتان من الآجر، وفي داخل القلعة مسجد بمئذنة عالية ومنشآت يظهر أنها عسكرية ، بينما تحيط بالقلعة، في ضمن أرض الجزيرة، دور سكنية ومسجد بثلاث قباب ومئذنة وعمارتان كبيرتان بطابقين وأربع قباب، وضريح يعلوه فيه مخروطية (ميل) . والمؤلف هو الوحيد الذي أشار إلى هذه القلعة وبلدتها ، ولا يعلم موقعها الآن .

٣ بلدة تقع أطلالها اليوم في نقطة تقع على مساحة نحو ٣٠كم من غربي الديوانية ، وسماها الرحالة التركي اوليا جلبي (سياحتنامة ١ /١٩٣) باسم (روم ناحية) وعدها إقطاعاً من درجة (خاص) مما دل على خصب المنطقة ووفرة مداخيلها، ووصفها نيبور في رحلته سنة ١٧٦٥م بأنها مدينة واسعة، مؤلفة من أربع مئة بيت ومحاطة بسور عال وقد هجرت هذه المدينة سنة ١١١٢هـ / ١٧٠٠م بسبب تحول مجرى نهر الفرات عنها ، انظر حمود الساعدي : مدينة الرماحية ، مجلة البلاغ ، العدد ١، ٢(بغداد ، السنة ٦، ١٩٧٦).

٤ كذا كتبها المؤلف، وهي(كركوك) المدينة المعروفة قديماً بـ(الكرختبن)مركز محافظة التأميم في العراق اليوم.

٥ هي مدينة داقوق الحالية ، على نهر العظيم ، بلدة قريبة من كركوك في محافظة التاميم

٦ كذا كتبها المؤلف، وهي (كركوك)المدينة المعروفة قديماً بـ(الكرخيتي)مركز محافظة التأميم في العراق اليوم.

٧ هي مدينة داقوق الحالية، على نهر العظيم، بلدة قريبة من كركوك في محافظة التأميم.

الحملة، ومنها قلعة آلتون كوبري[١] واوريل[٢] وحرير[٣] وشقلان[٤] وجزريل[٥] وشهرزور الصعبة العبور المحتوية على مسكن ملك الثعابين[٦] وقلعة خفيان[٧] وسازان[٨] ودودان[٩]

---

١ آلتون كوبري: بلدة يعني اسمها (قنطرة الذهب). يرجح أن لفظة (ذهب) فيها قد حرفت من (زاب) وهو اسم النهر الذي تقع القنطرة عليه، وردت أقدم إشارة إليها في حوادث سنة ٨٣٩ (التاريخ الغياثي، تحقيق طارق الحمداني ص ٢٥٨) وأشار المؤلف الى قلعة عندها تفيد في معرفة أوليات تكون هذه البلدة.

٢ كذا كتبها المؤلف، وهي تسمية محلية محرفة عن اسم المدينة القديم (إربل) المعروفة اليوم بإربيل. مركز محافظة إربيل في العراق الحديث.

٣ حرير: بلدة كانت مركزاً لوحدة إدارية في ولاية شهرزور أشير إليها أول مرة في سنة ٩٧٦هـ، ثم عدت أحد سناجق (الوية) هذه الولاية في القرن الحادي عشر للهجرة (١٧م)، كتابنا: الأسر الحاكمة ٢٣٥.

٤ كذا كتبها المؤلف، وهي بلدة شقلاباد، بحسب لفظ ياقوت (معجم البلدان) وتعرف اليوم بشقلاوة، بلدة من أعمال اربيل.

٥ لم نتبين هذا الموضع.

٦ من الواضح أن المؤلف يشير هنا إلى بعض ماكان يتناقله أهل هذه الناحية من خرافات منشؤها كثرة الثعابين في ناحيتهم. وشهرزور اسم الناحية أُطْلِقَ على مدينة (نيم آزاري) الواردة في كتب البلدان العربية، وقد وصفها الرحالة تافرنييه وصفاً دقيقاً (تافرنيه: العراق في القرن السابع عشر، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد ١٩٤٤، ص ٦٥).

٧ كذا وردت في الأصل، والصحيح خفتيان، وهي قلعة محكمة البناء حولها القرى على ضفاف الزاب، ميز ياقوت (٢ / ٣٨٠) بين قريتين بهذا الاسم، أولهما على طريق مراغة، والآخرى، وهي المقصودة هنا سماها ((خفتيان سرخاب بن بدر في طريق شهرزور من إربيل، وهي أعظم من تلك وافخم)) وقد اندثرت معالمها اليوم. ليسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٢٩ .

٨ لم نقف عليها.

٩ لعلها القلعة التي عرفت فيما بعد باسم (داوودة) وتقع قرب منطقة البيات التابعة لطوز خرماتو.

وشـمـران [١] وهزار مـرد [٢] وسـرجـة[٣] وحورين [٤] وسـرجـوك[٥] وشـهـر بازار[٦] ونوي[٧] والموصل وظالم[٨]

---

١ هي شميران، بلدة في نواحي شهرزور، عدت في القرن العاشر للهجرة واحدة من القلاع التي تالفت منها إمارة اردلان، شرفخان البدليسي: شرفنامه ص١٠٦.

٢ قرية يعني اسمها (ألف رجل) تبعد بنحو ١٣كم إلى الغرب من السليمانية، اشتهرت بوجود كهف فيه أدوات من الحجر ترجع إلى العصر القديم، وكان لها شأن في الحياة الثقافية في القرن الثاني عشر للهجرة. كتابنا : مراكز ثقافية مغمورة في كردستان ص ٧٠.

٣ ربما كانت (سرجنار)، القرية الواقعة في غربي مدينة السليمانية، وقد وردت في مذكرات مأمون بك ابن بيكة بك باسم (جنار) ص٥٣.

٤ بلدة سيرد اسمها فيما يأتي شكل(حران) وعرفت في السجلات العثمانية المكتوبة في القرن العاشر للهجرة باسم (هورن) وعدت إقطاعاً من نوع تيمار يؤلف سنجقاً (لواء) تابعاً لولاية الموصل، كتابنا : الموصل في العهد العثماني ص ٢١٤.

٥ بلدة في إقليم شهرزور، عدت في القرن العاشر للهجرة من أعمال إمارة اردلان، وتعد اليوم ناحية تابعة إلى قضاء شهر بازار في محافظة السليمانية .

٦ بلدة أُطلق اسمها على منطقة تقع على سفح جبل سرسير، تبعد عن مدينة السليمانية بنحو ٣٨كم من جهة الشمال الشرقي، عدت هذه المنطقة بموجب التقسيمات الحديثة، قضاء مركزه قرية جوارتا، تابعاً لمحافظة السليمانية .

٧ قرية كانت في إقليم شهرزور، قريبة من الحدود العراقية – الإيرانية .عدت في القرن العاشر للهجرة من الممتلكات الاردلانية، وكان يحكمها إذ ذاك امير اردلاني هو علم الدين بن بيكة بك انضم،بأمر من أبيه إلى جانب السلطان سليمان القانوني في صراعه ضد الصفويين ، انظر مذكرات مأمون بك ص٥٧.

٨ كذا كتبها صاحب المخطوطة هنا ، وفي الورقة (٧٨ب)سيكتبها(زلم) وهي قلعة قديمة تبعد بنحو٩كم عن مركز ناحية خورمال (كلعنبر) التابعة لقضاء حلبجة في محافظة السليمانية، كانت مركزاً لإمارة اردلان التي ظهرت في هذه النواحي في القرن السادس أو السابع للهجرة، ويمكن أن يكون تأسيس هذه القلعة قد جرى في تلك الحقبة (كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة ص٢٣٢). عرفت باسمها هذا نسبة إلى نوع من النبات على سفح جبلها. وصف ياقوت(معجم البلدان٣ / ١٤٦)هذا الجبل بقوله "هو جبل قرب شهرزور ينبت فيه حب الزلم الذي يصلح لأدوية الباءة" .

وولكة ١٢أ وقلعة كلكون[١] وبانة[٢] وصارم [٣]وتبليس[٤]وكفندر[٥] وصوي وآموا وزرقي وهيزو وقنديل وآزرين، مع تعداد كامل القرى والأرياف الواقعة بين القصبات كافة، وكذلك الخانات التي أُعدّتْ لتكون منازل يحط فيها الركبان للاستراحة، والحصون القديمة والمواطن التي حل فيها الخراب، والجبال المشهورة والممرات صعبة الاجتياز والأنهار المعروفة والأراضي الملحية والمروج الخاصة برعي الأنعام والبساتين، وذلك بتدوين أسمائها ورسم صورها مع بيان أصلها وفصلها وموقعها الجغرافي في الأقاليم السبعة، وتثبيت المسافات الكائنة فيما بينها بالأميال، وسأشير إلى أصح الأقوال الواردة بشأن الميل وكذلك الميل المعتمد في الشرع الشريف، مع بيان أطوال النهار لكل مدينة وتحديد أطوال الأنهار حيث قضى رب المشارق والمغارب أن الشمس تبلغ ذروتها في الارتفاع صيفاً لتعود وتنزل إلى منتهاها شتاءً، وكم هي درجات شعيرات الانحراف عن خط نصف النهار وكونها شرقية

١٢أ لعلها القرية المسماة (بركه ثور) القريبة من حلبجة.

١ بلدة في إقليم شهروزو، يتألف اسمها من كلمتين: كل، وتعني الورد،وكون وتعني : اليوم، فيكون معناها: اليوم الوردي، وسيذكر المؤلف في الورقة (ب٧٩) أنها قلعة قيزلجة نفسها، واسم الأخيرة يعني الميال إلى الحمرة أي الوردي، وهو ما ينطبق على معنى كلكون أيضاً، وتقع قيزلجة في منطقة بنجوين .

٢ بلدة في إقليم شهرزور، تقع إلى الشرق من مدينة السليمانية المنشأة فيما بعد، كانت تعد أحد الألوية الستة التي تتألف منها ايالة الموصل في القرن العاشر للهجرة(١٦م)وضمتها الحكومة الإيرانية إلى أراضيها في أواخر القرن الثاني عشر(أوائل ١٩م) وكان لها نشاط ثقافي متميز في المنطقة الكردية، كتابنا: مراكز ثقافية مغمورة في كردستان ص٢٣.

٣ كذا في الأصل، وفي الورقة٨١أو ٨٢ب أيضاً، ومانظن هذا الاسم إلاّ محرفاً عن (طارم) وهما كورتان في شمالي زنجان الواقعة بين بحيرتي ارمية وقزوين، ومركز العليا منها بلدة(واندر) ومركز السفلى (فيروز آباد)، ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص٢٦٠.

٤ وتسمى ايضاً(تفليس) بالفاء، وهي قصبة كرجستان (عاصمة جمهورية جورجيا اليوم).

٥ لم تتأكد لنا مواقع هذا المسمى، والمسميات التالية، فيما راجعناه من المصادر.

أم غربية أو جنوبية أم شمالية[١]، حيث عمل في ذلك أهل العلم الأولون ومهندسو الأعصار الأقدمون، فحددوا أصولها بميزات تفاوت الأبدان وقانون " هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"[٢] وتوصلوا إلى ذلك عن طريق المشاهدة والتجربة ليعرضوها في معارض الإفادة والاستفادة وطريق الإفاضة والاستفاضة، بحيث لا يمكن أن يرتقي إلى صحتها شك.

‹ ص ٦a› وسأعرج على الأضرحة الشريفة للصحابة الكرام والخلفاء الراشدين العظام والأئمة المجتهدين والمشايخ السالكين، رضوان الله عليهم أجمعين، أو على مقاماتهم ومراقدهم المنيفة والمذكورة المسطورة في الكتب المعتبرة، وذلك عملاً بالمقولة :– " إذا تحيرتم في الأمور، فأستعينوا من أهل القبور" [٣]. فقد ذهبت إلى سيادتهم ومرغت وجه العبودية في التراب عندها، ومسحت جبين الخدمة أمام صروحهم السعيدة، وجنيت الفوائد من همتهم لذة جديدة، متمتعاً من بركات زياراتهم، وسوف أتطرق إليها – كلاً على انفراد – في البحوث المخصصة لكل واحد منهم، وحسب ترتيب ومنهج لازمين في الدرج والتصوير والتحرير، وبلسان القلم وبيان الرقم.

إن مبتغاي أن يعلم السلطان، صاحب العدل الأشم والملك الهمام، وحافظ ثغور الإسلام والمسلمين، وحارس معالم الملك والدين، المؤيد بوفود الملائكة من أولي الأجنحة، وأعداد الحرزة والأسلحة، وبقوته القاهرة الملوكية، وشوك شوكته الباهرة السلطانية، بأن الأماكن التي تم فتحها قد جرى تثبيتها وتحديدها بشكل يكون تأريخاً لها إلى آخر الزمان، ويكون سواده خالاً في وجنة الدنيا وبياضه خلخالاً في ساق عروس الدهر، ونقطة بارزة في البال ومركزاً لدائرة الحسن والجمال من اليوم فصاعداً، وكذلك ليكون تبصرةً للمسافرين الذين يمتطون فرس الفراسة، ويحطون بمنازل في طريقهم للاستراحة، وتذكرة لأصحاب السفر

---

(١) ربما أراد خطوط الطول والعرض (المترجم)

(٢) الزمر آية ٩.

(٣) لم يذكر اسم صاحب هذا القول، ولم ندر نحن مصدره، وعلى أية حال فليس هو بحديث نبوي.

القاصدين للأمصار في سبلهم، ودليلاً لإفادة كل مفيد وسبيلاً لاستفادة كل مستفيد، إن شاء الله تعالى.

ففي هذه المطلوبة الصحيحة والصحيفة المشروحة الصريحة، جرى شرح الأقاليم السبعة العجيبة وأميال [1] البلاد الغريبة حسبما وضعه ذوو الاختصاص لصحيح الأركان كدليل برهاني لمقياس أهل الميزان ولا سيما عند الحاجة، كي يتسنى لحضرة بطل الأبطال< ص ب ٦ > في البلاد والفارس المغوار في الأقاليم السبعة والحاكم على أقطار سبعة وملك ملوك البحر والبر، حضرة السلطان، لما تستدعي الحاجة إلى قيامه بسوق الجيوش، حماية لبيضة الشريعة وحفاظاً على رونق الملك والرعية واستتباباً للأمن والنظام لمصلحة الأنام وسد ثغور بلاد الإسلام، ومناصرة للمجاهدين في سبيل الدين بجند من الخيالة والمشاة، وليكون على دراية بطبيعة الأقاليم من المسالك والمراحل أولاً وقبل كل شيء، وكذلك بالمسافات الفاصلة بين منزل وأخر بحساب الفراسخ[2] والأميال لكي يتيسر له سوق الجيش وتسييره وتنظيمه وما يمكن أن يقطعه من مسافات في كل مرحلة، حيث إنّ علماء الأمصار قد قسموا الربع المسكون من الكرة الأرضية [3] والأرض اليابسة منها إلى سبعة أقسام، وأطلقوا اسم إقليم على كل جزء منها، وأن كل جزء يرتبط بكوكب معين[4] .

---

(١) الميل يساوي ٤٠٠٠ذراع شرعية = ١/٣فرسخ، أي مايقارب ٢كم (فالترهنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة الدكتور كامل العسلي عمان ١٩٧٠، ص٩٥).

(٢) الفرسخ يساوي ٣ أميال، أي حوالي ٦كم. هنتش ص٩٤.

(٣) والثلاثة أرباع الباقية مغمورة بالمياه، كما هو معلوم.

(٤)كان تقسيم الكرة الأرضية في حينه كما أدرجه صاحب المخطوط، إمّا ارتباط كل جزء بكوكب فضْربٌ من الوهم كان قائماً في ذلك العصر وجرياً على سنة الأولين.((المترجم))

الإقليم الأول

يرتبط بكوكب زحل، بدءاً من خط الاستواء الذي هو الخط المرسوم في وسط الكرة الأرضية من الشرق متجهاً نحو الغرب، يبدأ من الجزر الخالدات ماراً بالبحر الغربي وماجين[١] وكنك[٢] والمشرق وسرنديب[٣] وعدن وقصبة عمان ومملكة الحبشة وسبأ اليمن وكذلك صنعاء اليمن، ودانجور من الصين وجزائر واق واق[٤] وزبونك، يبلغ طوله، حسب قول أبي ريحان[٥]، ٣٤٠٠ فرسخاً، أما عرضه فيبلغ ١٤٧ فرسخاً.

الإقليم الثاني

يرتبط بكوكب المشتري، يحتوي طوله بدءاً من المشرق بلاد الصين والهند والكاميرون وبحر قنوج[٦] وروسيا ومنصورية [٧] وبلاد فارس وبقعة [٨] والمدينة المنيفة(المنورة) والكعبة

---

(١) إقليم في شرق تركستان كان تابعاً للصين يتكلم أهله اللغة الجغطائية ، سامي: قاموس الاعلام ٤٠٨٠.

(٢) منطقة في شمالي الهند، على نهر جمنة الآخذ مياهه من سفوح جبال الهملايا .

(٣) كذا في الأصل، والمشهور سرنديب، وهي جزيرة سيلان .

(٤) جزائر ورد اسمها كثيراً في كتب الرحالين والجغرافيين المسلمين بوصفها آخر الربع المعمور من الأرض، يرجح أنهم يعنون بها بلاد اليابان، أو جانباً من استراليا.

(٥) هو ابو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢-٤٤٠هـ) وقد حاول المؤلف هنا أن يؤلف بين معرفته بالجغرافية كما انتهت إليها عند أهل عصره، والتقسيمات الجغرافية للعالم كما أتى بها البيروني في كتابه(تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن) الذي ألفّه بين سنة ٤٠٧-409هـ(تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، أنقرة ١٩٦٢،ص ١٠٧)

(٦) مدينة في ولاية آكره بالهند.

(٧) لم نقف عليها، ولعلها المنصورة: مدينة بارض السند، ولكن ياقوت عدها في الإقليم الثالث(معجم البلدان ٥/ ٢١١).

(٨) كذا في الأصل، ولعله (بقعاء) أو (بقع) اسم عدة مواضع في نواحي الجزيرة الفراتية والموصل والمدينة المنورة، ذكرها ياقوت(معجم البلدان ١/ ٤٧٢)

الشريفة وجدة واليمن (ص ٧ a)وولاية عمان ويثرب[١] وتهامة وقلزم[٢] وبربر[٣] وسبأ [٤].
وفي الصعيد الأعلى أسيوط وشمس وقمر[٥] وجرجة [٦] ونولي [٧] وبني

ألواح [٨] والسويس وعبد المؤمن[٩] حتى ينتهي في بحر المغرب. طوله ٢٨٣٣فرسخاً، ويبلغ عرضه١٣٢من الفراسخ.

الإقليم الثالث

يرتبط بكوكب المريخ، ويبدأ من المشرق شاملاً بلاد الصين وقندهار[١٠]وكشمير[١١]ومكران[١٢] وكابل[١٣] والقطر الأفغاني وزوالستان[١٤] وسيستان[١٥]

---

(١) هو اسم المدينة المنورة قبل الإسلام، ويلاحظ أنه سبق أن عد المدينة المنورة ضمن مدن ومناطق هذا الإقليم.

(٢) هو البحر الأحمر.

(٣) أرض في افريقيا نسبت إلى الأقوام التي سكنتها، وتمتد من برقة إلى آخر المغرب والبحر المحيط، ومعجم البلدان ١ /٣٦٨.

(٤) سبق أن عد (سبأ اليمن) من ضمن الأقاليم الأُول .

(٥) هو جبل القمر الذي كان يظن أنه منبع مياه النيل. ابن حوقل: صورة الارض ١٤٠.

(٦) وتكتب جرجا. قرية من أعمال الصعيد قرب اخميم ياقوت: معجم البلدان ٢ /١١٩.

(٧) لعلها نول. مدينة في جنوب بلاد المغرب. ياقوت: معجم البلدان ٥ /٣١٣.

(٨) لم يتعين عندما موقع هذه المدينة .

(٩) يقصد المناطق التي كانت داخلة في حكم الدولة الموحدية المؤمنية وهي التي أسسها عبد المؤمن بن علي الكومي (المتوفى سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م) وكانت تشمل المغرب والجزائر وتونس والاندلس.

(١٠) قندهار: مدينة في بلاد الافغان على بعد ٣٠٠كم من جنوب غربي كابل .

(١١) الإقليم المعروف الواقع في منطقة جبال هملاياً في شمالي القارة الهندية .

(١٢) ولاية في غربي ايران.

(١٣) قاعدة بلاد الأفغان.

(١٤)كذا في الأصل، وتكتب أيضاً: زابلستان، إقليم واسع ينقسم اليوم بين البلاد الافغانية وولاية بلوجستان في إيران.

(١٥) في المصادر العربية: سجستان، ولاية في شرق إيران.

وكرمان[١]وشبا نكارة[٢]وفارس وخوازستان[٣]ويزد وشيراز وأصفهان وشوشتر[٤]وجسان[٥]وبدران[٦].

وفي عراق العرب بغداد والمدائن وكوفة وسهلة وبحر النجف والشام وطرّة بولس[٧]والقدس الشريف وبعلبك وجزيرة قبرص وغزة ومصر[٨] ودمياط ورشيد والإسكندرية وطرابلس الغرب وطنجة والاندلس حتى ينتهي في بلاد الغرب. أما طوله فيبلغ٢٢٦٤فرسخ، وعرضه ١١٠ فراسخ.

الأقليم الرابع

إنه يرتبط بالشمس، ترد بدايته من المشرق، محتوياً على بقاع الصين ومنوي[٩]وخطاي[١٠] وختن[١١]وصغانيان[١٢] وكشمير[١٣] وبدخشان[١٤] وما وراء النهر

---

(١) ولاية في الجنوب الشرقي من إيران .

(٢) ولاية كانت تشغل القسم الشرقي من إقليم فارس، نسبت إلى قبيلة ديلمية بهذا الاسم، وتعرف اليوم بدار ابجرد.

(٣) كذا كتبها المؤلف، وهي (خوزستان).

(٤) مدينة وناحية في إقليم خوزستان، عرفتها البلدانيات العربية باسم (تستر)

(٥) في الأصل (حسبان) وهي (جصان) الحالية على ماتقدم .

(٦) وهي بادريا المعروفة في العهود الحديثة ببدرة، وقد تقدم التعريف بها .

(٧) كذا كتبها المؤلف وهي (طرابلس).

(٨) المقصود بمصر هنا : القاهرة.

(٩) يظهر أنه الأقليم الذي يسميه رشيد الدين الهمذاني (ممالك منزى) بفتح أوله وسكون ثانيه(جامع التواريخ، ترجمة يحيى الخشاب مجلد ٢ ج١ ص٢٠٣) .

(١٠) بلاد الخطا هي القسم الشمالي من الصين، ويشمل منشوريا ومنغوليا، تنسب إلى قوم من المغول ، بهذا الاسم.

(١١) ختن: إقليم ومدينة في تركستان على حدود الصين، وهي اليوم داخلة في نطاق سيادتها .

(١٢) صغنيان : مدينة على نهر زامل من روافد نهر جيحون في التركستان .

(١٣) سبق أن عد كشمير من الإقليم الثالث.

(١٤) مدينة وإقليم في تركستان، شرقي نهر جيحون.

وخراسان وقهستان[١] وقومش[٢] ومازندران [٣] وكيلان[٤] وقزوين ودركزين[٥] وهمذان وسلطانة[٦] ومراغة[٧] وتبريز وآذربيجان وكردستان والموصل وحسن كيف[٨] وآمد[٩] وروحة[١٠] وجاير[١١] وأرمينية وبعضاً من أصقاع ديار بكر وبلاد الروم، ماراً ببحر الروم[١٢] وجزيرتي رودوس وساقز[١٣] وبلدة أثينا في اليونان< ص ب٧ > ومدينة الحكماء[١٤] وولاية الأندلس ومجمع البحرين[١٥]، حتى ينتهي في غاليسيا[١٦] ببلاد الغرب. طوله

---

(١) يكتبها المؤلف بكسر القاف، والصحيح بضمها، وقد تكتب باثبات الواو (قوهستان) وتعني (بلاد الجبل) وهي إقليم في غربي نهر هداة، في جنوب إقليم خراسان .

(٢) إقليم محاذ لجبل البرز، ويعد اليوم في إقليم خرسان.

(٣) هي منطقة الجبال العالية المعروفة بجبال البرز، على الساحل الجنوبي لبحر قزوين، وكانت تعرف لدى البلدانيين العرب الأولين بطبرستان، و(طبر) في لغة تلك البلاد معناها (الجبل).

(٤) كيلان (في البلدانيات العربية: جيلان ، الجيل) إقليم في شمالي إيران، في الجهة الجنوبية الغربية من بحر قزوين.

(٥) تقدم شرحها.

(٦) مدينة أنشأها السلطان ارغون خان وأتمها السلطان الجايتو من سلاطين الدولة المغولية الاليخانية سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٥م وجعلها الأخير قاعدة لدولته، وتقع في إقليم الطالقان في الجنوب الغربي من بحر قزوين

(٧) بلدة الى الجنوب من تبريز، عدت في بعض العهود قاعدة إقليم اذربيجان.

(٨) هكذا يكتبها المؤلف، على وفق ما شاع إملاؤه في عهد، وصواب الاسم حصن كيفا، وهو حصن يقع على ضفة الفرات الجنوبية، من بلاد الجزيرة الفراتية .

(٩) هي قصبة ديار بكر .

(١٠) كذا يكتبها المؤلف، وهي (الرها) احدى أهم مدن بلاد الجزيرة وعرفت في العهود المتأخرة باسم (اورفة).

(١١) لم نتبين حقيقة هذا الأسم .

(١٢) يريد البحر المتوسط، أو القسم الشمالي منه.

(١٣) جزيرة في البحر المتوسط تقابل ولاية ازمير في غربي الاناضول.

(١٤) لم نعلم أية مدينة هذه.

(١٥) يريد : مضيق جبل طارق.

(١٦) مقاطعة في أوربا الشرقية كانت خاضعة لحكم النمسا والمجر.

٢١٦٦ فرسخ وعرضه٩٩ فرسخ.

الإقليم الخامس

يرتبط بكوكب الزهرة، ويمتد بدءاً من حنا [١]في المشرق ماراً بقراقوم[٢] وكاشان[٣] وسنجاب[٤]وحاج وديار اينون[٥]وبلاد ساغون [٦]وما وراء النهر وبخارا وسمرقند وأسروشنة[٧] وفرغانة[٨] وخوارزم وجرجانة وولاية أراق وأختر وباخثر وبحر الخزر وطربزون وصامسون[٩]وسينوب[١٠] وقسطمون[١١]وكورجستان[١٢]وأرمينية الكبرى وأماسية[١٣]

---

(١) لم نتبين حقيقة هذا الاسم والسياق الجغرافي يقتضي أن يكون (الصين).

(٢) مدينة في آسيا الوسطى، قريبة من حدود التبت، كانت عاصمة دولة المغول الاليخانيين .

(٣) مدينة في إيران تبعد عن طهران جنوباً بنحو ١٩٠كم.

(٤) لعلها : سنجان ، مدينة في إيران تبعد عن (يزد) حوالي٧٠كم.

(٥) لم نقف على حقيقة هذين الاسمين.

(٦) الراجح أنها ساغاي، وهي منطقة في سيبريا، إلى الشمال الغربي من منغوليا .

(٧) مدينة وإقليم شرق سمرقند.

(٨) مدينة كانت تقع على ضفة نهر سيحان الشمالية.

(٩) مدينة في شمال الأناضول، على الساحل الجنوبي للبحر الاسود.

(١٠) مدينة في شمال الأناضول، إلى الغرب من صامسون، على البحر الأسود.

(١١) مدينة في شمال الأناضول، إلى الجنوب من سينوب.

(١٢) هي جورجيا الحالية.

(١٣) مدينة في ولاية سيواس، في الشمال الغربي من مدينة سيواس، وتبعد عن سينوب بنحو ١٣٠ كم.

وسيواس[1]وقونية [2]وكوتاهية[3] وبورسة [4]مستقطعاً جزءاً من مدينة استانبول. كما يشمل ميغلغارة[5] وغاليبولي[6]وسلانيك[7]وسيروز[8].

وآغريبوز[9]وموتون قورون[10] وآنا بولي[11]وأولونيـة[12]وباب الأبواب وريم بوب[13] ثم يمتد من برين وحتى طنطلة[14]حيث ينتهي في المحيط الغربي[15]يبلغ طوله ١٨٨٨فرسخ ، وعرضـه٨٤ فرسخاً.

الإقليم السادس

وهو الذي يرتبط بكوكب عطارد، ويبدأ طوله من المشرق ماراً ببحر يأجوج ومأجوج

---

(١) هي قصبة ولاية سيواس، مدينة تقع في شرقي الأناضول، تبعد عن أنقرة شرقاً بنحو ٣٧٢كم.

(٢) مدينة وولاية في وسط الأناضول.

(٣) مدينة في غربي الأناضول، تبعد عن (برسة) بنحو ١٢٠كم .

(٤) وتكتب بروسة، وبرصى (Prusa) مدينة في غربي الأناضول، كانت عاصمة الدولة العثمانية في عهد نشوئها.

(٥) هي مغلة، مدينة في الجنوب الغربي من الأناضول، قريبة من ساحل البحر المتوسط.

(٦) مدينة في مدخل مضيق مرمرة، قريبة من استانبول، تعد تابعة إدارياً لولاية أدرنة.

(٧) مدينة في اليونان، على ساحل البحر المتوسط، كانت تعد إحدى أهم المدن العثمانية في البلقان.

(٨) مدينة في ولاية سلانيك، تبعد عنها بنحو ٧٣كم من الشمال الشرقي .

(٩) جزيرة في البحر المتوسط، قريبة من كريت، أُلحِقَتْ بالدولة العثمانية سنة ٨٧٥هـ.

(١٠) لم يتأكد لنا حقيقة هذا الاسم .

(١١) مدينة تقع في شبه جزيرة المورة.

(١٢) مدينة في ولاية يانية، واقعة على الساحل الادرياتيك.

(١٣) لم تتأكد لنا حقيقة هذين الاسمين.

(١٤) لعله يقصد (طليطلة) في اسبانيا.

(١٥) هو المحيط الاطلسي، وقد سبق للمؤلف أن سماه (بحر المغرب).

وإلى ولاية قاقون وفرغان[١] وفرغين[٢] وسقسين[٣] وبلغار وبريّة الخزر وبرطاس[٤] وآلان[٥] والشركس وفلحة التي مَرّ منها الإسكندر المقدوني في عصره. ويقطع جزءاً من استانبول لينمو نحو كل من مدن أدرنة وصوفية وأوسكوب[٦] وسمندرة[٧] وبودون[٨] وبج وبوسنة والبندقية وجنوز[٩] بلاد الأفرنج وبحر المحيط حتى ينتهي في بحر المغرب. يبلغ طوله ١٥١١ فرسخ، وعرضه ٧١ فرسخ. < ص أ ٨ >

الإقليم السابع

وهو الذي يرتبط بالقمر، يبدأ طوله من المشرق ليشمل بحر يأجوج وكيمال[١٠] وسعالة وصحراء أنتشان وبحر عالاطيقون[١١] وأرماية الروس والبلغار وأورما من التاتار وصحراء

---

(١) مدينة وإقليم ونهر في بلاد ما وراء النهر (تركستان).

(٢) ربما كانت (فرغانة) مدينة في إقليم الشاش، على نهر سيحون في بلاد ما وراء النهر.

(٣) لعلها المدينة التي سماها ماركو بولو سكاسم . وتقع قرب نهر غوري الذي تصب مياهه في نهر جيحون رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاوية (القاهرة ١٩٧٧) ص٧١.

(٤) لم نقف على حقيقة هذا الاسم.

(٥) لعلها: اللان، إقليم في بلاد الخزر.

(٦) وتكتب أيضاً: اسكوب، مدينة في القسم الأوربي من الدولة العثمانية، تبتعد عن سلانيك بنحو ١٨٠ كـ من الشمال الغربي.

(٧) مدينة في صربيا على نهر الطونة (الدون) تبعد عن بلغراد بـ ٤٤ كم .

(٨) وتكتب أيضاً : بودين، وبدون، وبودة، وهي مدينة بودابست عاصمة بلاد المجر.

(٩) لعلها : ويجوز.

(١٠) كذا في الأصل، والراجح أنه كيماك، بالكاف، ولاية واسعة في حدود الصين، وأهلها ترك. ياقوت: معجم البلدان ٤ / ٤٨٨.

(١١) ضبطها المؤلف بكسر الصاد، ولم نقف على ناحية بهذا الاسم، والسياق الجغرافي يقضي أن تكون (صغانة أو (صغانيان) وهي إقليم في بلاد ما وراء النهر. انظر قاموس الأعلام ٢٩٥٤.

قيجاق وكفة[1] وقرم وآق كرمان وجه[2] ولَهْ[3]. وبوصوله إلى بلاد الإفرنج ينتهي في بحر المغرب قاطعاً البحر المحيط. إن معالم العمران قليلة في هذا الإقليم ويقطن أكثرية السكان في البوادي، وإن أكثر أصقاعها هي جزر وبحار، بينما تتلبد سماؤها بالغيوم في معظم الأوقات، ولا تؤثر فيها الشمس على نحو يذكر، فيما يستخرج البلور من مناجمها بوفرة، ولذلك سميت بالظلمات، كما أن أغلبية حيواناتها من ذوات الشعر الأبيض، وتسمى أجزاء الجانب الشرقي من تلك الأصقاع بالبدرية وسوزية ونوزة ورابك .

إن رجال هذا الإقليم، لدى تعاطيهم التجارة، يأتون ببضائعهم ويتركونها في موقع معين[4]، بينما يأخذ التجار القادمون من الطرف الآخر تلك البضائع ليضعوا ما يقابلها ويعادلها من مواد أتوا بها من جانبهم دون أن تحدث أمور الكذب والغش بين تلك الأطراف على الرغم من أن معظم بضائعهم تلك هي معدنية.

طول هذا الإقليم١١٣٣فرسخ، وعرضه يبلغ٦١فرسخاً.

وقد جرى شرح الإقليم تلك وفقاً لما وضعه من السلف أبو ريحان بن خلف [5]، وعلى نهجه[6] < ص ب ١٠ >

---

(١) هكذا في الأصل، ولم نقف على إقليم أو ناحية بهذا الاسم .

(٢) الراجح أنه إقليم بوهيميا، في غرب تشيكوسلوفاكيا سابقاً، وعاصمته (براغ) وكان العثمانيون يسمونه(جه ستان) .

(٣) الراجح أنه يريد (بولونيا) . والعثمانيون يسمونها (لهستان) .

(٤) قد يكون السبب الرئيس والأهم في اتباعهم لهذا الاسلوب الغريب في التجارة هو عدم ملاءمة ظروف الجو القارص للملوك والانتظار مدداً طويلة، وعدم إمكانية الالتزام بمواعيد متفق عليها، من حيث كون المنطقة محيطة بالقطب الشمالي من الكرة الارضية (المترجم) .

(٥) كذا والصحيح أنه أبو الريحان بن أحمد .

(٦) وقد ورد في هامش < a8 > من المخطوط عبارة على النحو التالي : ((استصحبه الفقير المحتاج إلى ربه القدير، مصطفى بن عثمان الشهير بسامي عفي، ومختوم بمهره)) . توفي سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٣م وله ترجمة في قاموس الأعلام ٢٥١٢.

وعلى هذا الأساس، فإن الأمر ذا القدر الجليل لسلطان سلاطين المسلمين ومالك ممالك رقاب الأنام وحاكم بحر الأحكام بالأحكام، خلدت خلافته وبدت بشائر فرصته، قد صدر بنصب الخيمة السلطانية في العراء لكي تتشرف بها البراري والصحاري وتزدهر بها الوديان والجبال. وبموجب الأمر العالي والحكم المتعالي، فالخيمة ذات الغرّة قد جرى نقلها بتاريخ السابع والعشرين لشهر ذي القعدة من السنة المذكورة [١]، إلى قضاء أوسكودر [٢] ، ونصبت عند مروجها الخضراء وهي تماثل الفلك في الهيبة والجلال، وأقيمت معالم الأبهة والزينة على السرادق الزاهية الملونة.

وفي غداة ذلك اليوم، وبعون من الملك الفتاح في وجنة ذلك الصباح، وعملاً بالأمر (أسفروا فجراً). فإنَّ مفسري عرش الخلافة المقتدرة ومقري السعادة للناس من الوزراء أصحاب القدر الرفيع وعلماء الشريعة الأجلاء والكبار من ذوي الاعتبار وأركان الدولة من أرباب العقد والحل، وأغوات السلطنة من أصحاب العزّة، وكذلك العساكر المتوجه هاماتهم بشعار الانتصار، نصرهم الله تعالى إلى يوم القرار، قد حضروا وهم مدججون بالأسلحة. ممتطين الجياد سريعة الجري ومزدانين بأسباب الزينة والجمال، فيَمَّموا شطر الإقبال والاستقبال وباب من هو مخلد القبال، ووقفوا مصطفين اصطفاف أشجار السرو في المروج وجموع الرياحين وهم يتطلعون كزهور النرجس انتظاراً للمعظم القادم. وما لبث أن أطل عليهم الشاه خسرو [٣] المتربع على عرش جمشيد [٤]، وقد سطعت الشمس على الأرض، متوكلاً على الله ومستعيناً بفضل القدير المتعال من طاقه الأعلى وقصره المعلى في اللحظة التي أخذت الشمس ترسل أشعتها الذهبية على عموم الكرة الأرضية وتلوح بترسها الذي ينثر

---

(١) الموافق ٣٠آيار سنة ١٥٣٥.

(٢) هي (اسكدار) في الجانب الاسيوي من مضيق البوسفور.

(٣) يريد السلطان العثماني، وتسمية على هذا النحو من أثر الأدب الفارسي في الثقافة التركية العثمانية في العهود المبكرة للدولة العثمانيّة.

(٤) جمشيد بطل أُسطوري يتردد ذكره في الأساطير الإيرانية القديمة .

بالكواكب على البحار. ‹ ص أ ١١›

وكمثل الشمس الزاهية فإن الطوغات الذهبية والرايات البيضاء المنيرة كضوء القمر قد نشرت على ضرب الطبل والنقارة، ومعها توجه السلطان بمقدمه الميمون نحو الميناء، ولدى ترجله وبهداية صاحب " الجوار المنشآت في البحر كالأعلام " [1] فإن حافظ البلاد بحد السنان وضرب الحسام، قد نشرت لأجله أنواع متعددة من الرايات والأعلام ذات الألوان مرفوعة على السفن والفلك الراسيات في الميناء كالأطواد الشامخة والمزدانة بأنواع من الورود زاهية الألوان احتفاء بالسلطان وترحيباً به، وقد أضيف إلى تلك السفن الشامخة عدد لايحصى من الزوارق البحرية الحربية الأخرى، تحمل الرايات الخفاقة والأخاذة للعين مرفرفة على صواريها، ومعالم الزينة في حواليها وأطرافها، والرماح من ذوات الأسنة الحادة وقد انتظمت على سطوحها. وكلما هبت رياح النصر، كانت بيارقها تخفق كأشجار حدائق الفتح، وكانت جموع السفن الراسيات تلك، تماثل في هيئتها وهيبتها وبأشرعتها المبسوطة الطيور الكاسرة وقد بسطت أجنحتها وهي تهم بالانقضاض على صيدها والقضاء عليه بمخالبها ومناقيرها الشبيهة بالحديد. نعم، فقد كانت شبيهة بشبكة غطت سطح البحر كما وأن وجهه قد تحول إلى صحراء نصبت فيها الخيام منتظمة اللجة في الشكل والمنظر، في حين توجهت صواريها نحو السماء وسحبت مراسيها الهلالية الشكل إلى الداخل وقد احتلت أجواء السماء وغطت وجه البحر. وبرايات السحاب وبريق الأشرعة، احتوت أعمدة الأشعة الشمسية والسطوح الزرق البحرية .

وبهذه الهيبة، فإنَّ البحر بالألوف من أيدي الرجال، ودويّ طلقات المدافع البحرية قد تحول وجه اليم إلى جمل أخذ منه الغضب، وأخذ يرغي ويزبد وكذلك السفن التي نشرت أشرعتها التي تماثل السحب البيض، مسلمةً أمرها للقضاء والقدر، فكيف سينجلي ذلك الموقف ياترى؟

‹ص ب – ١١ ›وهكذا عقد عنق الطاعة بحبل الأتباع، فوقفت السفن على أهبة

(١) الرحمن آية ٢٤.

الاستعداد في انتظار إشارة الإقلاع، حتى حضر الفرد الفريد من الأنس الرفيع، ملك العالم سليمان السلطان، خَلّدَهُ الله تعالى في بحار العدل، وأجرى فلكه في أنهار الفضل، على رأس الموكب من الوزراء الفخام والعلماء الكرام والأمراء ذوي الاحترام وغيرهم من أرباب الحاشية والمرافقين من أركان الدولة ذوي الوقار، فارتقوا متون السفن مرددين :ـ "بسم الله مجريها ومرسيها"[1]، وأخذت الفرقة الموسيقية تعزف إيذانا بالإبحار ،فانسل الجنود إلى السفن من كل حدب وصوب حتى ازدحمت بهم ازدحاما، ونشروا أشرعتها للسفر اعتزاما .

وبموجب مشيئة خالق البشر وبمقتضى صاحب القضاء والقدر، وقف رئيس الملاحين في مقدمة قافلة الانتصار التي أخذت سبيلها في المرور مجتازة كليد[2]البحر في العبور حتى وصلت إلى المنزل المعهود والمحل المشهود على ضفة (اسكودر)، وألقت مراسيها تنفيذاً لأمر صادر يقضي بالمكوث يومين كاملين لأجل الاستراحة. وكان منظراً مهيباً ورائعاً حقاً حين انتشر الجند في العراء، وخفقت راياتهم في السماء باعثة البهجة في النفوس .

في اسكودر

ومع بزوغ الفجر الصادق وسطوع جيوش الأنوار، وهزيمة فلول الظلام وارتفاع علم سلطان المشرق والمغرب إلى العنان، وانتشار أضواء الشفق الورْدية لأشعتها الذهبية على وجه الأرض، فإذا بصاحب الجلالة والجلادة، والملك المحظوظ في ديار السعادة، وقد وضع قدم العزّ على الركاب الشبيه بالهلال بعزم فتح الأمصار، قابضاً‹أ – ١٢ › بيد الحزم التي يزدان بها العالم على أمور الدنيا بعزم لايلين، ومنها على صهوة جوادٍ يختال في سيره وهو طوع اللجام، ويطوي الأرض طياً في جرية ويفوح عنبراً، ويماثل الماء الجاري في جولاته، ويحاكي النسر رفيع الطيران في صولاته، والطائر الصنقور[3] في شجاعته، وقد خرج وهو يبتغي اصطياد عدوّ لدود وغريم حسود ووضيع عنود، ويقطع دابر ثائرة الخصومة والجدال وقمع

(١) هود آية ٤١ .

(٢) كليد :فارسية ـ تركية ، بمعنى : مفتاح ، قفل .والمقصود هنا : مضيق البسفور .

(٣) هو الشاهين ،الطائر المعروف .

مادة الظلم والظلام : إذْ "من كان لله كان الله له" ، فلهذه الغاية امتطى صهوة فرسه، وسار أمامه في المقدمة صاحب السعادة "الأمير كراي" سليل أصحاب الشوكة جنكيز خان[١] وجهان كشاي[٢]وآروغ خان[٣]، والمرشح لرئاسة دولة صحراء قيجاق[٤]،وذلك بفضل مراجعته قوائم سرير السلطان صاحب المكارم[٥]والسامي عرشه في العلى، وكذلك الوزراء الفخام والأمراء المعروفون وأعيان الدولة ووجهاؤها وأركان السلطنة الرصينة الخالدة، والضباط والجند وكتائب الخيالة الذين ملؤوا الصحارى كالسيول الجارفة بجيادهم الجارية، إضافة إلى أرهاط الخدم والحشم لصاحب العرش الرفيع والتاج المنيع، وعلى أذرعهم سيوف بألوان أغمادها الحمراء أو البنفسجية والرايات النيّرة وكوكبة الفرسان للسلطان ذي المراس الصعب كشاه طاووس إيران .

وعلى قرع الطبول التي تصمّ الآذان والواصل إلى عنان السماء ،ووسط الأعلام الجميلة البهيجة التي رفرفت، والأسنة والحراب التي لمعت وبرقت، وهي موجهة نحو السماء، وسط منظر فريد يأخذ بالألباب،فيما أخذت الأرض تَئِنُّ تحت أثقال أحمال الخيول والبغال والجمال والأفيال وتتزلزل. شاهد سكان وأهالي المنطقة بأمّ أعينهم عموماً مصداقية الآية

---

(١) هو الأمير صاحب كراي الاول، أمير دولة القرم المتحالفة مع العثمانيين تولى الحكم سنة ٩٣٨هـ ولبث فيه حتى سنة ٩٥٨هـ (١٥٣٢-١٥٥١م)ينظر لين بول : تاريخ الدول الإسلامية ٢ /٥٠٢

(٢) جهان كشاي: لفظان تركيان معناها (فاتح العالم) ولم نجد بين أسلاف الأمير كراي المذكور من تسمى بهذا الاسم، غير جنكيز خان نفسه، فالراجح أنْ يكون (حرف العطف) بين جنكيز خان وجهان كشاي زائدا .

(٣) كذا كتبه المؤلّف، والمشهور(أولوغ خان) وهو الأمير أولوغ محمد من سلالة توقا تيمور بن جوجي بن جنكيز خان .عمل على الحصول على خانية القرم ثم أسس في بلغاريا ما عرف باسم (خانية قازان) سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م.لين بول :تاريخ الدول الإسلامية ٢ /٤٩٧.

(٤) هي واحدة من اربع دول أسسها المغول،من سلالة جوجي بن جنكيز خان بين نهر سيحون وجبال أورال في روسيا، وتعرف هذه الدول جميعاً باسم التون أوردو(= القبيلة الذهبية).تأسست دولة صحراء قيجاق سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤ولكن تاريخ زوال حكمها يكتنفه بعض الغموض، ففي حين يصرح لين بول (تاريخ الدول الإسلامية ٤٨٧ /٢ وزامباور: معجم الأنساب والأسر الحاكمة ٣٦٦) بزوالها سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م فإنَّ نص المطراقي هنا يشير الى استمرار حكمها في زمن السلطان سليمان القانوني .

(٥) أي اللجوء إلى خدمة السلطان.

الكريمة: "إن زلزلة الساعة شيء عظيم"[١]،بعد أن صعدت الضجة إلى الأفلاك السبعة وطغت على الجبال والبراري المجاورة، حتى اختلج وجه القمر وابتهجت صفحة الشمس من جرائها.وبعون من الله الملك المنان، تمَّ التوجه نحو التخوم اليونانية وإلى<ب ١٢ >زهرة مملكة (قره مان)[٢]ومصدر فواكه النهر، ومجمع أماكن الدهر، (قصبة اق شهر)[٣]، وعليه فسيتم شرح وتفصيل المنازل والمراحل الكائنة مابين ضاحية (اكسودر) المقابلة لمدينة (استانبول) المقر النير للدين الإسلامي ومحل الرغبة والرعاية للأحكام الشرعية،وبين القصبة المذكورة،وذلك في غرة شهر ذي الحجة لسنة أربعين وتسع مئة [٤].

تناول العلم أُستاذ الخواطر فأبدع صورة جميلة في الظاهر والذي جمع هذه الصورة منزلا فمنزل قد سماه لمجموعة المنازل واسكندر الشاهد للعديد من المنازل لو أراد أن يقول شيئا لقال "نعم" فإن الاستاذ قد رسم الصورة هذه وأراد من ورائها تعداد أسماء المنازل

قلعة هركه <أ ١٣>

جنار لو <أ ١٣>

نيكو ميد <ب ١٣>

جسر ستاره <ب ١٣>

مضيق قاريقلو <أ ١٤>

ديكيلي طاش <أ ١٤>

---

(١) الحج آية ١ .

(٢) امارة في الاناضول،ورثت جانبا من اراضي دولة سلاجقة الروم هناك ،ومنها عاصمتها(قونية).تاسست في نحو سنة ٦٥٤هـ /١٢٥٦م واحتلها العثمانيون سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م. ستانلى لين بول: تاريخ الدول الاسلامية ٤٧٥/١

(٣) مدينة من اعمال قونية ،في الشمال الغربي منها .

(٤) الموافق ١٢ حزيران سنة ١٥٣٤ميلادية .

قلعة ازنيق <ب ١٤>

يني شهر <ب ١٤>

اق بييق <ب ١٤>

زينجرلي قويو <ب ١٤>

مضيق الارمن <أ ١٥>

بوز ئويوك <أ ١٥>

ابن ئولز <أ ١٥>

ايليجا <أ ١٥>

قلعة كوتاهيه <ب ١٥>

جاقير سازي <ب ١٥>

عبر سهل <ب ١٥>

التون طاش <ب ١٥>

<أ ١٦>

إن حضرة السلطان المتربع على عرش سليمان، وهو فاتح البقاع والأصقاع وبطل الأبطال، قد وطأت قدمه صحراء (آق شهر)[1]بعزم الانتصار، بعد أن وصلها مع جيشه الذي رافقه النصر، وشرّفها بنزوله فيها لمدة يومين لغرض الأستراحة، وقبل أن يشد الرحل عنها ميمّما شطر مدينة (سيواس)[2] الحصينة الأساس والمحاطة بالمحاسن والفضائل،وذلك بفصل المراحل

---

(١) تقدم التعريف بها .

(٢) مدينة في شرقي الأناضول، على ضفة نهر(قزل ارمق) أنشأها السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي (٦١٦–٦٣٤هـ/ ١٢١٠–١٢١٩م) وضمها السلطان بايزيد إلى الدولة العثمانية سنة٧٩٤هـ/ ١٣٩١م .ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ١٨٠ وقاموس الأعلام ٢٧٩٣

وقطع المنازل.

وقد جرى تثبيت المنازل التي حطّ فيها السلطان في حينه، الذي صادف الأيام الأول لشهر محرم الحرام سنة إحدى وأربعين وتسع مئة[1] بالتمام ،وهي كما يأتي :—

جسر آرقت	<أ ١٦>
إيلكوت	<ب ١٦>
بينار باشي عبر إيلكوت	<ب ١٦>
خاتون جاييري أو زنكو كولو	<ب ١٦>
كرموك (كورموك) بلي	<أ ١٧>
قلعة قويله	<أ ١٧>
مولانا حضرة الملاّ خونكار	<أ ١٧>
قيرق بينار أو قارا بينار	<ب ١٧>
آقجا شار	<ب ١٧>
بحيرة دودون أو مرعى أولالي	<ب ١٧>
آق ثويوك مروراً بـ(أركلي)	<أ ١٨>
مرعى بقاء الدين مقابل قلعة ينكده	<أ ١٨>
دوده لو قارا حصار	<ب ١٨>
جسر إينجه قارا	<ب ١٨>
قلعة قيصري	<ب ١٨>
مرعى بارشاما على نهر صارمي صاقلي	<أ ١٩>

(١) الموافق ١٢ تموز من سنة ١٥٣٤م.

جوبوغ أودا <أ ١٩>

قيشلة شهر <أ ١٩>

بوسكوللي <ب ١٩>

بحيرة لطيف <ب ١٩>

دانيشمانلو <ب ١٩>

قلعة سيواس <أ ٢٠>

<ب ٢٠>

لما حل السلطان في قضاء (سيواس) المحروسة، مكث فيها مدة أربعة أيام لغرض نيل قسط من الراحة وتحصيل الزاد والعتاد وإكمال نواقص الجيش من العدة والعدد، وبعد انقضاء مدة الأيام الأربعة المذكورة، امتطى صاحب الجلالة السلطان المقتدر في الدهر، والمشتهر كالشمس صهوة جواد أَصيل سريع الجري أو فرس يحاكي البرق في عدوه، يطوي المنازل طيا في سيره، تحسبه قد زامل البراق في اصطبله بحديقة القدس، وقد تربى بانتجاع حشائش الجنان سوية مع رفيق الفردوس. وتحرك الجند على أثره، وقد حذوا حذوه والنصر حليفهم، فساروا وراية الظفر تظللهم متوجهين صوب حدود (باذربيجان)[1] ومن نقطة الانطلاق في (سيواس) وحتى الوصول إلى قصبة (أرزنجان)[2] الواقعة على نهر الفرات، كانت المنازل والمحطات الواقعة على الطريق بينهما في شهر صفر[3] ختم بالخير والظفر من السنة نفسها، هي :-

---

(١) هكذا يكتبها المؤلف ، وهي (اذربيجان) الإقليم الواسع الذي كانت تتقاسمه روسيا وإيران والدولة العثمانية .

(٢) مدينة على الفرات ، في ولاية ارضروم ، تبعد عن مدينة ارضروم بنحو ١٣٠ كم ، وتقع على الطريق من سيواس إلى ارزن الروم .

(٣) يوافق أوّله ١١ آب ١٥٣٤

قوج حصار <ب ٢٠>

قازلي كولي او قوشجي حسن <ب ٢٠>

سلطان جمني مقابل كولي حصار <أ ٢١>

مرج عظيم بالقرب من قرية جري باشي <أ ٢١>

قرية بارو او كوموش تكين <أ ٢١>

سهل قابا قلوجة او اق تية <ب ٢١>

ياصي جمن <ب ٢١>

قارا ويران <ب ٢١>

أرزنجان <أ ٢٢>

<ب ٢٢>

إنّ (أرزنجان) المبحوث عنها هي من أقاليم (أذربيجان) ومضيق كرج شروان[١] ومملكة إيران وتوران العظيمة، ولما وصلها حضرة السلطان، وهو على رأس أفواج تموج كالبحر الخضم مما أضفت على المنطقة الزينة والصفاء، وعمل على تطييب قلوب أهالي المنطقة وجبرها بإنصاف كامل وانتقام شامل .وبعد استجمام ليوم أو يومين، تحرك السلطان نحو (قلعة وان)، وذلك في شهر صفر نفسه، وما يلي المنازل التي تؤدي إليها :-

جوبوق بوغاز <ب ٢٢>

مضيق خان صبحه <ب٢٢>

---

(١) يقع إقليم شروان ممايلي على بحر قزوين ، حيث تنتهى جبال القفقاس . والمضيق الذي يشير اليه المؤلف هنا هو الذي عرفه البلدانيون العرب بباب الابواب ، ويقع عند مدينة باسمه على ساحل بحيرة قزوين سمي بذلك لأنّهُ "كالسد بين جبلين مطلين على هذا المرسى " ليسترنج بلدان الخلافة ٢١٤

قلعة خوبان مرورا بـ(تبرجان) <أ ٢٣>

هما خاتون <أ ٢٣>

جينيس <أ ٢٣>

ايليجا ارضروم <ب٢٣>

بوغار مرورا بأرضروم <ب٢٣>

سهل باسين <ب٢٣>

جسر جوبان <أ٢٤>

مضيق الاكوز <أ٢٤>

قيزلر قلعة سي <أ٢٤>

ايدين بكلو <ب٢٤>

حاضر تابع <ب٢٤>

كور(كور) <ب٢٤>

حميد قلعة <أ٢٥>

جاناق <أ٢٥>

جاقير بكلو <أ٢٥>

قرية آغي <ب٢٥>

قلعة أرجيش <ب٢٥>

<أ ٢٦>

ولما وصل السلطان المسيطر على مناطق نفوذ عرش (خسرو)[1] والحائز على كرسي (دارا)[2]، إلى قلعة (أرجيش) المذكورة ،نزل عندها مُشَّرِفاً المنطقة بكاملها ، ماكثاً فيها عدداً من الأيام ،ولربما أسبوعٌ كاملٌ، حيث كان الجند على مقربة من (السر عسكر)[3] الذي انطلق قبل ذلك نحو أواسط الجبهة، وقد حضر من جانبه بعض المبعوثين الذين أفادوا بأن (المذهب القزلباشي)[4] قد انتشر في أراضي (سمرقند وخراسان) وأن مريديها قد خرجوا في ولايتي (قوم[5] وكاشان)، ورفعوا الرؤوس الحمر كشقائق النعمان، وهم يستعطفون السلطان بعدم الضن عليهم في إرسال المدد والعون لاستئصال شأفتهم وقطع دابرهم، وأنّهم مستعدون لشد أزر القوات التي تواجدت هناك فورا.

إنَّ ذيل لطفك هو ما يأخذ بيدي فخلص رقبتي يامولاي من يد عدو عديم الإنصاف فإن لم يأت المدد من سليمان الزمان فذلك معناه طوي دفتري وتشتت ديوان أشعاري وعلى إثر ذلك، اعتلى السلطان صهوة جواده في الحال وعلى طريق الارتحال بغية ملاحقة العدو شين الأحوال،منطلقا من تلك القلعة نحو (تبريز) على جناح السرعة، وهاهي المراحل والمنازل التي مرّبها أثناء تلك الحملة، وكان ذلك بتاريخ ١٢ ربيع الأول من العام نفسه[6] :-

---

(١) هي اللفظة الفارسية التي عَرَّبَها المسلمون بـ(كسرى).

(٢) دارا، أو داريوس، من السلالة الاخمينية، ملك إيران من٥٢٢ الى ٤٨٦ق.م

(٣) مدينة على الساحل الشمالي لبحيرة (وان) .

(٤) مصطلح عثمان بمعنى (قائد الجيش) وهو هنا الصدر الأعظم إبراهيم باشا وكان هذا قد انطلق على رأس قوة كافية بتاريخ ١٠ربيع الآخر سنة ٩٤٠هـ/٢٩تشرين الثاني ١٥٣٣م فورد مدينة حلب ،ثم احتل مدينة تبريز في ١محرم ٩٤١هـ/١٣تموز ١٥٣٤م، وعسكر بقواته في سعد اباد الواقعة جنوبي تبريز انتظارا لقدوم السلطان مع القوات الأخرى.

- تقدم التعريف بهذا المصطلح.

(٥) كذا كتبها المؤلف ،وهي (قم) المدينة المعروفة في جنوب طهران.

(٦) الموافق ٢٠ أيلول سنة ١٥٣٤ ميلادية .

بندِ ما هي (مضيق ماهي) <أ ٢٦>

فوهة قره دوره ، مروراً بـ(رجوما) <ب٢٦>

صاغمن أووا <ب٢٦>

خوي، عبر دستة ده ره <ب٢٦>

خاتون سراي، مروراً بـ(كيرده ميشه) <أ ٢٧>

سفيان <أ ٢٧>

تبريز <أ٢٨ ب٢٧>

<ب ٢٨>

مع وصول السلطان إلى صحراء (تبريز) المحروسة بإذن الله والمذكورة والمسطورة، بكل سعدٍ ونزوله فيها بتمام رغدٍ، صدر الأمر الجليل القدر، أن يقوم رجاله القائمون بخدماته الخاصة، بنصب خيمته الأرجوانية في مرعى (أوجان)[1] ذي الذكر الحميد والمليء بالمآثر السابقة، لكي ينال قسطاً من الراحة وهو محاط بأجناد السعد والعسكر اليقظين يقظة الملائكة.

وامتثالاً للأمر المطاع، فقد أجري اللازم على أرض مخضرة بهيجة، ونصبت الخيمة الشامخة بطرازها الذي يحاكي أطلس السماء، ونطاقه المقرنس المشابه لرواق الجوزاء، ووضع الكرسي الذي هو نظير عرش (جمشيد)، وقر قرارا بقوائمه الأربعة بكل احتشام وافتخار، حتى نادى المنادي في الصباح بالآذان: "حي على الفلاح"، فبث الفرح في أطراف العالم وفي النفوس،ورفعت الشمس رأسها من جانب المشرق لترسل على الأرض أشعتها الذهبية،

---

(١) أوجان ،وتكتب ايضا : أجان ،بليدة باذربيجان ،بينها وبين تبريز عشرة فراسخ في طريق الري .وكانت نواحيها وافرة الخيرات يكثر فيها القطن والقمح والفواكه .ياقوت :معجم البلدان ،وليسترنج :بلدان الخلافة الشرقية ١٩٨.

حيث لم تلبث أن وَلَّتْ فلول الظلام هاربة أمامها وتاركة الميدان لنهار ساطع منتصر،ترفرف فيه راية العدل .

وعلى إثر ذلك،فإن سلطان البلاد السبعة وملك البحر والبر، اعتلى صهوة فرسه بالسعادة، حتى ورد إلى المحل المعهود والمكان المشرف المشهود، حيث هب الجند المتواجدون هناك إلى استقباله والترحيب به بكل اعتزاز وحماس، وبأنواع من التعظيم والتكريم والتبجيل والتفخيم، واستقبلوه استقبالا رائعا مخلد الإقبال. وبناء على وجوب وشمول نفوذ سرير الخلافة للسلطان صاحب الطَلعة البهية، وعدالة سليمان الزمان على تلك الديار< أ ٢٩ > عقد المجلس العالي للتداول في الشؤون والأمور،وذلك قبل أن يُسْتَدْعى كُلٌّ من (مظفر خان)[1]حاكم كيلان والأمراء ذوو الشيم الطاووسية المتواجدون في المنطقة،والذين أعلنوا ولاءهم لعظمة السلطان، بغرض الترحيب بقدوم جلالته إلى أراضيهم. . وكذلك حضر في الديوان نفسه الأمير الشاب صاحب الحظّ السعيد[2] الذي لاذَ بحمى قوائم عرش السلطان فدنا ليطبع قبلةً على الأَرض بالقرب من كرسي سليمان الزمان قبل أن ينشد قائلاً:-

انت الذي أجـــدد بأخـــذ ممالك

لاسيـــمَّـــا في اكـتـســاب كنز وارث

ولقد أنشد ذلك بلحن البلابل ولهجة الببغاوات، لما أوتي من ملكة الكلام،فكان له وقع في قلب السلطان صاحب الصولات وجولات الزمان،حتى أجابه معلقا بكل عدل وإحسان

---

(١) من أمراء الأسرة الإسحاقية في كيلان،وعاصمتهم مدينة(رشت) .اسمه الأصلي دوباج، منحه الشاه إسماعيل سنة٩٢٣هـ لقب(مظفر سلطان) ولكنه انضم بقواته إلى السلطان العثماني سليمان القانوني، وذهب إلى تبريز حيث التقى بالصدر الأعظم وبالقائد العثماني إبراهيم باشا، فضلا عن السلطان سليمان نفسه على ما يذكر المؤلف، وأخيراً وقع في أيدي رجال الشاه طهماسب فاعدم سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م، لين بول : تاريخ الدول الإسلامية ٣٠٨-٣٠٩ .

(٢) هو الأمير كراي، أمير دولة القرم، وقد تقدمت الإشارة إليه .

استمالت معها القلوب وتطيبت،مطلقا نكتا لطيفة أخذت بالألباب .

ومن جملة ما أورده السلطان من الأقوال الشريفة والملح اللطيفة :- "أن الخير والشر والنفع والضر من مشيئة الملك القدير والسلطان الوزير والقاهر لعباده وهو الحكيم الخبير" ،فكل من اكتملت عين بصيرته بكحل التوفيق الرباني فقد استنار ضميره بنور الإلهام السبحاني ،ومن يتوكل على الله فهو حسبه ،وعليه أن يتخذه شعارا له،ويعقد العزم في أموره بمقتضى "أفوض أمري إلى الله"[1]، أو آنئذ،أينما يولي وجهه فإنّ الحظ سوف يبتسم له بعون من العلي القدير،ويكون السعد حليفه في كل الأمور وتكون الغلبة على الأعداء في جانبه .فعلينا عقد العزم نحو ذلك بالهمة المزيدة، وأنْ نسير على هديها،ونغطي وجوه الصحارى والقفار بجيوش جرارة،لنقُضَّ مضاجع الأعداء ونجعل الدنيا تضيق بهم وتميد الأرض تحت أقدامهم حتى يسري مفعول الطفرة البادشاهية على العالم بأسره،وتكون مناقب فاتح الأرضين متداولة في كل مكان " .

وما أن فاه بذلك،وإذا بجموع المحتشدين في الديوان يهتفون سمعا وطاعة وأن الأمر للسلطان <ب ٢٩> ملك الدوران وصاحب الزمان.. وقد أنعم السلطان ذو سمة الشمس المنيرة على الحضور من ذوي التيجان وقادة الجيش والأمراء أصحاب السعادة بالخلع الفاخرة،وكذلك على سائر الوجهاء والفوارس والضباط المشاة وعلى الكثير من غيرهم من قواليه[2]وعبيده بمختلف الهدايا والعطايا،فأغرقهم بإحسانه وألطافه.

وقد قضى القوم وقتاً ممتعاً حافلاً بالمرح والمسرات، ولمدة أربعة أيام في ذلك المكان .ومن ثم،وبناء على رغبة السلطان،امتطى جلالته صهوة جواده ميمّماً شطر بلدة سلطانية[3] التي هي زهرة (عراق العجم). وقد حفل الطريق المؤدي إليها بالمخاطر والمهالك بحيث أدت إلى فرح النسور الكاسرة وابتهاج الأسود المفترسة لما وجدت فيها من أشلاء الأعداء.

---

(١) المؤمنون الآية ٤٤

(٢) "قول" باللغة التركية تعني :العبد المعتق (المترجم)

(٣) تقدم التعريف بها

أما المنازل والمحطات الواقعة في تلك المنطقة يوم ١٧ ربيع الأول من تلك السنة، فكانت كما يأتي :-

سعد آباد <ب ٢٩>

أوجان <ب ٣٠>

خان عباس <أ ٣٠>

قرية توركمن <أ ٣٠>

قارانو جاي أو قره دبّه <ب ٣٠>

ميانه <ب ٣٠>

قبلانية <ب ٣٠>

سرجه خان <أ ٣١>

خان نيكباي <أ ٣١>

قصبة زنكان <أ ٣١>

سلطانية <ب ٣١> و <أ ٣٢>

< ب٣٢ > لما حلّ حضرة صاحب الآيات الباهرة وناصب الرايات الظافرة، ذو القدوم السعد اللّزوم والعسكر الظافر الملجوم، في قضاء "السلطانية" ولواء النصر يرفرف فوق هامته وقد وصلها بالإقبال نازلاً فيها بالإجلال، وازدانت أطرافه بالأعلام الحمراء الوردية كذيل الأفق عند الغسق أو الشفق، وقد غطّتْ وجه الأرض بأطراف البساتين والمزارع، وبالسرادق والخيم ذات الألوان الزاهية والمتنوعة التي تأخذ بالعين والمزهوة بنقوش جميلة كالحرباء.

وهناك على الطرف الآخر، كان العدو اللدود والخصم العنيد قد قرب أجله وباتت دولته على قاب قوسين أو أدنى من الزوال. وسوف لايتجاوز عدد أيامه الباقية عدد أصابع

اليد،وذُبلت حياته ذبول الزهرة قصيرة العمر،وتحول أتباعه إلى أصحاب الفيل الذليل، ولحقت النكبات بعد النكبات بأحباب (أردبيل)[1]، فصدق فيهم القول: "سيهزم الجمع ويولون الدبر"[2]،إذ انقلب إقبالهم إلى إدبار، وعرض الحجاب على أعينهم وضاقت الدنيا على المتباغضين، وتشتت شملهم ومن نجا منهم برأسه فقد ربح . .لذا فقد قرَّ قرارهم على الفرار لتبدل سعدهم بالنكد، وأنزلوا سفينة النجاة في عرض بحر الهزائم وأطلقوا السيقان نحو صوب (همذان) و(آرامند) و(قلعة جبل ألوند)[3]..ومن جملة من لم يحذ حذوه، كان أمير أمراء (أصفهان) منصور الأكابر والأعيان (محمد خان)، إذْ سار على نهج "وما الخلاص إلاّ بالإخلاص"، وحضر مبعوثوه بين يدي السلطان عارضين التبعية والعبودية والندم والتكفير عن الذنوب، وأن يقدم " محمد خان"، عن طريقهم العذر ويستمد الأمان، ولم يكن جواب السلطان الملائكي الخصال، إلا :-

العفو عن المجرم من مواجب الكرم
وقبول المعذرة من محاسن الشيم

< أ ٣٣ > فقبل السلطان عذره واعتبر مطاوعته قبولاً وعفا عنه وزوَّد مبعوثيه بكتب الأمان اللازمة، التي على إثرها جاء"محمد خان" يسعى بدوره لعرض مختلف أنواع الابتهال والتضرع وأصناف الاستكانة والتخشع إلى السدة التي ذات مقام بمستوى السدرة، ويطرق باب دولة الخيمة الرفيعة ليحظى من السلطان بنوال الصفح والعرفان، بعد أن أقرّ معتذراً عن كل هفوة صدرت ومن سيئات بدرت مبيناً الندم والأسف.

ونظراً لما كان يتصف به هذا الرجل من خصال حميدة ومزايا رشيدة كالفتوة والشهامة والشجاعة، يستحق عليها كل العناية به وتجدد الشفقة به، فلقد جرى تكريمه بمنح الراية

---

(١) يريد اتباع الطريقة الصفوية التي نشات في مدينة اردبيل.

(٢) القمر آية (٤٥)

(٣) تقدم التعريف بهذين الموضعين.

إليه قبل أن يرسل إلى صوب (عدل جواز)[1]بعد أن أنيط به واجب المحافظة على الحصون القائمة في تلك المنطقة والإشراف على حراستها بكل ما أوتي من الهمّة والغيرة والنشاط. كما جرى توظيفه بمهمة المراقبة والتربص لمحاولات الفتن وأعمال الدجل من قبيل أفعال "يأجوج ومأجوج" والضرب على أيدي القائمين بها،والتصدي إليها فوراً بحدّ الحديد ذي "البأس الشديد"[2]دون هوادة، وسد الطريق لكل من يسلك مثل ذلك السبيل بنصل السيف الحاسم.

كما جرى إرسال أولاده صوب مدينتي (تبريز) و(وان) للحفاظ على أمن المناطق المذكورة والمحفوفة بالمخاطر والمهالك، وخصوصاً مراقبة تحركات العدو سيئ السيرة في تلك البقاع، وقمع أية بادرة مريبة تلوح في الأفق، وأنْ يكونوا على أهبة الاستعداد لشن الغارات المميتة على الخصوم والأعداء في حالة حصول أية فرصة سانحة فيقدم بقدم الشؤم على ذلك البوم، وعدم ادخار أي جهد تجاه قوات ذلك " الشاه" .

وكذلك جرى توجيه نصائح سديدة إلى القائد المتوّج صاحب الأجناد "مظفر خان"[3]بالأساليب الملائمة والطرق السليمة والوسائط اللازمة،حيث تم تطييب خاطره بأنواع الكلم الطيب، فأنعم عليه السلطان المعظم بالخلع الفاخرة، قبل أن يتم إيفاده إلى جانب مملكته المشهورة (كيلان) مع الإيعاز إليه بأن يكون على حذر من <ب٣٣> أمر ذلك الوغد إن بدا له أن يتوجه إلى تلك البقاع، ابتغى أن يورث الضرر في السكان الآمنين وقراهم وممتلكاتهم ويلحق بهم الأذى بأي شكل من الأشكال، أو ينهب ويسلب أموالهم، فعليه مكافحته ومطاردته فوراً ليستأصل شأفته حالا دونما إتاحة فرصة له للراحة قطعاً.

وبعد أن انفض الديوان، انصرف صاحب الجلالة السلطان إلى تدبر شؤون الحرب ازاء احتمالات قيام الخصم القديم والعدو اللدود الحسود بأعمال معادية لا يحمد عقباها، لذلك

---

(١) مدينة تقدم التعريف بها .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾ سورة الحديد الآية ٢٥.

(٣) هو أمير كيلان، وقد تقدم التعريف به .

فقد رأى أن من ضروريات الأمور وأولوياتها اتخاذ الحيطة والحذر تجاهها منذ الآن، وسبق النظر في الأخطار، وعقد العزم، بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى،على أن يقلع من ذلك الموقع والتوجه نحو (همذان) حالاً، فكان له ما أراد وأمر به. وبحل وترحال من منزل إلى منزل، وعبوراً من قصبة (أبهر)،[1] ومروراً بـ(آب كرم)[2] تم الوصول إلى سفوح جبال (قره خان)، تلك المنطقة المتعرجة والمتموجة، ذات المسالك الصعبة والفجاج الضيقة، التي تملأ السحب السوداء الهوجاء سماءها فتتوّجها كقلنسوة داكنة،وذات الممرات والمضائق المليئة بالعقد والنتوءات بحيث لايمكن اجتيازها إلا بشق الأنفس، فقد كانت كل صخرة فيها تشبه رأس غوْل، وكل عين ماء فيها تحاكي عين ثور.

وعندما بلغ الموكب تلك الجبال التي تعانق سقف السماء، تبين أنَّ ارتقاءها والصعود إليها وتسلقها من الصعوبة بمكان،لاسيّما وأن الحيوانات المفترسة كالأسود والنمور والدببة قد اتخذت من قممها ووديانها وهضابها وقلالها وتلالها ملاذات آمنة لها. لذلك استدعى الأمر إعداد الخطط وجلب العدد والوسائط اللازمة لتسلق تلك الجبال الصعبة. وانتظاراً لجلب تلك المواد وتأمين استحضارها وتهيئتها تقرر التريث لمدة يوم واحد بالقرب من قرية (آدا) الواقعة في سفح الجبل المذكور،قبل أن يتم الصعود إليها منذ الصباح الباكر لليوم التالي بمساعدة الحبال الخاصة بتسلق الجبال، حيث تمكن الجند من السير في مناكبها وارتياد فجاجها ومسالكها ولدى انطلاق العساكر المنصورة في دروبها، ارتجت الأرض تحت أقدام الجياد <٣٤أ> بينما صارت الجبال تردد الأصداء التي وقعت عليها وتعكس أصوات الصخب والنعرات الآتية إليها وقد ضَجَّ بها وجه اليابسة، وكان مثل أديم الأرض، وكأنه في ذلك شبيه الرماد الخامد والماء الجامد، فكانت شوكة سلطان العالم وعزّه وقدره من الرفعة وقدْر دولته من البأس بمكان، وكان السماء العالية الشماء قد رضيت أن تكون عبداً مملوكاً يحمل حلقة الدقّ في أذنه أمام أبواب سعادته الرفيعة، وأن تغرق الشمس الدنيا بضوئها

---

(١) مدينة تقدم التعريف بها .

(٢) اسم نهر في سفح جبل قره خان، رسمه المؤلف في الورقة ب٣٧ ويعنى الاسم (الماء الحار) .

الساطع وتجرع الكأس في مجلس عشرته.

وكان بفضل جرعة عدله الروحاني وعقل حكمته اللقماني، فإن السلطان الذي نشر في الأرض نظاماً جديداً، وبث في العالمين انتظاماً حديثاً،قد شد الرحيل إلى صحراء (دركزين)[1] بالسعد. ولما نزل فيها، كان الشاه السيئ الأفعال والعدو الذي مآله النكبة، قد أصابته الحيرة في أمره ودبّ اليأس في قلبه بعد أن تاه في وادي الكوارث وضاع في جزيرة الملامة والحوادث هائماً على وجهه. فاجتمع أركان دولته وأعيانها المحرومون بأجمعهم من الدراية والإدراك، يتداولون في أمور الساعة مستعرضين شؤون الموقف، قائلين: إن كل ما لحقنا من المذلّة والهوان كان عمل أيدينا، إذ اتبعنا الهوى في مسلكنا وركب الغرور رؤوسنا وكنا من الغافلين،حين اعتمدنا الصولة في تعاملنا استأسدت الدولة مع الآخرين في سياستنا، وقد فات عنا قوله تعالى : "إنَّ الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا"[2]، فقلد عبدنا الأهواء والتيجان، وعزفنا عن الحق وسلكنا طريق البغي والعدوان، ولم نستمد العون والمدد من الجيش والرعية،ولم نقبل الاستنداد من أرباب البلاد، فقلبت الدولة علينا ظهر المجن، فإذا أدار الحظ عن المرء السعيد كانت عاقبة أمره خسراً في كل ما يعمل.

ولاغرو أن يهب النسيم بعناية ربانية ويسقط الندى بهداية صمدانية، ليؤديا إلى تفتح زهرة الأمل بالتالي في حديقة الأماني، "وما النصر إلاّ من عند الله"[3]، فذلك ما دبجه القلم: "والله ينصر من يشاء"[4]. فكرة الأنساب والأتراب ماهي إلاّ أسطورة في ذلك المصنع.

---

(١) تقدم التعريف بها

(٢) الأعراف آية ١٥١.

(٣) آل عمران آية ١٢٦ .

(٤) الروم آية ٥.

ان الذي لم يشد العون من الله أزره

فلن يسود الملك ولو استنفر الناس جميعاً

وفي مثل هذه الحالة يجب الضرب عن الغرور صفحاً، ومجانبة سبات التغافل ثقلاً،فهل يمكن أن نخطط لمواجهة مع قوات نسر السلطنة وعقاب الخلافة لدولة قوية الأركان ورصينة البنيان مع فكر فاسد من ضرب المحال، لاسيما وأن جندها الجرار كالفلك <ب٣٤> المشحون برايتهم الخفاقة قد أوتوا النصر المقرون :- "ألم تروا كمْ أهلكنا من القرون"[١]فبهذا الاعتبار نرى من الأولى أن نسعى إلى عرض التبعية لأجل النوال من نصاب عدل ذلك السلطان والتمتع بمآثر عطفه، وإلا ففي عكس الحالة وحتى لو تسنى لنا القرار تحت الأرض كالسمكة، أو الفرار إلى السماء كالقمر الذي يجوب الفلك،فأنه سيخرجنا حتماً من ديارنا وبلادنا عنوة بضربات السيوف الهندية، وطعنات الأسنة اليمانية، ويرينا موارد الهلكة بالسهام الصائبة، لذلك فمن باب الاعتبار أن نسعى إلى ذلك الملك القوي وصاحب الزمان السوي لنعرض أمامه الطاعة ونطلب الزلفى،عسى أن يُمنَّ علينا بالبقاء في أرضنا كما كنا فيها فيما سبق. وكذلك، أنت بدورك شاور أمراءك ونوابك وأصحابك وأترابك في هذا الأمر، فالمشاورة حصن السلامة والأمن من الملامة، والأمر منوط بكم أيُّها الشاه الرغيد ذو الرأي السديد .

فسكتوا عن الكلام انتظارا للجواب .

وبعد هذا، اعترى الخوف فكر الشاه المذكور ،حسبما ورد في قول الحق جل وعلا :-"فأوجس في نفسه خيفة"[٢]، إزاء ما جرى على بساط البحث من أُمور جسام، ولكنه، وبدواعي الحمية الشاهية والغيرة البادشاهية ، قد رفع رأسه، ورد بجواب ملؤه الحكمة وخطاب طافح بالغيرة ، قائلا :-

يارجال توران الشوس، ويا وجهاء إيران الكرام، أولا تعلمون بأنَّ ذلك السلطان القادر

---

(١) الإسراء آية ١٧ .

(٢) طه آية ٦٧

المتعال، له ملك لايبلى وحكم لايزال، غير مالك الملك ذي الجلال والإكرام، بيد أن الحكام والسلاطين متسمون بالمجاز، وهم عرضة للترقي مرة وللتنزل مرة، وهم كل ساعة في شأن من التبدل والانقلاب، فالدولة الشاهية هي هبة من الله، ولاعبرة لكثرة الأسباب والسيوف والسهام وحدة الطباع، ولكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة، وليست البطولات إلا حصيلة السقوط والنهوض ‹٣٥أ› والحكم هو ثمرة الأخذ والعطاء، فالماء يكدر حتى يعود إلى الصفاء، فلا نهاية لدروب أحوال السلطنة، ولا غاية لدقائق أمور الخلافة، وكذلك الشؤون ذات الحكم في مصانع القدرة والأمور ذات العبرة في مرسم نقاش للحكمة دون حدود، فقد تكون الدودة طعمة للأسود تارة وقد تسلط البعوض على الفيلة تارة أخرى وتكون الغالبة على أمرها، وإن سنة الله لهي الجارية في كل زمان على هذا المنوال أبداً، فإن أراد فتح أبواب الرحمة على عبده فيخضعه لامتحان عسير لبضعة ايام، وسوف لن تجد لسنة الله تحويلا. كما أن حكمة الله تسري على نمط بحيث إذا أراد أن يهيئ أسباب الظفر لأحد عباده ممن غلب على أمره فإنه يبتلي قلبه لبعض الأيام بأنواع من المحن والهموم، وسوف لن تجد لسنته تبديلا. غير أن مقولة "المنكسرة قلوبهم" لايعلمها إلاّ أولئك الذين لايقصرون في توجيه الشكر إلى الباري تعالى وحضرة الوهاب المطلق في مثل أيامنا العسيرة وظروفنا القاسية الشديدة هذه، وكذلك لهم "فللرحمن ألطاف خفية" قول معتمد لديهم، إذ يترصدون به للعناية الإلهية السعادة غير المتناهية، وأنَّ الوقوع في المصائب ونزول النوائب هما بشرى لعباد الله،حيث يرمزان إلى: "إنَّ مع العسرِ يسرا"[١]، و"إذا أصابتهم مصيبة"[٢]، وإنّما هما حكمان مؤكدان، و"إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"[٣]لأمر مؤبد.

وفي هذا الوقت بالذات، إذا جاء السلطان، ظلّ الله والخليفة في أرض الله، يستعرض عضلاته القوية، ويكشف عن وسائله الحربية التي لاتحصى ولا تعد، فلا عجب في ذلك،

---

(١) الانشراح آية ٥،٦ .

(٢) البقرة آية ١٥٦ .

(٣) الزمر آية ١٠ .

فهو الغازي في سبيل الله والمجاهد لوجه الله، وعلى الخصوص فإن آباءه الكرام وأجداده العظام، قد أخذ شأن عروشهم ونفوذ أحكامهم بالنمو والازدياد، ولا سيّما منذ تاريخ سبع وثمانين وتسع مئة[1] للهجرة النبوية الشريفة، فأخذ أمر تاجهم الوهاج بالابتهاج يوما بعد يوم، اذ يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد، وذلك ما يسره الله له وقدره في عهده،ورفع من قدر بنيان دولته وبوابتها وأروقتها<ب٣٥> وأن كيانها ذا النجم الميمون ومنظر جماله الطاهر، وبالشرف التام والرونق التمام قد بسط بها القوانين العادلة السلطانية، ونشر على وفقها تقاليد الانصاف العثمانية على الوجه الوجيه وأحسن الطريق بترتيب وتنسيب وتحقيق وتطبيق، حتى أصبحت أسس الممالك الإسلامية مرتكزة على وجودهم وقد استوى قائما ومستقراً على ذلك، واستنادا إلى قوله تعالى:- "وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجة"[2] فإنهم قد اتخذوا العزة والجهاد والسعي وراء الاجتهاد وسيلة شافية وذريعة كافية وشعاراً بارزاً لهم، وإنهم قد دأبوا على مكافحة كلٌ من سَوَّلَت له نفسه المخالفة وإظهار العداء تجاه الملك والمملكة أيام سلطانهم وأعوام حكمهم، سائرين على نهج: "وجاهدوا في سبيل الله حقَّ جهاده"[3]، فذلك كان شأنهم في التصدي لكل تحرك معادٍ خلال سني عهودهم، ولم يمر عام لم يغْزُ فيه غزوة ذات شأن، ولم تسلم أية مدينة عن امتداد أيديهم إليها في ميمون عهدهم.

إن دعوة النفير وإحراز النصر المبين وتدوين الاسم في رأس قائمة الملاحم البطولية لأكاسرة هذا الزمان لهي خاصة بهم لوحدهم من قديم الأيام والأزمان، وذلك بموجب قول العلي القدير: "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتَدِهْ"[4]، وجرياً على ذلك النمط، فإن

---

(١) هكذا كتبها المؤلف واضحة في الاصل،ولا شك في أنَّ قلمه سبق في ذكر هذا التاريخ،لانه تالٍ لزمن كتابة الرحلة ،بل تاريخ وفاة المؤلف نفسه. والراجح أنّه أراد (ستمائة) لأنّ هذا تاريخ تولي عثمان مؤسس الدولة العثمانية الإمارة بعد أبيه .

(٢) النساء آية ٩٤ .

(٣) الحج آية ٧٨.

(٤) الأنعام آية ٩٠.

السلطان هذا، وهو القوي ذو البأس الشديد على وجه البسيطة قد سلك مسلك آبائه الكرام، وسرى في أثر أجداده العظام، فحالفته التوفيقات السبحانية والتأييدات الربانية في تناوله مشاريع إحياء سنة رسول الله وإعلاء كلمة الله، حيث بذل كل ما في مقدوره في سبيل ذلك الأمر الجلل، ولم يدخر وسعاً في إنجازه، فكان من نصيبه الذكر الجميل من وراء ذلك في الدنيا والأجر العظيم في الآخرة، كما جاء في الآية الكريمة : "ومن يقاتل في سبيل الله فسوف يأتيه أجراً عظيما"[١]، وما دامت الحال هكذا ولأجل مصلحة المسلمين ومآل أحوال المؤمنين، فمن باب أولى إتاحة فرصة لبضعة أيام لهذا الخصم المبين، وترك الميدان له ليصول فيه ويجول وفق هواه، وسوف نولي وجوهنا شطر الإمام سهل عليّ[*]، ليتسنى لنا الخلاص من جنده المنصورين الأعداء ذوي النباهة الملائكية<أ ٣٦> لإيجاد بعض المناص منه، حتى إن حالفني العون الرباني وآزرني الفضل الرحماني، فإني سوف أعمل على جيشان ذلك اليم وإحداث السيول الجارفة في نهر الغوغاء العارم، ولسوف أزيل اسم أولاده وأزلامه من دفتر الوجود برؤوس السنان، وأضيف إلى أولئك من لَفَّ لفهم وجمعوا شملهم من الوحوش والأوباش الذين تسببوا في إحداث كل هذه الفتن والفساد .

ولقد عملت على الكف من شرورهم وآثامهم، وحاولت حفظ البلاد من دنس تجاوز أقدامهم، ولسوف أحاسبهم حساباً عسيرا على تلك الأعمال الشائنة التي اقترفوها في حق الرعية والجيش والبلاد، بحيث إنَّ: "من أساء فعليها وجزاء سيئة مثلها"[٢].. أما في أيامنا هذه وفي وقتنا الحاضر فليكن الميدان مفتوحا والمجال مفسوحا لبعض الوقت لهم كي يعبثوا ويفعلوا على وفق هواهم ومثلما يشاؤون، ويطلقوا أيدي عباد الله ليحركوهم كما يريدون .

وبعد ذلك، وجه خطابه إلى كبرائه القليلين وأمرائه الذليلين قائلا : أما أنتم، فما رأيكم الخاص بشأن هذا الموضوع ؟..اطرحوه لكي نرى،فكان جواب هؤلاء : إنَّهُ بدلا من وطء

---

(١) النساء آية ٧٣.

(*) هكذا في المخطوطة،ويبدو أن قوله «الأمام سهل علي» اسم بلدة سيأتي الحديث عنها .

(٢) فصلت آية ٤٦ .

أقدام الهمة على ركاب الأناة بإصرار، فإن الأولى بنا رمي سهام الفتنة والفساد وتسوية قوس الغرور والاستكبار، فنحن نرى أنه لا قبل لنا بمقابلة هذا الحاكم ومقاتلته بأي حال من الأحوال،والأمر منوط لرأي حضرة الشاه.

رَدَّ الشاه على ذلك : إنما هذا فكر فاسد وتصور كاسد، وإن الأجدر بكم أن تشمروا عن ساعد الشجاعة من كم الحمية، والكشف عن يد النزال بأي شكل من الأشكال،كي يظل بذلك أصبع التعجب للمريخ صاحب السيف في فم الحيرة، وليكن كفاحنا ونضالنا مصدر عبرة للدهر والدوران. . .وإن مبشر العالم الغيبي الذي هو ملهم الصواب الذي لاريب فيه، فبمقتضى رأيه الموسوم بالسعد دوماً، قد ألهم إلينا مبشراً عن طريق: "فأوحى إلى عبده ما أوحى"[١]، "وإن هو الا وحي يوحى"[٢]، بأن <ب٣٦> الفرصة ستكون من نصيبنا نحن، وسيكون النصر حليفنا، فما الضَّيرُ إنْ كان قد حدث شيء من التعقد في أحوالنا وبعض الشدة في أمورنا في بادئ الأمر بوجه عام .

وعلى هذا الأساس المتضمن ترهيبا من جهة والمحتوي ترغيبا من جهة أخرى، صرف الشاه بعض الكلمات والعبارات، مستخدما الكثير من الاستحالات، وهو يحثهم بها على الصمود والتجلد قبل أنْ يغادر حرور[٣] مع جيشه المنكوب نحو (سهل علي)عبر جبل (آق أورن)[٤] مارا بـ(سك وركش)،لم ينتظر سلطان الفلك كثيرا حتى تحرك وراء الشاه معقبا إياه على رأس جيشه المنصور وفرسانه المظفرين، حتى وصل إلى (دركزين)[٥]ليحل قريبا منها في الموضع المعروف باسم (لعلين جمن)[٦] الواقع مقابل (همذان)،وهاهي المنازل التي

---

(١) النجم الآية ١٠ .

(٢) النجم الآية ٤.

(٣) تقدم التعريف بهذا الموضع

(٤) تسمية تركية مؤلفة من لفظين ، آق = أبيض ،آورن ،بمد الألف ،حجر الطلق المعروف ، فيكون معناها الطلق الأبيض .

(٥) بلدة قرب همذان تقدم التعريف بها .

(٦) موضع رسمه الرحالة في الورقة (٣٨أ) ولم يكن معمورا، يطل عليه من يمينه جبل عال ، وعن شماله نهر جار يفصله عن قرية سازين الواقعة على مشارف مدينة همذان.

مر بها بدءا من (السلطانية)[١] ووصولا إلى(همذان) :ـ

صحن قلعة[٢]

قصبة أبهر[٣]

زاوية بارسبان[٤]

آب كرم[٥]

دربند قاراقان.[٦]

قرية هميان [٧]

قصبة دركزين [٨]

---

(١) تقدم التعريف بها .

(٢) رسم الرحالة هذه القلعة بريشته على الورقة (ب٣٦) ويتضح من هذه الصورة أنّها كانت قلعة منيعة تحيطها أسوار محكمة بأبراج عالية، عند سفح جبل عال.

(٣) تقدم التعريف بهذه القصبة .وقد رسمها الرحالة في الورقة (٣٧أ) فإذا بها بلدة حصينة ،يحيط بها سور ذو أربعة أبراج، وفيها جامع بمئذنة عالية ، وقبتين ، وضريح على مدخله مئذنتان . وبين دور البلدة وسورها تظهر أشجار السرو.

(٤) الزاوية =الرباط، والتكية = وبارسبان :الفرس.وقد رسم مسطرا في زاده هذه الزاوية في الورقة(أ ٣٧) ايضا، فإذا بها تتألف من قبة كبيرة، تجاورها قبة أصغر منها، يظهر أن احداهما كانت تعلو ضريح أحد الأولياء المدفونين فيها، ويحيط بالزاوية سور،وهي تقع مقابل بلدة أبهر المذكورة .

(٥) تقدم التعريف به.

(٦) قاراقان تسمية تركية معناها: الدم الأسود،والدربند : المضيق، وما هو واضح في الصورة التي رسمها المؤلف في الورقة(ب٣٧) فإنّ هذا المضيق كان يخترق سلسلة جبلية وعرة،وكان يجري في أرضه نهر يتفرع من نهر كانت تقع عليه قرية هميان التي سترد الإشارة إليها

(٧) قرية تقع على ضفة نهر كان يجري عند سفوح سلسلة جبلية هناك . انظر الصورة في الورقة السابقة .

(٨) تقدم التعريف بها.

قرية سازين[1]

لعلين جمن [2]مقابل (همذان)

مدينة همذان[3]

‹ ٣٩أ›

ولما وصل السلطان إلى تلك الصحراء، حل فيها لبضعة أيام، حيث جرى تحسس تحركات جماعة الـ(قزل باش) من الثعالب الأشعاث ومساكنهم، فاتضح بأنهم غادروا من نواحي (أصفهان)[4] نحو الإمام (سهل علي)، وبما أن سيرهم في هذه المنطقة كان عسيرا، وملاحقة قوات السلطان المنصورة لهم متعذرة من جهة، وأن الشتاء قادم وأصبح على الأبواب بِقُرِّهِ ليحتل الأَطراف والأَكفاف بجيش البَرَدِ اللجب الجرار مورثا الخسار في الأنحاء والجوار من جهة أُخرى .

واكـــفـــهـــر وجـــه الـســمـــــاء من البـــرد

وبـــدت فـــي خـــــــــــــــــدودهـــا الـــزراق

---

(١) قرية رسمها المؤلف في الورقة (٣٨أ) من كتاب رحلته ، ويظهر من صورتها أنّها تقع عند مشارف مدينة دركزين.

(٢) موضع لاعمران فيه ، يقع بقرب جبل عال ،ويفصل بينه وبين قرية سازين المذكورة نهر جار .انظر الورقة (٣٨أ)

(٣) تنظر صورة همذان في الورقة (ب٣٨)

(٤) يتضح من هذا أن السلطان سليمان اكتفى من جملته العسكرية بالوصول إلى همذان،ولم يغادرها، بعد ذلك لملاحقة فلول الصفويين، ويظهر أن نيته قد انعقدت إذ ذاك على التقدم باتجاه بغداد وطرد الحكم الصفوي منها دون القضاء على الدولة الصفوية نفسها. وعلى أية حال فإن رواية مطراقي زاده هنا تنفي رواية أوردها اسكندر بك منشيء تركمان (تاريخ عالم اراى عباسي ج١،طهران ١٩٥٥،ص٦٧) تشير إلى أن السلطان كان في مدينة (السلطانية)قرب تبريز،حينما قرر التوقف عن ملاحقة الشاه،والتقدم باتجاه شهرزور والموصل لقضاء فصل الشتاء هناك،وأنه غير خطته،وهو في السلطانية،بالاتجاه إلى بغداد إثر تسلمه دعوة لفتحها من العامية الإيرانية فيها.

وتساقطت أغصان شجر الصفصاف

وتجمدت أقدام الغدير

ولما تغطى النهار الواضح الصحو بأغطية الظلام العملاقة، ظهرت السحب السوداء في صفحة السماء، وبانت أقواس القزح في الأجواء، وكأنما هي تحرس الآفاق، وقد أخفى قرص الشمس سهام أشعتها في غمد الظلام، وأسلمت نفسها للنوم وراحت في سبات عميق كباقي النيام، بينما كان فلك الشمس قد نشر الشراع كالفلك الجاري في الماء ،وهو يجول كالطائر، فإذا به في أعماق البحار. أما قمم الجبال المحفوفة بالرهبة فقد تعممت بالغمام ، وصارت البراري والقفار تحت حجاب من الضباب، تنقبت وجنات الجبال بحجاب السحاب وأمسى وجه السماء ذا عقد مشابهة لسور الصين العظيم، وغدا سطح الارض الخشن شبيهاً بالدرع المعدني المصنوع من النحاس، كما انسدت مجاري المياه في بطون الأودية لتتجمد المياه فيها بفعل البرد، وتعطل الماء في جريانه من جراء الهواء القارس <ب٣٩> وتجمدت قطرات الأمطار الساقطة على أغصان أشجار البلوط كقطع من الزجاج المتكسر، وتجمدت الغدران فصارت تماثل ينابيع الماس، بينما تحولت الأنفاس البشرية فور خروجها من فم الإنسان إلى لؤلؤ رطب وقد خرج من أصدافه، واحتجب كل من الشمس والقمر وراء السحب والغيوم، وتحول ركام الثلوج إلى جبال هائلة تعلو في الأفق وتسبح جارية في الفضاء،وبذلك امتزجت ألوان الأرض وبهجتها بظلمات سحب السماء فكونت دخاناً كثيفاً، فلم يعد الوقت أواناً للغزو بالمرة[١]

ولذلك صار من مقتضى الظروف والأحوال إتاحة الفرصة للأعداء وإفساح المجال للخصوم ليصولوا في الميدان ويجولوا إلى حين في تلك الأصقاع، فقرر السلطان، صاحب

---

(١) تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن سوء الأحوال الجوية في هذه المنطقة الجبلية أدى إلى عرقلة جَرّ مركبات الجيش ومدافعه الثقيلة ، مما أدى إلى تَدَنٍّ ملحوظ في معنويات أفراده. وأن قسماً من الجيش أبدى تبرمه من السير في هذه الظروف الصعبة والطرق الموحلة، بل طالب السلطان بالعودة إلى بلاده . ينظر رضا قليخان : تلحقات روضة الصفا ناصرى ٨/ ٥٩ وشرف خان البدليسي :شرفنامه ١٦١.

الطالع السعيد وسليمان الزمان الذي تعانق بوابته أبواب السماء، خلدت خلافته وأيد الله سلطنته،شدَّ الرحال مع أجناد جهاده وخيول جيشه من (همذان) متوجهاً نحو مقر الخلفاء الراشدين[١] ومسكن الصلحاء الصالحين الواقع على ضفاف نهر(دجلة)والمحاط بأشجار النخيل الباسقة والموصوف بلطافة الفضاء ونظافة الجو، مدينة دار السلام (بغداد)، حيث لوى إليها عنان العزيمة ولجام الهمة.

وما أن وصل نبأ ذلك إلى مسامع (محمد خان)[٢] الذي نصبه الشاه الضال في منصب أمير أمراء (بغداد) لحفظ البلاد والقبض على زمام الأمور في تسيير شؤون العباد، وأيقن بأن ذلك الشاه قد أفل نجمه وخبا حظه، وبَانَ طالعه في جانب أفق النحس، وأمسى في عداد أصحاب الفيل الذليل، بعد أن حلت النكبات في أرجاء جميع منطقة (أردبيل)، فإذا به يوفد (الخواجة حسن بن دانيال) الكهية[٣] على مدينة (بغداد) إلى حضرة السلطان على جناح السرعة للقيام بواجب الاستقبال وعرض فروض الطاعة والخضوع للسدة السنية بكل اعتزاز لذى أبواب السعد والإقبال[٤].

---

(١) يريد الخلفاء العباسيين.

(٢) هو حاكم بغداد عهدَ ذاك الأمير محمد خان سلطان الدين أغلي تكلو خان،وقد عينه الشاه طهماسب حاكما عليها إثرَ إعادة احتلاله إيّاها، بعد حركة ذي الفقار الاستقلالية، سنة ٩٣٥هـ.

(٣) الكهية، مخففة من كاخية، وهذه مرخمة من(كتخدا) التركية المؤلفة من مقطعين، كد=بيت،وخدا=صاحب،رب . وتطلق بوجه عام على من بيده تصريف الأمور،كالمختار، والعمدة، والحاكم. وتطلق سجلات الأراضي العثمانية الموضوعة في القرن العاشر للهجرة (١٦م) هذا الاسم على رئيس العشيرة، ورئيس المحلة في المدينة .ويكشف هذا النص عن أن (الكهية) هنا كان يشبه أن يكون مساعداً لحاكم المدينة وهذا المعنى هو الذي تأكد في العهود العثمانية التالية، فأصبح اسماً لوظيفة مساعد الوالي ومعاونه، فهو بمثابة الوزير للوالي والمرشح لتولي الحكم بعده.

(٤) ثمة رواية تشير إلى أنّه كان يحمل معه مفاتيح بغداد إعلاناً منه عن طاعته التامة للسلطان(حسن روملو: أحسن التواريخ،كلكتا ١٩٣١،ص٢٥٢) بينما يذكر مرتضى آل نظمي(كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس،بغداد، ص١٩٩)أن الذي أرسل الوفد هو السيد محمد كمونة نقيب الأشراف بالاتفاق مع وجهاء بغداد وعشيرة تكلو نفسها، وأن الوفد كان يحمل مفاتيح المدينة .أما محمد خان تكلو فكان مشغولا آنذاك في معركة=

فحضر (الكهية) المشار اليه إلى حضرة السلطان ليستقبله في مضيق(جبل حمرين)[1]الواقع في منطقة ضريح شمس[2]حامل راية سيد المرسلين بالقرب من موضع (قلعة شاهين)[3]، فقام بواجب الخضوع وأداء عرض الحال والتضرع والابتهال، وعلى إثر ذلك جرى تكريمه بالإنعام والإحسان ورعايته بخلعة سليمان الزمان، وظل ماكثاً لدى الجيش المنتصر لعدة أيام.

ولدى القدوم إلى النهر المعروف باسم (طوقوز ئولوم)،[4]والموصوف بصعوبة العبور، وردت أخبار تفيد بأن (محمد خان)[5]قد عدل عن رأيه في اتباعه الفكر الفاسد الخاوي والخيال الكاسد المحال بفعل التسويلات الشيطانية والهواجس النفسانية ،فولى وجهه بلا إهمال أو إمهال،وبكل لجٍّ وعناد مصطحبا معه فُسَّاد الأجناد، وحسب المفهوم "الفرار في وقت الظفر" مرددا في نفسه :-"يومئذ أينَ المفر؟"[6]، مطلقا ساقيه للريح من (بغداد) حتى

= ضد عشيرته التي أعلنت الطاعة للسلطان. ويذكر القرماني(جامع الدول، طبع حجر ١٢٨٢هـ، ص ٣٢٠) أن (محمد خان تكلو) لما "سمع بوصول العسكر إلى حدود العراق بعث إلى السلطان بالطاعة ثم أخذ أمواله وعياله فهرب إلى بلاد العجم".

(١) هو المضيق الذي عرف أيضا بمضيق وادي درتنك، نسبة إلى قلعة بهذا الاسم كانت في قمة الجبل المشرف عليه ، ويبلغ طول هذا المضيق نحو ميل.وفيه تمر طرق التجارة ، وقد عد،منذ عهد السلطان مراد الرابع ، آخر حدود إيالة بغداد .

(٢) رسم الرحالة هذا الضريح في الورقة (٤٢أ) وحدد موقعه بأنّه يقع في السهل الذي ينفتح عليه مضيق كلهور وسماه هناك (شمس علمدار) أي صاحب العلم.

(٣) تقدم التعريف بهذا الموضع

(٤) طوقوز =تسعة . . .ئولوم=ميتة، وهما كلمتان تركيتان تعنيان(الميتات التسع) وربما (الأموات التسعة) . . .وسيرد النهر نفسه تحت اسم (ماء شمران) في الصفحات التالية (المترجم) قلنا :وهذه تسمية أخرى لنهر ديالي في المنطقة التي تنتهي إلى(دربند-خان) ويقال له أيضا سيروان وشيروان.

(٥) هو محمد خان تكلو المشار إليه في أول الخبر.

(٦) القيامة آية ١٠.

وصل إلى حيث يرقد سيد الشهداء أمير المؤمنين(علي المرتضى)[١]،فعبر النهرين المجتمعين المعروفين بـ(شط العرب)، مارا ب(آل جناح)[٢]و(آل أبيض)[٣]إلى حيث الجزر البصرية وأنهار الدوائر العراقية .ومن هناك وصل إلى(قلعة تامغة)،ومن ثم اجتاز ولايات[٤](صدر دار[٥]شعشع[٦]،جسان،وبدرة)[٧]حتى ضاع أثره في أنحاء قلاع (بيات[٨]،

---

(١) في كلشن خلف ١٩٩ أن الخان (يريد محمد خان تكلو) لما رأى أنّه غلب على أمره عبر الجسر هو وأتباعه وانحدر نحو البصرة ،ومن هناك واصل سفره إلى حيث مقر الشاه .وتفسير اتخاذه هذا الطريق أن السلطان العثماني كان يسيطر بجيوشه على الطريق النافذ ،من وسط العراق إلى إيران ،إلا أن الذي يلفت النظر قول المطراقي هنا إن الخان توجه أولا إلى مدينة النجف ، فهي لاتقع على الطريق الذي أراده ،ونستبعد أنه أراد بمروره بها محض الزيارة لأن حالة الهلع التي كان عليها ، واستعجاله في اللحاق بالشاه ، لم يسمح له باتخاذ طريق طويل، في مناطق غير آمنة آنذاك ، فلعله أراد أمراً سكت عنه التاريخ ، والأكثر غرابة أنه بعد أن عبر شط العرب سار صعداً فوصل جسان وبدرة ، وهما المعدودتان من أعمال واسط القريبة نسبيا من بغداد .

(٢) لم نقف على هذه العشيرة ،ويمكن أن يكون اسمها محرفا من آل (جباح) بالباء الموحدة ،وهي من حمائل آل طرف ، ومساكنها في منطقة الخفاجية من بلاد الأحواز

(٣) آل أبيض ، عشيرة من كندة ، تقيم في مناطق على الغربي والعزيزية وميسان وتعد اليوم جزءاً من كعب .ثامر العامري : موسوعة العشائر العراقية ج،(بغداد ١٩٩٢)ص٢١٦

(٤) هكذا سَمّى المطراقي المواضع والقرى التالية ، مع أن أياً منها لم يكن بمستوى ولاية ، بالمفهوم الإداري العثماني المعروف. ولم تكن قد دخلت في ضمن التقسيم الإداري العثماني بعد.

(٥) موضع كان في رأس الجزائر ، إلى الجنوب من بلدة القرنة الحالية .

(٦) كذا وردت في الأصل ، يقصد بها بلاد المشعشع، وهي المناطق الواقعة في الأحواز التي أقام فيها محمد بن فلاح المعروف بالمشعشع سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م دولته فعرفت باسم (إمارة المشعشعيين) نسبة إلى لقبه الذي اشتهر به ، وعاصمتها بلدة الحويزة ، الواقعة اليوم ضمن الأراضي الإيرانية القريبة من الحدود العراقية .

(٧) جسان وبدرة ،بلدتان من أعمال واسط تقدم التعريف بهما.

(٨) بيات: قلعة كانت تقع على إحدى قمم جبل كبيركوه (= الجبل الكبير) من سلسلة جبال بشتكوه ، عدت في أول عهد الدولة العثمانية في العراق ، مركزا لسنجق (لواء) باسمها ، من ألوية إيالة بغداد.

وكلاب،[١] وششتر)[٢].

وفي هذه الأيام فإنَّ النموذج الجيد للبلدة الطيبة والمثل الرائع للمدينة البارعة الجمال، التي ورد في حقها: " لم يخلق مثلها في البلاد"[٣]،وقيل في وصفها:-" إرم ذات العماد"[٤]،وهي مسكن العلماء الكرام ومدفن الأولياء العظام، وأن ترابها أطيب من النسيم وماؤها ألطف من التسنيم[٥]،حاضرة(بغداد) المحروسة والمعمورة، قد أصبحت خالية من مسؤولها الإداري، وأن أهلها يترقبون بفارغ الصبر قدوم صاحب الجلالة السلطان وحضور أهل العدل والإيمان.. فبذلك المعنى ورد الخبر إلى السدة السنية والبوابة العلية.

<ب٤٠>ولما جرى عرض الأحوال أمام سعادة السلطان، أمر حضرته بأن يتحرك قائد الجيش المنصور[٦]وبرفقته رئيس فرقة السكبان[٧] للباب العالي في المقدمة، ومن ورائهما تحرك حضرة السلطان نفسه على رأس جنده المنصورين تمهيدا لفتح المدينة المذكورة، حتى

---

(١) لم نقف على هذا الموضع ،ولعله المعروف بنهر آبو كلبين الواقع في نواحي السماوة ،وقد مرت الإشارة إليه في حوادث سنة ٩٧٥هـ(عباس العزاوي :تاريخ العراق بين احتلالين ٤ /١٠٧)

(٢) هي تستر كما سماها العرب في العهود الإسلامية ،أكبر مدن إقليم الأحواز اليوم.

(٣) الفجر الآية ٨

(٤) الفجر الآية ٧

(٥) إشارة إلى قوله تعالى " ومزاجه من تسنيم " (سورة المطففين ٢٧)ولقد حفل الشعر التركي القديم بتعبير " ماء التسنيم " المأخوذ من هذه الآية الكريمة ،دلالة على الماء العذب (المترجم)

(٦) هو الصدر الأعظم إبراهيم باشا

(٧) فرقة عسكرية ركب اسمها من مقطعين :(سك) وتعنى كلب ،(وبان) بمعنى حافظ ، او مراقب،وذلك لأن السكبانية كانوا في عهد نشأة الدولة العثمانية هم الذين يحرسون كلاب السلطان ويحملون له البنادق ويساعدونه في الصيد،ثم شكل منهم بايزيد الثاني (٧٩٢-٨٠٥هـ/١٣٨٩-١٤٠٢م) ثلاثة فصائل منظمة، ويبدو أنهم كانوا على مستوى جيد من التدريب والضبط، فقد أدمج محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٩هـ/ ١٤٥١-١٤٨١م) فصائلهم بجماعات الينكجرية (الانكشارية) وأصبح قائدهم (سكمن باشي) أكبر مساعدي آغا الينكجرية وأهمهم .

انتهى به السفر،بعد الحل والترحال خلال الطريق، بالقرب من ضريح سلطان علماء الآفاق ومالك أزمة العلوم بالاتّفاق، وكشاف المشكلات العقلية ومفتاح المعضلات النقلية، الإمام الأعظم والمقتدى المعظم، وكاشف الملة المنيفة حضرة الإمام (أبي حنيفة)، فنزل عنده بإجلال وإكرام، وخلد إلى الراحة والاستراحة .

وعلى ذلك الاعتبار، فإن المنازل والمراحل الواقعة بين (همذان)السابق ذكرها و(بغداد) المحروسة في حدود يوم ٢٣ ربيع الآخر عام ٩٤١ [1]،هي :-

آرامند	<ب٤٠>
قصبة صداوا	<ب٤٠>
مضيق صنقر	<٤١أ>
قصبة دينور	<٤١أ>
قلعة دلاور	<٤١أ>
حضرة (أويس القرني)[2]مرورا بماء (رازْور)	<ب٤١>
مائدش	<ب٤١>
قارا ملك[3]-غابة بلوط أو جدول (رخسان)	<ب٤١>
مضيق عبر (شمس علمدار)	<٤٢أ>

---

(١) الموافق ٣١ تشرين الأول سنة ١٥٣٤م.

(٢) لاعلاقة لهذا الموضوع بالقبر المنسوب إلى الصحابي أويس القرني الواقع في أراضي الهارونية مما يحاذي جبل حمرين، ينظر عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٤ / ٢٤

(٣) قارا (او مره) : كلمة تركية بعدة معان، فإما (أسود) أو (بطل) أو (الأرض واليابسة)، وهنا قد يعني (قارا ملك) أما (الملك الأسود) أو (الملك البطل) أو (الملك الأرض) . . ."المترجم" .

صوف بولاق[١]ـعبر مضيق <٤٢أ>

(كلهور) أو مرعى (اولوق) <٤٢أ>

قلعة شاهين الواقعة على جبل حمرين <٤٢أ>

قلعة (بني إمام صولي) <٤٢ب>

قصر شيرين <٤٢ب>

قصبة خانكية[٢]على حدود عراق العرب <٤٢ب>

ماء شمران أو طوقوز ئولوم <٤٣أ>

كشك سيلان[٣] عبر الماء المذكور،او(بابا بيلاوي)[٤] <٤٣أ>

سهل بردون <٤٣أ>

نهر نارين <٤٣أ>

قرية شروين أو (طاش كوبرو)[٥] <٤٣ب>

الوندية <٤٣ب>

الشيخ مكارم <٤٤أ>

جامع الإمام الأعظم <٤٤أ>

---

(١) بولاق :كلمة تركية تعني "عين الماء المنتشر حولها الماء على شكل بحيرة "وهي تختلف عن عين الماء التي يتدفق منها الماء، التي تسمى بالتركية كوز.

(٢) كذا في الأصل، ومن الواضح أنّه يقصد (خانقين) البلدة المعروفة القريبة من الحدود العراقية – الإيرانية

(٣) رجح عباس العزاوي أنْ يكون الموضع المسمى (كوشكلك زنكي).تاريخ العراق بين احتلالين ٤ /٢٦ .

(٤) بيلاو :باللغة التركية تعني (التمّن ام الرز المطبوخ)...و(بابا وبيلاوي) يعني (التمّن المخصص للاب)..."المترجم " .

(٥) طاش :يعني باللغة التركية (الحجر أو الصخر)، و(كوبرو) يعني (الجسر) و(طاش كوبرو) يعني(الجسر الحجري أو الصخري)... "المترجم" وهي البلدة التي سميت فيما بعد (دلى عباس)، وتسمى اليوم المنصورية .

<ب ٤٤>

ولما عسكر السلطان عديم القرين وكهف الخلائق أجمعين، خليفة الله على الأرضين، والمعتصم بحبل الله المتين، خلدت خلافته وبدت بشائر فرصته، في موقع صاحب مذهب الملة الباهرة، ومآثر السنة الظاهرة، سلطان العلماء الراسخين وأستاذ الأئمة المجتهدين ومرشد الدين المتين الشرع المبين، إمام الأنام والأمم، وعلامة فحول العرب والعجم، الإمام الأعظم(١)، في تاريخ ٢١ من شهر جمادي الاولى من العام المذكور(٢)،باليمن والإقبال والسعادة والإجلال.

وحين استقر هناك وطاب له المقام، ظهرت بوادر صعوبات تدارك الزاد والذخيرة لجموع أجناد الجهاد وتعذر اتخاذ معسكر في موسم الشتاء في تلك البقاع لأفراد الجيش بهذه الأعداد. لذا فقد صدرت الإجازة إلى أمراء الأناضول وروم إيلي عموماً بالمغادرة نحو جهات (الموصل وحسن كيف(٣)وآمد(٤)وروخة(٥) وبره جيك(٦) وملاطية(٧) وكاخته(٨)

(١) يريد الإمام المجتهد أبا حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المتوفي سنة ١٥٠هـأحد أصحاب المذاهب الأربعة المعتمدة عند أهل السنة، وهو مدفون في مقبرة الخيزران، التي نسبت فيما بعد إليه. وقد عرفه العثمانيون بالإمام الأعظم بوصفه صاحب المذهب الذي اتبعوه في أحكامهم الفقهية، ولم نعلم أن أحدا عرفه بهذا اللقب قبلهم، وإلى لقبه هذا نسبت محلة أبي حنيفة فسميت بقصبة الأعظمية، ودعي الباب المفضي إليها،من أبواب بغداد الشرقية بباب الأعظم، ثم بباب المعظم.

(٢) الموافق ٢٧ تشرين (نوفمبر) سنة ١٥٣٤م .

(٣) هكذا يكتبها المؤلف والصحيح :حصن كيفا،بلدة حصينة تقع على ضفة الفرات الجنوبية، بين مصبي النهرين الآتيين من شمال ميافارقين وأرزن. بلدان الخلافة الشرقية ١٤٤ .

(٤) هي قاعدة إقليم ديار بكر إحدى ديارات الجزيرة الثلاث.

(٥) كذا كتبها المؤلف،وهي مدينة (الرها)فإن الترك يبدلون الحاء هاء فتصور أنها مكتوبة بالخاء أصلاً، وتقع عند منابع أحد روافد البليخ. وقد عرفها العثمانيون فيما بعد باسم أورفة، وقيل إنَّ هذا الاسم بتحريف (الرها).

(٦) كذا يكتبها المؤلف. والمشهور (بيره جك) بلدة من أعمال الرها.

(٧) كذا يكتبها المؤلف، جريا على عادة المصادر العثمانية،وهي مدينة ملطية، بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، كما ضبطه ياقوت (مادة ملطية).

(٨) بلدة قديمة في سنجق ملاطية من أعمال ولاية معمورة العزيزة. قاموس الأعلام ٣٨٠٨.

وكركر[١] لقضاء فصل الشتاء في تلك الأرجاء، وذلك قبل أنْ يأمر السلطان صاحب الدوران وقطب دائرة الزمان، وعملا بقاعدة :- "لكل عمل رجال" ، فقد صدرت أوامره الشريفة لتطبيق وإدامة أحكامه المنيفة، وهو لازال ماكثا هناك على رأس وزرائه من أصحاب التدبير وعلماء الشريعة وأركان الدولة المحيطين به من أهل الرأي والتوقير، ولغرض لتسيير دفة الدولة ومصالح الناس في المنطقة المذكورة وفي سائر أرجاء البلاد وفق مقتضيات قوانين العدل والإنصاف، فقد تم تعين (خسرو باشا) أمير أمراء الشام، مشهور العصر ومعمور القصر، والمعروف عنه بالبطش والانتقام، واليا على (القطر المصري)[٢] المعمور والمحروس . كما صدر الأَمر بتعين صاحب المجد والمعالي قائد <أ ٤٥> فرقة المشاة في الباب العالي(محمد آغا) على (لواء حلب)، والتصدق على متبع السعادة الأسعد ومجمع المكارم الأمجد (محمد آغا) رئيس البوابين ليكون قائدا على فرقة الإنكشارية .

وفي فصل الربيع الأول[٣]، حيث تزدان الفلوات والبراري بأنواع من الزهور البرية وشقائق النعمان وبنفسج الفريدون ونرجس الزال، وهي تستعرض في المروج كالجيش العرمرم، حينما ملأ أجناد السلطان، فريد عصره ووحيد دهره، الصحارى والقفار المخضّرة بالعشب، لما اقتضى توزيعهم على الأطراف والأكتاف لمطاردة فلول قوات العدو المندحرة، ومبعث الفساد من (التزلباشية) المنكسرة، وملاحقهم من الذين كتبت لهم النجاة في حينه من طعنات السيوف السلطانية القاضية، فلم يعودوا في السابق لقما للكلاب والذئاب وطعما للكركس[٤] والغربان حين تفرقوا في أرجاء البراري العراقية يعيثون في الأرض فساداً .

وقد استدعى الأمر تطهير المناطق تلك من وجودهم، إنْ شاء الله الرحمن وبعناية الملك المنان، وذلك بالسير نحوهم بقيادة الأمراء عاليي الجناب والكبراء معالي النصاب وجحافل

---

(١) بلدة حصينة قريبة من ملاطية، وتعد من أعمالها .

(٢) وُلّيه في رجب ٩٤١ وعزل عنه ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٩٤٣ وعزل سنة ٩٥٤هـ. قاموس الأعلام ٢٠٤٣ .

(٣) هكذا في الأصل .

(٤) لعلها الكركر، وهو جنس من الطيور. الدميري: حياة الحيوان ٢ / ٢٧٢ .

الجيش المنتصر واللواء المقتدر، وبمشاركة عشائر العز والجلال وقبائل الفر والكر والإقبال، حتى استتب الأمن والسكون في الولاية المذكورة والمملكة المعمورة .

كما أرسلت التعليمات إلى الأمراء والقوات الأهلية الموجودة في (ديار بكر) بواسطة الرسل، بأن يكونوا على أُهبة الاستعداد لأوان الرحلة في كل ساعة مصطحبين الخدم والحشم و(التوغ)[1] وجعل الوسائل الحربية مرتبة ومكملة بأيدي الهمة والنشاط وكمال الحمية انتظارا لإشارة الانطلاق، فيما أصدرت الأوامر اللازمة والمشددة إلى ذوي الشأن من الرؤساء والأمراء المسؤولين في الأقطار العربية، كمصر والشام وحلب، بأن يكونوا متأهبين على رؤس أفواجهم من العساكر اللجبة، كل في منطقته، استعدادا لكل طاريء من أعمال الشغب والفساد التي قد تظهر عنده،<ب٤٥> تمهيدا للقضاء عليها وإطفاء نيرانها بالسيف المنيع دون هوادة .

وقد أرسلت التوجيهات إلى ذوي الشأن والولاة في سواحل(بحر الروم) وحتى (الصعيد الأعلى) وعلى ضفاف (نهر النيل) من القادة العسكريين الأَجلاّء والحكام المسؤولين في (جدة والزبير[2] وديار عدن واليمن) وسائر المسؤولين في الموانئ والمرافئ البحرية، بإحكام الاعتبار وإبداء كل اهتمام وإقدام للحفاظ على البوابات البحرية ومنافذها من أي عدوان خارجي أو داخلي، واتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة والاستعدادات الضرورية لكل عملٍ بسهام العزم وحسام الرزم .

ومن ناحية أخرى أبلغت الوصايا إلى خدام الحرمين المحرمين بأن لايدّخروا وسعاً في الحفاظ على سلامة حجاج بيت الله الحرام وصيانتهم من أخطار المسالك وأهوال المهالك سواءٌ في الأنفس والأموال، وهم قادمون من شتى أرجاء العالم، بحيث لا يقلقوا في راحتهم ولا يصيبهم أي سوء . وقد صدرت الأوامر كذلك إلى عرفاء الطوائف في (الحجاز والطائف)، وأولئك الذين أحْرموا لأجل الطواف بأن يكونوا على حذر من ذوي النيات

---

(١) تقدم شرحها.

(٢) كذا في الاصل،ومن الواضح انّ صوابها (زبيد) بدال مهملة ، صقع من أصقاع اليمن .

السيئة من أهل البادية، وأن يضربوا على أيديهم ويقضوا عليهم قضاء مُبْرَماً إن بدا منهم بوادر الفساد، بحيث يكون المجاورون والمسافرون في مأمن من شرهم وعبثهم في الحضر والسفر وفي منأى من الخطر والحذر ، كل ذلك ينبغي أن يتم في عهد السلطان السعيد ليهنأ الناس بالأمان.

كما أُبلغت الوصايا المشددة إلى ولاة (آدنا[1] وترسوس[2]) وسائر مدن (جوقور أووا)[3] وإلى أمير (رمضانلو)[4] وجميع المسؤولين الإداريين والقادة العسكريين لأية حركة طائشة قد تبدر من جانب ذلك الطاغي الأثيم والباغي الزنيم الذي اتخذ من الجبال ملاذاً لنفسه وأتباعه الغاوين الظالمين والذين إن سوّلت لهم أنفسهم بالظهور في أي ميدان فإنّ أبدانهم يجب أن تكون أهدافاً لسهام الدمار وأعناقهم معرضة للسيف البتّار دون رحمة أو هوادة.

كما صدرت الأوامر إلى الأمراء والقادة المتربصين في تخوم (قلعة كماخ[5]وقلعة

---

(١) هكذا كان يكتبها الأتراك أولاً، وهي أدنة (بتفخيم الدال) التي كتبها العرب آذنة، بذال معجمة، دلالة على أعجمية اللفظ، ثم كتبها الأتراك المتأخرون (اطنة) للدلالة على تفخيم الدال فيها، وتقع على السواحل الجنوبية للأناضول عند شاطئ نهر سيحان، وهي مركز ولاية قائمة بذاتها.

(٢) كذا كتبها المؤلف،وهي (طرسوس). مدينة في ولاية أدنة ، في سنجق (لواء) مرسين، في جنوبي الأناضول.

(٣) اسم يطلق على المنطقة السفلى من الأناضول، ويخص به منطقة أدنة.

(٤) بنو رمضان، إمارة تركية مركزها مدينة ادنة، ومن أعمالها سيس وطرسوس تأسست على يد أحمد بن رمضان سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م ومنه أخذت اسمها وعاصرت ظهور إمارة العثمانيين واحتفظت بعلاقات طيبة معها،حتى عدت في عهد قوة الدولة العثمانية أشبه أن تكون مقاطعة من مقاطعاتها تتمتع بشيء من الحكم الذاتي. وأميرها الذي يشير إليه المؤلف هنا هو بيري محمد باشا بن خليل بن داود بن إبراهيم بن أحمد بن رمضان. وقد تولاها من سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م إلى ٩٧٦هـ/١٥٦٨م. ثم زالت هذه الإمارة بعد عام ١٠١٧هـ/١٦٠٨م وادمجت بالدولة العثمانية نهائيا.زامبادر: معجم الأسر والأنساب الحاكمة ٢٣٤.

(٥) هكذا يكتبها المؤلف، وهي كمخ، القلعة الواقعة على الفرات الغربي إلى الجنوب من مدينة أرزنجان. سماها ابن بطوطه(كمش) عند نزوله فيها سنة ٧٢٧هـ ووصفها بأنها " مدينة كبيرة عامرة يأتيها التجار من العراق والشام " (تحفة النظار ١/ ١٨٩)

كساخ[١] وكورجستان[٢] وطربزون[٣]<أ٤٦> وجبال البستان[٤] ومرعش)[٥]من الولايات المجاورة، أولئك الأمراء والقادة أولو الشكيمة والبأس الشديد، إذ جرى التأكيد عليهم بأن يكونوا على حذر تام من تحركات العدو وسكناته وعلى أهبة الاستعداد لاحتواء كل بادرة من تظهر من جانبه في كل لحظة.

وأصدرت التوجيهات إلى مير ميران[٦] (رومه)[٧]بأنْ يعدّ العدة ويتخذ التدابير في صحراء مدينة (سيواس)[٨] الحصينة الأساس ويتهيأ لكل عملية طارئة، كما أوعز إليه بجمع وإحضار الجحافل العسكرية المتواجدة في ولايات (أماسيه وتوقات ونكسار وقره حصار)[٩] ووضعهم تحت أمرته،وعدم التهاون في مدّ الامداد ويد المساعدة إلى القادة

---

(١)كساخ،ضبطها المؤلف بضم الكاف ، وهي لفظة تركية تعني : الوقح، وعديم الحياء .

(٢) كذا في الأصل، والمشهور : كرجستان ، البلاد المعروفة اليوم بجورجيا، وقصبتها مدينة تفليس الواقعة في أعالي نهر الكر، ومن مدنها الكبيرة قرص (قارص) . ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ٢١٦

(٣) كتبها المؤلف (طربوزن)وتكتب أيضا طرابزنده أو اطرابزنده، وهي Trebizord مدينة مهمة في شمالي الأناضول على البحر الأسود، ضمتها الدولة العثمانية إلى ممتلكاتها سنة ٨٦٦هـ . سامي : قاموس الاعلام ٣٠٠٨

(٤) هي أبلستين القديمة، مدينة تقع في جنوب الأناضول، قرب مدينة أدنة، وكانت تعد، في العهد العثماني، ضمن سنجق مرعش، أحد سناجق ولاية حلب .

(٥) مرعش مدينة في جنوبي الاناضول، على نهر جيحان ،تبعد عن البستان بنحو ٧٠كم، كانت مركز إمارة ذي القدرية.

(٦) أي أمير أمراء،وهي رتبة عثمانية تعادل ما يسمى (بكلر بكى=بك البكوات) وكانت تمنح لمن يتولى "ولاية" تتألف من عدة سناجق.

(٧) كذا في أصل المخطوطة، ولم نقف على حقيقة هذا اللفظ، وبالتأكيد فانه ليس(الروم ابلى) الذي يعني ممتلكات العثمانيين في أوربا فسيواس والولايات الأخرى جميعها في الأناضول. ومن المحتمل أن يكون الاسم محرفا عن (رها) المدينة المعروفة في شمال بلاد الجزيرة والمسماة في العهود المتاخرة بأورفة، ووجه هذا الاحتمال أنّ كاتب المخطوط يكتبها أيضا على شكل (روحا) وهو شكل قريب مما يكتبه هنا.

(٨) تقدم التعريف بها.

(٩) هذه المدن في شمالي الأناضول، وتعد من أعمال سيواس.

العسكريين الموجودين في التخوم المجاورة له فوراً عند ورود أي طلب منهم بهذا الخصوص.

وجرى التأكيد على الجميع بإتخاذ كل ما يلزم من الإجراءات الصارمة بحق أتباع (الشاه) في حالة قيامهم بأيّ إخلال للأمن وإقلاق لراحة الرعية الآمنين، وذلك بالمضي اليهم كالسحاب بلا أدنى اهمال أو إمهال لقطع دابرهم في الحال.

ومن ناحية أُخرى فقد صدرت التوجيهات إلى (لطفي باشا)[1] أمير أمراء (قرمان)[2] لاتخاذ التدابير الضرورية للمحافظة على أطراف المعمورة المذكورة، كما أوعز إليه باحتلال (طوغور و وارساغ) العائدتين إلى القبائل المنضوية تحت حماه، ناهيك عن طلب محدد إليه بجمع الجيش الأهلي المتاح تحت امرته وتيسيره نحو صحراء (قيصرية)[3] واتخاذ معسكر له هناك والمكوث فيه، والتربص لكل حركة خروج من فئة (مأجوج) والقضاء عليهم بحد الحديد ونصل الخنجر الشديد.

ومن جهة أخرى فقد أرسلت التعليمات إلى قادة الجيش الموجودين في سائر أرجاء ولايات (روم ايلي والأناضول) ذوي البأس الشديد كحد السيوف ورؤوس السنان بموجب أحكام شريفة بأن يظلوا قابعين في عرائنهم ولتستريح سيوفهم في أغمادها في الوقت الحاضر حتى حين.

〈ب٤٦〉

وقد صدر أمر محدد إلى صاحب السعادة (خير الدين باشا)[4] للقيام بجولات وأعمال

---

(١) قائد عثماني الباني الأصل،كان له دور بارز في عهد السلطان سليمان القانوني، وله مؤلفات مهمة في التاريخ وغيره. وتوفي سنة ٩٥٠هـ. قاموس الأعلام.

(٢) تقدم التعريف بها.

(٣) مدينة في وسط الأناضول عرفها البلدانيون العرب باسم قيسارية، وأصلها Mazaka Caesarea وكانت تعد قاعدة دولة سلاجقة الروم، أو ثاني قواعدهم ثم عدت، في عهد الدولة العثمانية،قاعدة لولاية باسمها.

(٤) قائد بحري شهير، بدأ حياته في خدمة الدولة الحفصية في تونس، ثم عمل مع أخيه عروج، وكان قائدا كبيراً مثله، في تنظيم المقاومة البحرية الإسلامية في الجزائر وبعد استشهاد عروج سنة ٩٢٤ تولى هو قيادة أسطوله الإسلامي هناك وأبلى البلاء الحسن في مقاومة الإسبان الذين كانوا عازمين على احتلال البلاد،ولكنه أدرك أنه لن=

الدورية في البحر الأبيض، ليكون بالمرصاد لكل حركة معادية قد تصدر من الشراذم الإفرنجية الذين ربما يحاولون العبث والإفساد في بحار الله، وفي أية جهة قد يظهرون فيها، واينما يصولون ويجولون، وليراقب ويتحسس تلك قبل أن ينقض عليهم كالطير الكاسر على فريسته، ويخنق أنفاسهم دون رحمة، ويقطع أو لايسمح أبداً بنشر الفساد في وجه البحر المذكور، ويسحق رؤوسهم كما يسحق رأس الافعى، وأن يكون في تجوال دائم بسفنه المشّرعة كالطير الجارح حفاظاً لأمن المناطق البحرية[1].

ليس له يد وهو ينقل الحمل الثقيل

وماله من قوم وهو يجوب العالم

كما صدرت التوجيهات إلى (وديورضة[2] أفلاق[3]) ومسؤولي مملكة (بغدان[4]

=يستطيع أن يجابه الموقف بقواه الخاصة،ولن يتمكن من مجابهة الخطر الإسباني بمغرب ممزق، فقرر الاستعانة بالدولة العثمانية ليحصل على الهيبة والمال والقوة، وحينما عرض خير الدين الامر على السلطان سليم الأول رحب هذا بالعرض المذكور، وأَمَدّه بمساندة عسكرية كبيرة، ثم أنَّ السلطان سليمان القانوني أسند إليه مهام قبطان باشا (أميرال) الأسطول العثماني، بالإضافة إلى منصبه السابق حاكما على الجزائر .قاد خير الدين الأسطول العثماني في عمليات بحرية كثيرة، وما يذكره نصوحي هنا هو واحدة من المهام الجسيمة التي أوكلت إليه حينذاك . وكانت وفاته سنة ٩٥٢هـ/١٥٤٥م.

(١) كان السلطان سليمان القانوني يخشى أن تستغل الدول والقوى الأوربية فرصة انشغال الدولة العثمانية في حربها في إيران، فتغزو أقاليمها الاخرى، وكانت ثمة اتصالات دبلوماسية حثيثة تجري بين الدولة الصفوية وعدد من الدول الأوربية للتنسيق فيما بينها وصولا إلى هذا الغرض.

(٢) كذا في الأصل، والصحيح (ويوضة) وقد تكتب بشكل (ويوده)، وتلفظ بتفخيم الدال،وقد تكتب لهذا (ويوضه) : وظيفة إدارية رفيعة يتولاها من يختاره الوالي حاكما لإحدى مدن الولاية، وقد يسمى (متسلما) أيضا.وكانت في الأصل تطلق على من يقوم بجباية ضرائب الدولة وهي من الروسية voivode بمعنى الجندي السائق .

(٣) الأفلاق : رومانيا الحالية، أو قسم من اراضيها.

(٤) بغدان : تسمية تركية قديمة لبلاد مولدافيا Moldavie وهي قسم من رومانيا حالياً

وبودين[1] وبانه وقريم وصحراء قيجاق[2]) حيث يجلس (أحمد خان) على دست الحكم، بواسطة رسل يهبون كنسيم الربيع، لتبليغ جميع الحكام الموجودين على رأس الامور في تلك الأصقاع ليكونوا على علم ودراية بأوامر السلطان الواجب الإذعان، وليتخذوا ما يلزم لجمع وإعداد أجناد الولايات التابعة لآيالاتهم[3]، وإكمال التحشدات المقتضية بكل اهتمام، إضافة إلى وجوب اعداد فرق الموسيقا وآلات الطرب على الوجه المطلوب، وذلك استعدادا لما قد ينجلي من علائم البشْر والفرح في الأيام القادمة، حيث ينبغي ترقب المستجدات.

وفي هذه الأيام، غادر صاحب السعد وراكب المجد السلطان الأوحد ذلك المكان[4] صوب (بغداد) مقر الأولياء العظام ومستقر المشايخ الكرام وممدوح سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، مدينة الخلافة، مُيَمّماً شطرها، وما أن شاع ذلك الخبر، حتى هب العلماء الأفاضل والسادات الكبار وأشراف العباد <ب(١)> والمشايخ والزهاد، لاستقبال بادشاه العالم وكسرى الزمان، بأنواع التعظيم والتكريم والإعزاز والتبجيل والتضخيم.

وكذلك كان شأن أهالي المدينة الذين جاؤوا كالسيل الجارف وهم يملؤون الطريق السالك مستبشرين بمقدمه الميمون ومقدمين إليه فروض الحفاوة، وقد سايرت الريح ذلك الموقف في ذلك اليوم السعيد الجميل حين بدأت تهب على شكل نسيم عليل عندما طلعت تباشير صبح السعادة لتغمر أرجاء المدينة على إثر الكوكبة السلطانية ومواكب الكواكب الخاقانية[5]، ليتحول ذلك اليوم إلى عيد سعيد وتعمّ الأفراح وتطغى أنهار السرور على (بغداد).

---

(١) منطقة في بلاد المجر كانت تابعة للدولة العثمانية .

(٢) تقدم التعريف بهذه المواقع .

(٣) الآيالة : الولاية الكبيرة المتمتعة بشي من الحكم الذاتي "المترجم" .

(٤) يريد قصبة الإمام أبي حنيفة حيث أقام هناك منذ وصوله إلى نواحي بغداد .

(٥) كان السلطان سليمان قد منع منعاً باتاً أنْ يدخل أفراد الجيش المدينة، أو يلحقوا ضرراً بأحد،ولذا فإنه دخلها مع ثلة من أتباعه فقط، كشن خلفا ٢٠٠ .

رفعت الأبدان الأيدي للدعاء

وفتحت الأبواب فاها للثناء

وامتدت لرؤية الشاه من بعيد

واشرأبّت الأبراج بالأعناق

واعتلت المساكن الواحدة ظهر الأخرى

ونصب المنظر عينيه على الطريق

ويتقدم الزقاق ليدلّ على الطريق

ويقول العبد تفضلوا من هذا الجانب(*)

<ب٤٨>

وفي المحروسة المزبورة والمدينة المشهورة، كان فارس ميدان الدين وحاكم الزمان والأرضين قد صار "بطريق أسلم مُفَوّض ومسلم"[١] وذلك في غرة شهر جمادي الآخرة من سنة إحدى وأربعين وتسع مئة[٢]. وبقدومه الشريف وحضوره الميمون صارت عاصمة الخلفاء الراشدين[٣]ومقر خلافة الخواقين[٤] في كل بقعة منها تأخذ الألباب، وكل طابوقة فيها تبهر العين، وكل طبقة فيها تماثل جنة المأوى، وكل قُبَّة فيها طاقاً مُعلّى.

(*)ياسف المترجم لعدم إمكانية ترتيب الشعر المترجم بشكل أفضل من هذا ."المترجم" .

(١) كتبت هذه العبارة في الأصل، باللغة العربية .

(٢) الموافق يوم الاثنين ٧كانون الأول سنة ١٥٣٤.

(٣) تقدمت الإشارة إلى أنه يقصد الخلفاء العباسيين .

(٤) الخواقين جمع خاقان، وهو من الالقاب التركية القديمة التي كانت تطلق على رؤساء القبائل التركية قبل الإسلام، ولبثت تطلق بعده، حتى أطلقها العثمانيون على سلاطينهم فقيل إنهم سلاطين البرين وخواقين البحرين ومن المعلوم أنّ هذا اللقب لم يكن مما اتخذه خلفاء بني العباس بأية حال.

وبدت قصورها البهية آية في الفن، وازدانت جدرانها وسقوفها بالنقوش وبأبدع الرسوم، وطفحت أطرافها بالمحاسن، شبيهة بكتاب جامع لأنواع الفصول الرائعة، وأمست معالمها ذهبية زاهية ملونة بألوان جذابة شتى، وزيّنتْ جدارنها وسقوفها (بالمقرنسات والريازات) .

وازدانت أطرافــهــا بالرســوم والنقــوش

حــتى إن رأى (مــاني)[١] تلك النقـوش يومــا

لألقى برســومــه في الماء حــتــمــاً

ولغــسل يديه عن ممارســة فنه مطلقــاً(*)

وما أنْ شرّف السلطان المدينة بحضوره، حتى علت الخطب باسمه في الجوامع والمساجد عـمـلاً بالآية الكريمة :–"إني جاعلٌ في الأرض خليفـة"[٢]، وضربتْ النقود بعنوان دولته العادلة، فيما ألغيت القوانين والنظم كافة التي استحدثها وسنّها ذلك الضال المُضلُّ والوغد الذليل، سليل أردبيل (طهما سب شاه بن اسماعيل)، التي كانت عاطلة وباطلة، ووضعتْ عن الرعية وجيء عوضا عنها بالأوامر والنواهي وفق الأحكام الإسلامية الشريفة المنيفة، وجرى تمييز الصالح عن الطالح وتفريق الرائج عن الكاسد، لتصبح العادات العثمانية هي المقبولة والقواعد السلطانية هي المرعية والمعتمدة بين الأنام جميعاً من الخواص والعوام، وصار القوم يلهجون " الحمد لله على الفتح الجليل، والشكر له على النصر الجميل"، وهم يرفعون الحمد الوفير إلى مفتح الأبواب ومسبِب الأسباب، متضرعين إلى العلي القدير بالدعاء الكثير لدوام دولة صاحب السلطنة وقيام عزّه واستمرار شوكته.

---

(١) ماني مؤسس مذهب المانوية القائل بثنائية الخير والشر،والنور والظلام كان رساماً عني برسم الملائكة والشياطين. أعدمه بهرام الأول سنة ٣٧٧م.

(*) وردت هذه الأبيات من الشعر على شكل (رباعية) في أصل المخطوطة ..."المترجم" .

(٢) البقرة آية ٣٠ إنّ هذا النص المهم لمؤرخ عثماني رسمي كان قريبا من السلطان سليمان القانوني يكشف عن قدم اتخاذ سلاطين العثمانين للقب (خليفة) أو تعلقهم به على الأقل، وقد سبق أن وصف المؤلف القسطنطينية بـ(دار الخلافة).

وبناءً على ذيوع خبر حلول السلطان في (بغداد) ومكوثه في ربوعها، فقد أوفد (رشيد بن مغاض)[1] ولده (مغاض بن رشيد)[2] مبعوثا منه إلى حضرة السلطان بدافع الهلع المستولي عليه وبحكم الاضطرار وهو يطلب الأمان الأمان... كما جاء (قاضي خان) أمير أمراء(خراسان) الذي كان رجلاً من رجال الشاه الضال والعدو المهيض الجناح، وهو يسعى بدوره في طلب الأمان،ولكنه قوبل بالترحاب والتقدير بشكل يليق بمقامه من لدن السلطان،فجرى تكريمه بإهداء لواء إليه.وكذلك جرى منح الوفود التي قدمت من أنحاء (البصرة)[3] العديد من الأنعام والإحسان .

وبعد ذلك باشر حضرة السلطان بزيارة الأضرحة والمراقد التي دفن فيها الشيوخ العظام والعلماء الكرام الموجودة في المدينة الممدوحة والمدونة أسماؤهم والمسطورة في كتب التواريخ، ومنهم شيخ الإسلام وقطب الأنام وسالك مسالك الحقيقة وناهج مناهج الطريقة وجامع علوم المعاني حضرة الشيخ (عبد القادر الكيلاني)[4]،<ب٤٩>وكذلك محدث الأحاديث النبوية ووارث الموارث المصطفوية، صاحب العزّ والمعالي(الإمام محمد الغزالي)[5]وشيخ الإسلام الأعظم سلطان أقطاب العرب والعجم(الشيخ شهاب الدين

---

(١) كذا في الاصل،والصحيح: راشد بن مغامس، كان أميراً على البصرة .

(٢) الذي تذكره المصادر المحلية أن راشدا أوفد ابنه مانعا. ينظر كتابنا الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق ص ٣٨٥ .

(٣) يريد الوفد الذي أرسله أمير البصرة راشد بن مغامس بتقديمه ابنه، على ماتقدم .

(٤) هو الشيخ عبد القادر بن موسي بن عبد الله الحسني الكيلاني،أو الجيلي، من كبار الزهاد والمتصوفين،ولد في جيلان، وهاجر إلى بغداد شاباً سنة ٤٨٨هـ،حيث التحق بمدرسة القاضي أبي سعد المخرمي، ولما نبغ في العلم، وذاع أمره، تولى التدريس بها سنة ٥٢٨هـ، وظل كذلك حتى وفاته سنة ٥٦١،وقد دفن في رواق المدرسة المذكورة (وهي المدرسة التي نسبت إليه واشتهرت فيما بعد بجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني) وله مؤلفات في التصوف والسلوك، منها (الغنية لطالبي طريق الحق) و(الفتح الرباني) وغيرهما.

(٥) هذه أول إشارة إلى القبر المنسوب إلى محمد الغزالي في بغداد،وهي نسبة لا أساس لها، فالإمام محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ(١١١١م) في موطنه الأول طوس حيث قضى سنيه الأخيرة منقطعا للتعليم والعبادة،=

السهروردي)[1]، وصاحب الجذب والسلوك وتارك مناصب الخواقين والملوك (الشيخ أبو نجيب السهروردي)[2]

<أ٥٠> وسراج الملة والدين حضرة (الشيخ سراج الدين)[3]،ومفسر الكلام الرحماني وصاحب العلم والمعاني ومظهر اللطف السبحاني(الشيخ محمد النعماني)[4] وكذلك

=ودفن في مقبرة الطابران فيها ولبث قبره شاخصاً يزوره الناس هناك .وقد أجمعت على ذلك كل مصادر ترجمته، وليس من المحدد هوية صاحب القبر الموجود في بغداد، وقد كثر دفن الناس عنده حتى تكونت حوله مقبرة كبيرة نسبت إليه .

(١) يريد الشيخ العارف بالله عمر بن محمد بن عبد الله البكري السهروردي،كان فقيها شافعي المذهب، أخذ عن الشيخ عبد القادر الكيلاني وغيره من الشيوخ،ووعظ في بغداد،وصار شيخاً لشيوخها،وأوفده الخليفة سفيراً له إلى عدد من ملوك عصره، وتوفي سنة ٦٣٢هـ في تربة له في مقبرة كانت تعرف بالوردية(وتعرف اليوم بمقبرة الشيخ عمر) وَشُيِّدَ على قبره فيما بعد مسجد جامع، فيه قبة مخروطية على الطراز السلجوقي، وهو من أشهر جوامع بغداد القديمة اليوم. له مؤلفات، أبرزها (عوارف العوارف) .

(٢) هو الشيخ الصالح عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري السهروردي،عم الشيخ عمر السهروردي المذكور، ولد بسهرورد، قدم إلى بغداد وتفقه بالمدرسة النظامية، ثم تزهد وانقطع عن الناس،وبعد مدة عاد فدعا جماعة إلى الله تعالى،وبنى لهم رباطاً على خربة يملكها في الجانب الشرقي من بغداد، وتولى التدريس مدة في النظامية، وأنشأ مدرسة إلى جانب رباطه، وحينما توفي سنة ٥٦٣هـ،دفن فيها فعرفت، والرباط بمسجد أبي النجيب السهروردي،ولبث هذا المسجد عامراً حتى نقض في أوائل هذا القرن،ثم أدخلت أرضه في مبنى المدرسة الثانوية المركزية الملاصقة له ومازال القبر قائما في إحدى حجراتها.

(٣) هو الشيخ سراج الدين محمد بن عبد الله بن المبارك بن محمد بن خزام الواسطي الرفاعي المخزومي البغدادي،المفسر الصوفي المحدث، المتوفى في بغداد سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م وكان قد دفن في صدرية بغداد،ومازالت هذه المحلة معروفة باسمها إلى اليوم،إلا أن اشتهار أمر قبره أدى إلى أن يعرف قسم من المحلة بمحلة سراج الدين نسبة اليه .وقد أنشئ عنده، في القرون المتأخرة،جامع، وأول عمارة معروفة له جرت سنة ١١٣١هـ/١٧١٨م بأمر من والي بغداد الوزير حسن باشا، وأنشئت عنده سقاية تأخذ مياهها من دجلة بواسطة قناة عالية مرفوعة على عقود(كتابنا : معالم بغداد في القرون المتأخرة ص٢٧) وإشارة المطراقي إلى القبر هي أول إشارة إليه بعد دفنه.

(٤) يقع هذا القبر في جامع النعماني الكائن في شارع الكيلاني المتفرع من شارع الرشيد بشرقي بغداد. ولا تعرف هوية صاحبه على وجه التحديد،والمطراقي هو أول من أشار إليه، وصرح بأن اسمه (محمد) حيث سكتت=

حضرة (الشيخ محمد الفتاوي)[١]،<ب٥٠> وحضرة (الشيخ أبو الورد الزهاوي)[٢] وشيخ الشيوخ الصالحين حضرة (الشيخ برهان الدين)[٣].. ومجاور المحارب والساجد (الشيخ فضلون عابد)[٤].

=المصادر الاخرى. وكان المرحوم عباس العزاوي قد استرجح أن يكون حسام الدين أحمد بن عمر بن محمد النعماني. المعيد في مدرسة الإمام أبي حنيفة ببغداد، والمدرس في مدارس دمشق،وكان محدثاً،توفي سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م (تاريخ العراق بين احتلالين ٢ / ١٦٢) مع أنه مدفون في دمشق لا في بغداد، وليس اسمه محمداً على أيّة حال.وثمة رجل آخر من أسرته،اشتغل بالعلم،فدرس وصنف،هو محمد بن أحمد بن محمد النعماني، المتوفى سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٢م إلا أنه مدفون بدمشق هو أيضاً (المصدر نفسه ٣ / ١٦٦) ولا يستبعد أن يكون الجامع من إنشاء أحدهما، وربما غيرهما من أسرتهما، فظن بعضهم أن القبر الكائن في الجامع هو لذلك المنشيء والله أعلم.

(١) لاتعرف هويته، والمؤلف قد انفرد بالإشارة إليه. ويحتمل أنه يقصد القبر الكائن في سوق السراجين،مقابل المدرسة المستنصرية،المنسوب إلى من يُدعى الشيخ محمد القدوري(بحسب الرخامة المثبتة على القبر) ويراد به الفقيه أحمد القدوري الحنفي (المتوفى سنة ٤٢٨هـ) صاحب المتن المعروف في فقه الحنفية، ولا يصح هذا بوجه لأنَّ الفقيه المذكور دفن في داره بدرب أبي خلف ثم نقل إلى تربة في شارع المنصور، وهذان الموضعان يقعان في الجانب الغربي من بغداد(ينظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ / ٦٠)

(٢) انفرد المؤلف بالإشارة إليه،ولم نتحقق من هويته.

(٣) لم تتحدد لنا هويته،وفي نسخة خطية من القصائد الوترية،إضافة من عند الناسخ مدخلة في آخر المقدمة جاء فيها" وعند الشيخ محمد الوتري مدفون مالف (كذا) كتاب القدوري أبو حسن محمد القدوري البغدادي و... عند الشيخ محمد الوتري والشيخ محمد القدوري قرب ضريح الشيخ برهان الدين معلم لشيخ المشايخ محمد بن الشيخ محمود قطب الأقطاب وخليفة سلطان الأولياء الشيخ عبد القادر الكيلاني،والشيخ محمد الوتري والشيخ القدوري والشيخ برهان الدين مدفون ببغداد دار السلام عند مدرسة المستنصر بالله والدجلة قدس الله سرهم" قلنا : فمن الثابت أنّ قبر برهان الدين هذا كان مجاوراً لقبر القدوري،فيكون موضعه عنده، أي مقابل باب المدرسة المستنصرية، في حجرة متصلة بجامع القبلانية،وقد أزيل الجامع في أول السبعينات من هذا القرن إلا أن الحجرة ظلت قائمة. وليس فيها الآن قبر ينسب إلى برهان الدين هذا. فإذا لم تكن المجاورة تعني ذلك التحديد، فمن الراجح بحسب النص المذكور أيضاً أن يكون هو نفسه القبر الكائن في إحدى الحجرات الملحقة بجامع الخفافين (جامع الحظائر في العصر العباسي) فإنه يقع على شاطئ دجلة، ولا تفصله عن مبنى المستنصرية إلا أمتار قليلة.

(٤) انفرد المؤلف بالإشارة إليه، ولم نتحقق من هويته .

<أ٥١> ...وزائر بيت الله الكريم حضرة (الشيخ إبراهيم)[١] و(الشيخ سكران)[٢] و(قليج آرسلان)[٣]، و(القصاب الجومرد)[٤]، وحضرة (أبو امامة اللباتي) و(الشيخ رمزي العفاني)[٥].

<ب٥١> والرفيق الولي (قنبر علي)[٦]، وأُمّ الست كلثوم بنت أسد الله

---

(١) لاتعرف هويته على وجه التحديد،وثمة قبران في الأقل ببغداد الشرقية اشتهرا بالنسبة إلى من يدعى (إبراهيم)، أحدهما كان يقع في محلة الحيدر خانة،ويسمى صاحبه إبراهيم الفضل، وقد وقف والي بغداد حسين باشا السلحدار أوقافا عديدة على تعمير هذا القبر وبناء جامع باتصاله هو جامع حسين باشا السلحدار في الحيدر خانة، وذلك سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م ومازال القبر موجوداً في حجرة خاصة في الجامع المذكور.والآخر ينسب إلى من يدعى (السيد إبراهيم بن موسى الكاظم) وهي نسبة حديثة،ويقع القبر في أرض مقبرة باب أبرز المشهورة في العصر العباسي، ويجاور اليوم شارع الشيخ عمر، في القسم الشمالي منه، وعليه قبة كبيرة.

(٢) هو الشيخ الزاهد محي الدين محمد بن السكران المتوفى سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م ويقع قبره بالجانب الشرقي من بغداد، خارج أسوارها الشرقية،على يمين الذاهب من بغداد إلى بعقوبة،بطريق الخالص،وكان قد دفن عند زاوية أنشأها هناك ووقفها على الفقراء والمقيمين والواردين واليتامى والمساكين والغرباء وأبناء السبيل، وعلى القبر قبة أنشأها خادمه ووصيه الشيخ خميس في التاريخ نفسه.وكان الرباط يقع في العصر العباسي بناحية المباركة، وهي اليوم مقبرة كبيرة تنسب إليه.ينظر كتاب الحوادث لمؤلف مجهول، بتحقيقنا بالمشاركة،بيروت ١٩٩٧،ص٣٩٧

(٣) هو قبر سلجوقية خاتون الأخلاطية السلجوقية زوجة الخليفة الناصر لدين الله، المتوفاة٥٨٤هـ، وكان يقع في محلة الرملة في العصر العباسي، بجوار محلة خضر الياس الحالية،وبقربه كان يقع الرباط الذي أمرت هذه السيدة بإنشائه والمعروف برباط الأخلاطية، وقد تحول في مطلع عهد الدولة العثمانية في العراق إلى تكية خاصة بدراويش الطريقة البكتاشية، ثم جرفته مياه دجلة المتعدية على تلك الناحية الشاطئية.وكان اسم سلجوقة خاتون مكتوباً على بعض جدران حجرة القبر، ولما زال بسبب عوارض الطبيعة، بقي اسم ابيها وهو قليج آرسلان الثاني ابن الملك مسعود، فظن الناس ومنهم رحالتنا أنّه قبره.ينظر أحمد سوسة ومصطفى جواد:دليل خارطة بغداد المفصل ١٦٩.

(٤) هذا الرجل كان يعد (بيراً) لصنف القصابين في بغداد،و(البير) لفظة فارسية بمعنى المرشد وشيخ الطريقة،وتعني اصطلاحا أحد الأولياء الذين ينتسب إليه صنف بذاته،فيكون بمثابة (الأب الحامي) لذلك الصنف.جاء في مخطوطة تبحث في بعض آداب الفتوة،محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس،مانصه "جومرد القصاب .. وجميع القصابين تنسب إليه وعاش مئة وثلاثين سنة وهو مدفون ببغداد" (الفتوة لابن المعمار البغدادي،مقدمة للدكتور مصطفى جواد ص٩٠،بغداد ١٩٥٨).

(٥) انفرد المؤلف بالإشارة إلى هذين الدفينين، ولم نتحقق من هويتهما .

(٦) أشير إلى قنبر علي،أول مرة في نص يرقى إلى سنة ٨٧٤بوصفه من معالم بغداد عهد ذاك،ولكنه لم يشر إلى=

الب[1]، و(الست هدية بنت أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب)[2].

<٥٢أ> وبنت ناظم أم موسى الكاظم[3].. وكاشف كرامات الرحيم حضرة (السيد اهيم)[4]، وسالك مسالك الأربعين حضرة (الشيخ ظهير الدين)[5].

هوية المعلم، إن كان قبراً، أو جامعا، أو تكية، ويكتفي النص نفسه بالقول بأنّ بقربه مقبرة (الغياث البغدادي : اريخ الغياثي ص٣٣٦) وفي وقفية خواجة أمين الدين لطف الله الخازن بن خواجة شمس الدين محمد بن خواجة لال الدين إسماعيل أنه وقف على مرقد قنبر علي ومعيشة الفقراء والمساكين فيه أراضٍ وبسوط وأنهارٌ وأهوازٌ في رية بوزجه من أعمال طريق خراسان، وذلك سنة٨٩٤هـ/١٤٨٨م .(كتابنا : معالم بغداد في القرون المتاخرة، ص ٥) ولانعرف هوية قنبر علي هذا ،وكان الشيخ محمد صالح السهروردي (المتوفي سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) قد كر أنّه أبو طالب نصر بن علي الناقد الملقب بقنبر من معاصري خلافة المستضيء ٥٦٦-٥٧٥هـ/ ١١٧٠-١١٨٠م بغية الواجد في تاريخ الجوامع والمساجد، مخطوط) ولم يذكر مصدره في هذا الرأي. ومازال القبر قائما وإلى انبه جامع باسمه، وحوله محلة تنسب إليه، من محلات الجانب الشرقي في بغداد، مطل على شارع الملك غازي يوم .

) يريد السيدة أم كلثوم رقية بنت الإمام علي بن أبي طالب(ع) زوجها أبوها من الخليفة عمر بن لخطاب(رض) فأولدها زيداً (ابن عنبه :عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب،النجف١٩٦١ ،ص٦٣)وتوفيت ل تاريخ بناء بغداد بمدة طويلة،وقد انفرد المؤلف بهذه الإشارة إلى القبر المنسوب إليها .

) كان هذا القبر واقعاً في محلة تنسب إليه،قريبة من محلة المهدية بشرقي بغداد ولاتعرف هوية دفينته، ومن ؤكد أنها ليست بنتا للحسين بن علي بن أبي طالب(ع) فليس له من تسمت بهذا الاسم، ولم تكن بغداد ثمة في عهد أبنائه وذكر أحد الباحثين أن ضريح الست هدية كان مغطى بقبة وعلى بابها لوحة رخام تؤرخ ا، وأن الضريح هدم وأزيل عند شق شارع غازي ١٩٣٧(د.سامي الصقار : الست هدية، جريدة الرأي الأردنية ٢٢ ايار ١٩٩٦) وإشارة المؤلف هنا هي أقدم ذكر لهذا القبر.

قبر كان ينسب إلى أم الإمام موسى الكاظم،ولاصحة لهذه النسبة، وقول المطراقي أنها بنت ناظم قول غريب لم سمع به، ولاندري من هو ناظم هذا. وكان القبر يقع على ربوة تحيط به القبور في منطقة عدت جزء من محلة كولات، ثم دخل في أرض ساحة النهضة الحالية. كتابنا معالم بغداد في القرون المتأخرة ص ٢٨٧ .

ينظر ما تقدم من تعليقنا على قبر الشيخ ابراهيم .

الراجح أنّ المنسوب إليه جامع ظهير الدين، أحد مساجد بغداد القديمة، ويقع في المحلة التي كانت تسمى خان الحيال، وعدت فيما بعد قسماً من محلة الحاج فتحي من محلات الجانب الشرقي ببغداد، والجامع قريب وم من شارع الخلفاء، في الجهة المقابلة لمبنى أمانة بغداد. ولانعلم هوية ظهير الدين هذا على وجه التحديد، كان الشيخ محمد صالح السهروردي يرى أنه الظهير أحمد بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق الجيلي المتوفى==

<ب٥٢> رضوان الله تعالى عليهم أجمعين،فطوبى لمن صرف أمواله الخالصة في سبيل الله العظيم وابتغاء لوجهه الكريم،﴿ يوم لاينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم ﴾[الشعراء ٨٩]

وعملاً بهذا القول الكريم،مضى السلطان إلى تلك المزارات وهو يبذل الخيرات والحسنات،معمراً ما كان منها متهدماً، كما فعل بقلوب الفقراء والصلحاء أو المنقطعين إلى العبادات فيها بإجزال العطايا،مانحاً إياها بسخاء.

وبعد ذلك، وفي أواسط شهر رمضان المبارك من السنة المذكورة[1]، قام وبنيّة التبرك والاستهداء بزيارة سائر المراقد والأضرحة المنتشرة في أنحاء (بغداد) وسواحل الأنجاد، ومنها صدر صفوة النبوة ومقنن قوانين الفتوة الهادي والراشد (يوشع بن نون)[2]، والإمام العالم والنور الحاكم والراسخ بأمر الله الملازم (الإمام موسى بن الإمام جعفر الكاظم)[3] <أ٥٣> وهادي الرشاد وملهم السداد وقبلة الزهاد وكعبة العباد (الإمام محمد بن علي الجواد)[4]،وكهف المؤمنين وهادي المصلين (الإمام علي بن محمد الهادي الأمين)[5] والعالم

= سنة ٦٨٣(بغية الواجد ، مخطوط) ولم ندر على أي شيء استند في رأيه هذا، وعرف المسجد في بعض العهود المتأخرة بمسجد نور الدين نسبة إلى محمد نور الدين بن راغب الذي جدده سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣.

(١) أواخر آذار ١٥٣٥م.

(٢) مازال هذا القبر شاخصا حتى اليوم، ويقع في مقبرة الجنيد (الشونيزي قديما) بالجانب الغربي، وبالطبع فإنه ليس قبر يوشع بن نون الواردة أخباره في سفر خاص باسمه من أسفار التوراة، فإنه دفن في فلسطين تحديداً بموجب نص التوراة نفسها، وقبل بناء بغداد بقرون عديدة، ولم تصلنا إشارة تدل على وجوده في العصر العباسي وما بعده، وأول من أشار إليه هو رحالتنا المطراقي، وكان الشيخ محمد صالح السهروردي يرى أنه قبر تاج الدين بن بهاء الدين بن برآن يوشع المتوفى سنة ٧٨٦هـ استنادا فيما يظهر إلى ماذكره أنه دفن في مقبرة باب الكناس" وقد وصفت الأخيرة بأنها " مما يلي براثا" (بغية الواجد، مخطوط).

(٣) دفن (ع) في مقابر قريش سنة ١٨٣هـ وهي المقابر التي عرفت في القرون التالية بالكاظمين، والكاظمية، نسبة إليه. وسيرته، وسيرة حفيده الآتي ذكره، وتاريخ مدفنه أشهر من أن يعرف.

(٤) هو الإمام محمد الجواد بن علي علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم. توفي سنة ٢٢٠هـ ودفن إلى جوار جده في مقابر قريش.

(٥) هو الإمام علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن جعفر الصادق (ع) المتوفى بداره في عسكر سامراء=

الوفي والعلم الزكي (الإمام حسن بن علي العسكري)[١]،

‹ب٥٣› وسلطان علماء الآفاق ومالك أزمة العلوم بالاتفاق وكشاف المشكلات العقلية ومفتاح المعضلات النقلية وباني بناء الإسلام ومستخرج قواعد الأحكام وإمام الفروع والاصول وعالم المعقول والمنقول وكاشف رموز الفرقان وعارف أسرار القرآن، الإمام الأعظم والمفتدى المعظم، كاشف الملة المنيفة حضرة الإمام الأعظم (أبو حنيفة)[٢]،وقمر المجتهدين وسيد الفقهاء والمحدثين وإمام المسلمين وبرهان الملة والدين الإمام الأكرم الأكمل (الإمام أحمد بن محمد بن حنبل)[٣]، وزبدة أرباب التقوى وقدوة أصحاب الفتوى وإمام المسلمين وبرهان الشريعة والدين حضرة (الإمام أبو يوسف سعد الدين)[٤].

‹أ٥٤› وسلطان الحكماء في الأنام والناظر في حركات الأجرام، ومفرج الأشباح ومروح النفوس والأرواح،والعارف في أحوال المزاج والعالم في قوانين العلاج، والمتصف بأنواع

=سنة٢٥٤هـومرقده مشهور يزار وقد جددت عمارته مرارا، وعسكر سامراء هي المحلة الوحيدة التي لما تزل معمورة من محلات سامراء القديمة في العصر العباسي، بينما اندثرت المحلات الأخرى.

(١) هو الإمام الحسن العسكري بن علي الهادي المتوفى في عسكر سامراء سنة ٢٦٠هـ.

(٢) النعمان بن ثابت الكوفي المتوفي سنة ١٥٠هـ،والمدفون في المقبرة الخيزرانية المسماة بمقبرة الإمام أبي حنيفة، وبالأعظمية، نسبة إليه، وإلى لقبه الذي اشتهر به في القرون المتأخرة وهو الإمام الأعظم.

(٣) إمام المذهب الحنبلي، توفي سنة ٢٤١ ودفن في مقبرة باب حرب، في الشمال الغربي من مقابر قريش، بأعلى الجانب الغربي من بغداد، ويوافق موضع مدفنه المقبرة القديمة المعروفة اليوم بالهبنة، ظاهر قصبة الكاظمية الحالية.ونص المطراقي هذا هو آخر إشارة تصلنا تفيد بوجود القبر شاخصاً مزاراً، لأن أخباره تنقطع بعدها. وقد توهم أكثر الرحالين والباحثين أن القبر الكائن في أعلى الأعظمية، الذي جرفه نهر دجلة في بعض فيضاناته هو له، والصحيح أنه لابنه عبد الله، والموضع الذي دفن فيه وجرف مع غيره من القبور هو بقية من مقبرة باب التبن القديمة حيث دفن.

(٤) هو الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الكوفي، من تلامذة الإمام أبي حنيفة ومروجي مذهبه في الفقه، تولى القضاء في بغداد سنة ١٦٦هـوهو أول من دعى قاضي القضاة في الإسلام، وله كتاب الخراج.توفي سنة ١٨٢هـولايزال قبره ملاصقاً لسور المشهد الكاظمي من جهة الشرق، وعليه مسجد جامع هناك.

كرامات الله الملك المنان حضرة (الحكيم لقمان)، وضابط أدوار الفلك الدوار ومستخرج الأحكام المتجردة على أوراق الليل والنهار، وسيد الحكماء والمنجمين، والعارف بأسرار الاحكام، حضرة (السيد نجم الدين)[1].

<ب٥٤> وشيخ الإسلام والمسلمين ومرشد طريقة المحققين الموصوف بأنواع كرائم الصوارم حضرة (الشيخ أبو المكارم)[2]، والشيخ (إبراهيم الافضل)[3]، الإمام (حسن الأكمل)[4]، والشيخ (عمر الكيماني)[5]، والشيخ (سري السقطي)[6] والشيخ (معروف الكرخي)[7].

---

(١) لاتعرف هويته، وكانت في محلة الحيدرخانة محلة بهذا الاسم إبان العصر العثماني، وليس من المحدد كونها منسوبة إليه أم لا .

(٢) هو الشيخ مكارم النهر ملكي(المتوفي سنة ٥٩٢هـ) المدفون في ناحية الخالص.وردت أول إشارة إلى مرقده في حوادث احتلال هولاكو بغداد سنة٦٥٦هـ،وذلك باسم (مكارم)فحسب. جاء في كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الهمذاني أن هولاكو بعد أن فرغ من احتلال بغداد "نزل بقبة شيخ مكارم،ومن هناك كان يسير مرحلة بعد مرحلة إلى أنْ بلغ معسكراته في خانقين" (جامع التواريخ،ترجمة محمد صادق نشأت وآخرين،القاهرة،المجلد ٢الجزء١ ص٢٦٥) وأشار إليه ياسين بن خيرالله الخطيب العمري بقوله إن مرقد الشيخ مكارم "غربي بغداد" وهو وهم منه، يصححه قوله " في ناحية الخالص على أربع فراسخ عن بغداد" (غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد ١٩٦٨نص٣٥).

(٣) لعله يقصد المرقد المنسوب إلى (الشيخ إبراهيم الفضل)في محلة الحيدرخانة بشرقي بغداد،ولاتعرف ترجمته،وقد أنشأ عنده والي بغداد حسين باشا السلحدار سنة١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م جامعاً عرف باسم منشئه،وجعل القبر في حجرة خاصة به على يمين الداخل إلى الجامع المذكور.ووقف عليه أوقافا جمة في بغداد وأعمالها. ومازال الجامع عامراً حتى اليوم.

(٤) لم نقف على هويته.ويلاحظ القاريء أنْ المؤلف لم يضع (واو) العطف بين (إبراهيم الأفضل) و(إمام حسن الأكمل) على خلاف عادته في كتابة أسماء الأولياء، مما قد يبعث على الظن أنه أراد اسم علم واحد، إبراهيم الأفضل بن حسن الأكمل.

(٥) لم نقف على هويته .

(٦) هو أبو الحسن سري بن المغلس السقطي،من كبار متصوفة بغداد،توفي سنة ٢٥٣هـ.وهو خال الجنيد البغدادي وأستاذه. وقيل :كان إمام البغداديين وشيخهم في وقته (ينظر ابن خلكان :وفيات الأعيان١ / ٢٠٠ والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد٩ /١٨٧) ودفن في مقبرة الشونيزى،وهي مقبرة الشيخ جنيد اليوم، قريباً من قبره.

(٧) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي،من كبار الزهاد في عصره، وموضع احترام البغداديين وتقديرهم عبر العصور.توفي سنة ٢٠٠هـ ودفن في مقبرة كانت تعرف بباب الدير، لوجود دير عتيق عندها، ثم زاد الدفن عن قبره.

<أ٥٥> ،و(حسـن البلخـي)[١]، والشيخ (جنيد البغـدادي)[٢]، و(داود الطائي)[٣]، وحضرة الشيخ (قمر الدين)[٤]، وحضرة الشيخ (عون ومعين)[٥]، والشيخ (أبو بخش نوري)[٦]، والشيخ (شبلي المنصوري)[٧]

<ب ٥٥ >، وجامع التحقيق والإبانة حضرة (بهلول ديوانة)[٨]، وعارف الأحوال

---

(١) لم نقف على هويته .

(٢) هو الشيخ الجنيد بن محمد بن الجنيد القواريري الخزاز، من كبار الزهاد في عصره، ومن أشهر أهل التصوف على الإطلاق،عاش في بغداد وتوفي فيها سنة ٢٩٧ ودفن في مقبرة الشونيزي بالجانب الغربي، بُنِيَ على قبره مسجد،ثم نسبت المقبرة كلها إليه،فعرفت بمقبرة الشيخ جنيد،قال ابن الاثير في وصفه:إمام الدنيا في زمانه.ابن خلكان:الوفيات١ /١١٧والزركلي:الأعلام٢ /١٣٨ .

(٣) هو داود بن نصير الطائي، من أئمة أهل التصوف، ولد في الكوفة، ورحل إلى بغداد فأخذ عن أبي حنيفة وغيره، وعاد إلى الكوفة فاعتزل الناس حتى وفاته سنة ١٦٥هـ. ابن خلكان ١ /١٧٧ والاعلام ٣ /١١ .

(٤) هو الأمير قمر الدين أبو منصور منكوبرس بن عبد الله الناصري المتوفى سنة ٦٣٩ وكان قد رتب شحنة (مدير شرطة) ببغداد،وكان خيِّراً رحيم القلب دفن في مقبرة باب أبرز، فلما تجاوز السكن على أرض هذه المقبرة في القرون المتأخرة صارت محلة صغيرة نسبت إلى دفينها،وتقع في شرقي الصابونجية من شرقي بغداد.ابن الفوطي:تلخيص مجمع الآداب ج٤ ق٢ ص٧٤٧ .

(٥) مشهد في غربي بغداد،ذكر ابن جبير عند زيارته بغداد سنة ٥٨٠ أنه شاهد في الطريق إلى باب البصرة مشهداً شاهق البنيان داخله قبر كتب عليه "هذا قبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)" .وتشير نصوص عديدة أن هذا المشهد كان قريباً من تربة سلجوقي خاتون بنت قليج آرسلان (المتوفاة سنة ٥٨٤) وهذه التربة هي التي شيد الى جانبها رباط، تحول في أول العصر العثماني في العراق إلى تكية للبكتاشية. وقد جرف دجلة بناءها، وكانت تقع في محلة الرملة القديمة (الجعيفر فيما بعد). ينظر د.أحمد سوسة ومصطفى جواد: دليل خارطة بغداد ١٦٨.

(٦) لم تتحدد هويته،ولعله يريد السيد محمد نور بخش الصوفي المتكلم سنة ٨٦٩هـ ولكن هذا لم يدفن في العراق، لأنه توفي في بعض قرى (قائن) من بلاد العجم. ينظر كحالة :معجم المؤلفين١١ /٢٤١.

(٧) لم تتأكد لنا هويته، ولعله يريد أبا بكر الشبلي، وهو دلف بن جحدر بن يونس المتوفى سنة ٣٣٤هـ،وكان من كبار الصوفية في عهده، له إشارات وأشعار رقيقة في التصوف والزهد، وقد دفن في مقبرة الخيزران، قرب مرقد الإمام أبي حنيفة وقبره مازال قائماً مزاراً في (الأعظمية) حتى اليوم .

(٨) هو أبو وهيب بهلول بن عمرو الصيرفي الكوفي البغدادي، كان من عقلاء المجانين استقدمه الرشيد لسماع=

الشهير بـ (جيركين آبدال)[1]،وشهيد معركة الرب الغفور حضرة (حلاج المنصور)[2]

<أ ٥٦> وكامل العلم والمعاني حضرة (الشيخ سعيد السرخسامي)[3]، وفي مدينة العدل (المدائن)، والكائن فيها قطب سماء بداية الولاية، ومركز دائرة المعارف والدراية، وسلطان العارفين وكعبة الكاشفين، فخر مدائن بلاد فارس حضرة (سلمان الفارسي)[4]،ومحقق الكلام الرباني ومصدق كنوز المعاني حضرة (الشيخ حذيفة اليماني)[5].

=كلامه، فتوفي ببغداد سنة ١٩٠ ويعد نص نصوحي السلاحى هنا أقدم إشارة إلى قبره. ويقع هذا القبر قريبا من مرقد الجنيد البغدادي (مقبرة الشونيزى سابقا)وعليه قبه صغيرة (ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ١ /٨٢) وقد عرف صاحبه في القرون المتأخرة ببهلول ديوانه، كما يسميه المؤلف هنا، أو دانه، وهو لفظ تركي يعني (المجنون).

(١) لا تعرف هويته، وقد أورد مرتضى آل نظمي (تذكرة الأولياء، ترجمة أحمد بن السيد حامد الفخري،بتحقيق حميد هدو، رسالة ماجستير غير مطبوعة ص٢٧ أقوالا في مآثره، تفيد بأنّه عاش "في زمن الخلفاء، وأنه كان من الدراويش المهملين الخاملين" . وأن قبره قرب داود الطائي ومعروف الكرخي، وهو مزار معروف (ونقل هذا صاحب غاية المرام ٣٧) قلنا: وجركين كلمة تركية تعني قبيح ومذموم وعاطل، وآبدال مثلها، وتعني : أحمق.

(٢) ينسب إلى الصوفي الشهير أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج (المقتول في بغداد سنة ٣٠٩هـ) والمعروف أنّ الحلاج أحرقت جثته وألقيت رمادا في دجلة أما القبر المذكور فهو لمحمد بن أحمد القطان المعروف بابن الحلاج، وكنا أول من نبه إلى هذا الخطأ في مقالة لنا بعنوان (تحقيق قبر الحلاج) نشرت في جريدة البلد البغدادية في ٣٠ كانون الثاني ١٩٦٦.

(٣) لا تعرف هويته.

(٤) في الأصل (سلمان باريس) وهو الصحابي الجليل، الذي تغني سيرته عن التعريف المتوفي في المدائن والمدفون فيها سنة ٣٦هـ، وعند قبره اليوم جامع كبير، وتنسب إليه البلدة التي يقع فيها (وهي جانب من المدائن قديما) فتسمى سلمان باك، وباك لفظة فارسية بمعنى (الطاهر).

(٥) هو الصحابي الجليل حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، المعروف بحذيفة بن اليمان. كان صاحب سر النبي (ص) في المنافقين، وعينه عمر بن الخطاب عاملا على المدائن، فتولاها، وتوفي فيها سنة ٣٦هـ (ينظر الإصابة ١ /٣١٧) وقبره في المدائن ظل معروفاً مزاراً، حتى أصابه الغرق في بعض السنين، فنقل رفاته، رضي الله عنه، إلى جامع سلمان الفارسي حيث دفن هناك.

< ب ٥٦ > وفي مدينة (الحلة) المحروسة، زار السلطان مقام المنتظر وغاية المختبر خليفة الرحمن (محمد المهدي صاحب الزمان)[١]، وكذلك مرضي الأوصاف والشمائل حضرة (الشيخ ابو الفضائل)[٢]، وصاحب الميسرة والميمنة حضرة (السلطان حجيمه)[٣].

<أ ٥٧> وفي ارض (الكرب والبلاء)[٤] حيث يرقد حضرة صاحب القبة الخضراء في الجنة، وخاتم الخلفاء الراشدين عند أهل السنة، والصابر على البلاء والمحنة الشهيد في أرض (كربلاء)، الإمام المقتدى وابن المرتضى (أبو عبد الله الحسين)[٥]، وكذلك مرقد سيد المجتهدين وسند المتعبدين (علي بن حسين زين العابدين)[٦].

---

(١) أشار الرحالة ابن بطوطة إلى هذا المقام أثناء زيارته للحلة سنة ٧٢٧هـ، إذ قال (رحلة ص ١٣٩) "وبمقربة من السوق الأعظم مسجد على بابه ستر حرير مسدول، وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان" وقد عرف هذا المشهد، في العهود المتأخرة، بمقام الغيبة وموقعه في نهاية سوق الهرج من جهة الغرب.

(٢) يقصد قبر الشيخ أبي الفضائل جمال الدين أحمد بن سعد الدين موسى بن جعفر، ابن طاووس، الحسني، وكان عالماً فقيهاً مصنفاً، له مؤلفات منها (البشرى) في الفقه، توفي سنة ٦٧٣هـ. ويقع مرقده في محلة نسبت إليه، من محال الحلة، وتعرف اليوم بمحلة الجباويين ينظر محمد حرز الدين: مراقد المعارف ١/١١٢ (النجف ١٩٦٩).

(٣) لم نقف على هويته.

(٤) يشير إلى قول الحسين (ع) حين نزل بأثقاله في كربلاء، إنّها "ذات كرب وبلاء" أبو حذيفة الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر ص٢٥٣.

(٥) نزلها في غرة المحرم سنة ٦١هـ، وقتل بعد ذلك بعشرة أيام، وكان قتله يوم عاشوراء. وسيرته ومناقبه أشهر من أن تعرف.

(٦) هو الإمام علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة ٣٨هـ وتوفي في المدينة المنورة سنة ٩٤هـ، وعرف بالأصغر للتمييز بينه وبين أخيه علي الأكبر الذي سيذكره المؤلف فيما يأتي من هذه الرحلة، وهو لم يدفن في النجف أصلاً، وإنما دفن في المدينة حيث توفي، ابن سعد الطبقات ٥/١٥٦ وابن خلكان : الطبقات ١/٣٢٠.

<ب ٥٧ > واللسان الناطق والأصل السابق، مقام الإمام (جعفر بن محمد الصادق)[١]، وجميل الذات وكريم الصفات سيد الشهداء وسعد اللباس والمحمود عند الله والناس، ابنُ الإمام علي حضرة (العباس)[٢]، والمعتصم بعناية الله، الملك العاصم وسلطان الشهداء، وحضرة (قاسم ابن الإمام المرتجى وسبط المصطفى وابن المرتضى صاحب الجود والكرم والمنن (ابن محمد الحسن)[٣].

<أ٥٨> ، والنورين الأزهرين الأنورين، درتي الصدفة النبوية ونجمتي بحر الفتوة، السيدين الشهيدين والمقتولين المظلومين (علي الأكبر[٤] وعلي الأصغر)[٥] ولدي (أبي عبد الله الحسين)، وبر جبل المحسن المدفون في صحراء (كربلاء) أكرم أرباب السعد وأفخر أصحاب الشهد حضرة (حر الشهيد)[٦]. وكذلك المرقد الواقع في (بحر النجف) لجوهرة

---

(١) من المواضع القديمة في كربلاء، شيده جهان دده كلامي، أحد شيوخ الطريقة البكتاشية المتوفى سنة ٩٧١هـ، وموقعة في أراضي الجعفريات على الشاطئ الغربي من نهر العلقمي، وقد وقف هذه الأرض أمين الدين مرجان، والي العراق من قبل الدولة الجلائرية، سنة ٩٠٤هـ، ومازال المقام عامرا يقصده الزوار حتى اليوم. عبد الحسين الكليدار آل طعمة: بغية النبلاء في تاريخ كربلاء ص ٨٢ ومحمد حسن آل كليدار: مدينة الحسين ٢ / ٨١.

(٢) استشهد العباس بن علي بن أبي طالب، مع أخيه الإمام الحسين عليهما السلام في واقعة الطف سنة ٦١هـ، ويقع قبره على بعد ٣٠٠ متر شمال شرقي قبر الإمام الحسين، وعليه عمارة فخمة هي صورة مصغرة لعمارة "الروضة الحسينية" ويحيط بها صحن فسيح الأرجاء على شكل مربع، وله ستة أبواب تنفذ إلى أحياء المدينة. محمد حسين آل كليدار، مدينة الحسين ١ / ٦١.

(٣) هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) خرج غلاماً، مع أخيه أبي بكر لنصرة عمهما الإمام الحسين، فأستشهد معه في واقعة الطف.

(٤) استشهد في واقعة الطف شابا سنة ٦١هـ وكان أول قتيل من آل ابي طالب ودفن عند رجلي أبيه. وعلى قبره مشبك من الفضة في وسط الجانب الشرقي من الحرم. الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص٨٠ و ١١٤ ومحمد حسن كليدار: مدينة الحسين ٢ /٣٧.

(٥) هو علي زين العابدين نفسه، وقد سبق ان نوه المؤلف بقبره في النجف، ولا صحة لذلك على ماذكرنا.

(٦) هو الحر بن يزيد الرياحي التميمي الذي استشهد مع الحسين (ع) في حادثة الطف، ودفن في مكان يبعد==

منجم "لا فتى"[1] ومن بشأنه "هل أتى"[2]، قبلة العارفين وكعبة الطائفين وسلسلة المشايخ المتقدمين والمتأخرين، ومقتدى زهرة الأولياء الأولين والآخرين، وصاحب الكشف والإطعام وزائر بيت الله الحرام، العارف بأسرار الملكوت والواقف في أعلى مراتب القدس والجبروت، ونصل شجرة الولاية وفرع ثمرة النهاية، وفخر آله طه ويس < ب ٥٨ > ابن عم سيد المرسلين الشهيد السعيد وأسد الله الغالب (علي بن أبي طالب) وأصل السلالة الإنسانية والبناية البشرية، مسجود الملائكة المقربين ومصدر السنة الأولين والآخرين، المشرف بتشريف: "اسكن أنت وزوجك الجنة"[3]، فاتح أبواب التوبة والظاهر بعناية الرحمن والباعث نحو لعنة الشيطان وسبب وجود نسل الآدم، مقام حضرة نبي الله (آدم)[4].

<٥٩أ> ... وشيخ الأنبياء وقدوة الأصفياء، المبالغ في الدعوة إلى الدين والمجاهد في أعلام اليقين، المداوم على إظهار الشريعة والمقدم في إعلان الطريقة، ملاح بحر التوحيد، الربان في بحر تقرير النجاة وباني سفينة الحياة، دافع أمطار البلاء وقاطع طوفان الابتلاء،

= بنحو ثلاثة أميال عن غربي كربلاء. وعلى قبره قبه جرت عليها ترميمات عدة وقيل إنّها شيدت في عهد الشاه إسماعيل الصفوي سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٥م. سلمان هادي الطعمة: تراث كربلاء، النجف ١٩٦٤، ص٨٢.

(١) إشارة إلى الحديث الشريف "لا فتى إلاّ علي ولا سيف إلاّ سيف ذو الفقار".

(٢) إشارة إلى سورة الدهر، وأولها "هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورة" وفيها الآية "ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا" وقد ذكر أبو علي الفضل الطبرسي أنها "نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة، وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح" (مجمع البيان في تفسير القرآن، نهران ١٣٨٣، ج٩ ص٤٠٤).

(٣) البقرة، آيه ٣٥.

(٤) يظهر أنّ موضع هذا المقام كان معروفاً في عهد المؤلف، وقد أشار مرتضى آل نظمي (المتوفى سنة ١١٣٠هـ / ١٧١٧م) إلى مرقدين لآدم ونوح فقال "اتفقت قلوب أهل العراق قديماً وحديثاً بأن مرقدهما عند مرقد الإمام علي المرتضى رضي الله عنه، وفي صندوق مرقد الإمام علامة ثلاث عمائم موضوعة تفيد الظن لا اليقين" (تذكرة الاولياء، ص٦٣).

صاحب الكشف والفتوح مقام نبي الله (نوح) الكائن في (الكوفة)[1]، وهو أبو الرسل العظام وجد الأنبياء الكرام[2]، ونور صديقة النار وشجرة السرد في بستان الأبرار، الذي قيل في حقه: « يا نار كوني برداً وسلاماً »، « إنّ إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً مسلماً »[3]، وكذلك زار السلطان الحرم الرحماني والمحرم الشبحاني، باني بناء الصفا وشرف نسل المصطفى، واضع أساس قبلة الإسلام وعامر بنيان بيت الله الحرام، المكرم بتكريم الكرامات والمشرف بتشريف الآيات البينات، خليل الرحمن وجليل البرهان ومظهر العز والتكريم مقام حضرة نبي الله (إبراهيم[4])،<ب٥٩> ومجمع غرائب الكرامات وصاحب الشريعة القاهرة ومنشئ الطريقة الباهرة، المظهر بأدل الكتب الأربعة ومظهر الآيات التسع المشهورة، مقتدى الأنبياء العظام ومتبوع زمرة الأولياء الكرام، غالب الفرعون، الطاهر والناظر وهالك أقباط

---

(١) يشير إلى الموضع الكائن في فناء مسجد الكوفة، المعروف حاليا بالسفينة، وهو فناء مكشوف يؤدي إلى حجرة صغيرة بداخلها محراب صغير، ولها سقف معقود بالأجر بهيئة ثمن، على النمط الذي كان معروفا في العصر العباسي الأخير. والراجح أن يكون مستواه بمستوى أرض المسجد الأولى. وقد وصف الرحالة ابن جبير هذا المكان بقوله "شبيه مسجد صغير محلق عليه أيضا بأعواد الساج هو موضع مفار التنور الذي كان آية النوح عليه السلام، وفي ظهره خارج المسجد بيته الذي كان فيه".

(٢) ربما أوحت العبارة هنا أنّها تنصرف الى نوح (ع)، بيد أنّ استشهاده بالآية الكريمة الآتية يشير إلى أنه يقصد النبي إبراهيم (ع) تحديداً، وسيذكر المؤلف فيما يأتي خبر زيارة السلطان سليمان لمقامه.

(٣) سورة النحل الآية ١٢٠ والآية التي سبقتها الآية ٦٩ الأنبياء.

(٤) يقصد الموضع المسمى (تل إبراهيم)الواقع على بعد ٢٥ كم شرقي المسيب و ١٨ كم شرقي بابل، وهو بقايا مدينة كوثي ربا القديمة حيث طرح النبي إبراهيم عليه السلام في النار (الانبياء٦٩)، ففي معجم البلدان لياقوت (٤ /٤٨٧) "كوثي، بها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وبها مولده، وهما من أرض بابل، وبها طرح إبراهيم في النار". وقد اثبتت معطيات علم الآثار أن كوثي هذه كانت مركز عبادة (نركال) إله النار، وكان رمي الخاطئين إلى النار يعد نوعا من امتحان هذا الإله لهم.

البيداء ودمام عساكر الإسرائيليين، المهدي الهادي بنور الطور المخصوص، كليم الرحمن مقام حضرة (موسى بن عمران)، ونفحة النفس الرحماني ومظهر الألطاف السبحاني، المتربع في الأعالي، <أ٦٠> والمستوطن في جلال السماوات، واضع معالم الشريعة ومرشد مسالك الطريقة، المبشر بـ(أحمد) والمصدق بـ(موسى)، روح الله الأكرم، مقام حضرة (عيسى بن مريم)، ومن ثم زار السلطان مقام خاتم الانبياء والمرسلين، سيد الأولين والآخرين، رسول الكونين وقدوة الثقلين، واسطة العقل والكمال وطبعة خاتم الجلال، مروة مروءة الصفا مقام حضرة (محمد المصطفى) صلى الله عليه وسلم[١]،وكذلك شمس السعادة وقمر فلك السيادة ومشتري عالم النبوة وقطب دهر الفتوة الملك الغني، مقام حضرة (يونس النبي) الواقع في أنحاء (الكوفة)[٢].<ب٦٠> وكذلك فخر أرباب الهداية وذخر أصحاب الرياضة، حضرة (عبد الله بن أبي أوفى) من صحابة حضرة محمد المصطفى، صلى الله عليه وسلم، و (زينب) بنت ولي الله حضرة (الشيخ عطاء الله)...

---

(١) يقع هذا المقام وسط فناء مسجد الكوفة .

(٢) قال ابو الحسن علي بن أبي بكر الهروي (المتوفى سنة ٦١١هـ) "وبالنخيل يزعمون قبر يونس بن متىٰ عليه السلام" (الإشارات إلى معرفة الزيارات تحقيق جانين سورديل ـ طومين، دمشق ١٩٥٣، ص٧٩).

ورافع غطاء الضلالة وكاشف أسرار الجلالة مرقد الشيخ (شمس الدين أبي ضوح) في (المنصلف)[1]

<أ – ٦١ > ومخزن الأبرار الأحمدي ومنبع الأنوار المحمدي حضرة (ذي الكفل النبي)[2] صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، فقام السلطان بأداء الزيارة إليها جميعا واطّلع في طريقه إليها على المهالك والممالك العديدة في (عراق العرب)، "من طلب الممالك صبر على المهالك" ، لذا فقد تجشم عناء السفر إلى (كربلاء) و(الحلة) و(المنصلف) و(كوفة)و(حنانة) و(سهلة) و(بحر النجف)[3]

ولغرض تأمين عبور النهرين الأعظمين (دجلة الجنان وفرات الحياة) أرسلت الأوامر إلى المسؤولين في المناطق لأتخاذ ما يلزم من الوسائط والوسائل عند كل نقطة عبور لتيسير ذلك وتسهيله،مع ربط عدد من الخيول للغرض نفسه . فباشر ذو العلاقة باتخاذ ما يقتضي بصدد ذلك فورا .

وبعد أنْ تمَّ إعداد كل شيءٍ على ما يرام ،ظل القوم مترقبين وصول دولته، فقام حافظ بلاد الله وقامع أعداء الله وناصر عباد الله وزائر أولياء الله، باليمن والإقبال والسعادة

---

(١) لم نقف على هوية هذا الدفين.

(٢) هو حزقيال الكاهن بن يوزي،كما في التوراة، أشار إليه القرآن الكريم بقوله "واذكر اسمعيل و اليسع وذا الكفل وكل من الأخيار " (سورة ص آيه ٤٨) ولم يصرح بنبوته، ولكنه أدرج اسمه بعد اسمي نبيين، وللمفسرين المسلمين آراء بشأن هذه المسالة .وفي التوراة سفر قائم بذاته باسم حزقيال، ورد فيه أنّه "في أرض الكلدانيين عند نهر خابور"(سفر حزقيال، الإصحاح١) وأرض الكلدانيين هي العراق، أو القسم الجنوبي منه تحديدا، والخابور المشار إليه ليس النهر المعروف في أرض الجزيرة الفراتيه كما قد يتبادر إلى الذهن، وإنما هو نهر (كيبار) أي النهر الكبير، وكان يتفرع من نهر الفرات، ويرجح أنّه نهر الهنديه الحالي (رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حداد ص١٤٢) فهو إذن قد عاش في مكان قريب من موضع دفنه ، وهذا يرجح أنْ يكون مدفنه حقيقيا، شهد المدفن تعميرات مختلفة في العهود الإسلامية، وبخاصة في عهد الخليفة المقتفي لأمر الله (٥٣١ –٥٥٥)ثم في عهد اولجايتو خان المغولي (٧٠٤ –٧١٣) ويرجح ان تكون المئذنة الشامخة الواقعة عنده هي من إنشاء هذا السلطان.

(٣) تقدم التعريف بهذه المواضع .

والإجلال بعبور نهر دجلة في (بغداد)،منطلقا في سفرته بعبور (نهر الفرات) في (المسيب)[١] ولما عزم من هناك على متابعة سفره نحو أهدافه، فإذا برحمة الرحمن تفيض السماء حتى أخذت الأمطار الغزيرة بالهطول<ب – ٦١> وإذا بالنهرين المشهورين قد أمسَيا مجتمعين حسب الآية الكريمة :« مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان »[٢]، فصارت السيول تجري وسالت المياه في الأودية ، وعملا بالقول المأثور : "من زار الحسين كمن زار مقام النبي "تم أداءُ الزيارة في موعد محدد ، وبعد بذل أنواع التصدقات والحسنات للمستحقين من الفقراء والمساكين، عاد حضرة خليفة الله في الأرض وسلطان زمانه أدراجه إلى دار السلام (بغداد) التي هي آية من الجنان .

وأدناه المنازل التي مر بها السلطان خلال تلك الزيارة التي قام بها للمقامات الشريفة والمزارات المنيفة في الذهاب والإياب، التي بدأها منذ اليوم التاسع من شهر رمضان المبارك من السنة المذكورة .

قلعة جك او قليعة <ب٦١ >

خان بريقن (أو بيرقي)* <ب ٦١ >

قرية المسيب <أ ٦٢>

قلعة المسيب <ب ٦٢ >

الإمام الحسين <ب ٦٢ >

---

(١) البلدة المعروفة من أعمال مدينة الحلة،وتعد اليوم(قضاءً) تابعاً لمحافظتها، ويرجح بعض الباحثين نسبتها إلى المسيب أخي دبيس بن صدقة المزيدي مؤسس الحلة. ينظر عبد الرزاق الحسني : العراق قديماً وحديثاً، هيدا ١٩٨٢، ص١٤٧ .

(٢) الرحمن ، آية ١٩ .

* قرأها الناشر التركي وكتبها باللغة التركية "بيرقي " ، فهي في أصل المخطوطة أقرب الى القراءة بصيغة (بيرنص)، لذلك تكون القراءة الكاملة في المخطوطة الأصل "خان بيرنص " ، وهي أقرب إلى "خان بئر النص " ، وهناك الآن موقع بين كربلاء والنجف يسمى (خان النص)"المترجم " .

<أ ٦٣>

صحراء النجف <ب ٦٣>

بحر النجف <أ ٦٤>

الإمام علي <ب ٦٤>

<أ ٦٥>

بلدة كوفة <أ ٦٥>

صحراء كوفة <أ ٦٦>

النبي ذو الكفل <ب ٦٦>

قلعة أنهاره <أ ٦٧>

مدينة الحلة <ب ٦٧>

<أ ٦٨>

خان بريص <ب ٦٨>

قلعة البراني <أ ٦٩>

وما أن قفل نسر جبل القاف، وعقاب أوج الخلافة، ومالك ممالك الدولة القاهرة، وسالك مسالك العزة الباهرة، ومنظر العناية السرمدية، ومظهر آيات الملة المحمدية، راجعاً إلى (بغداد) على رأس أمواج عساكر الإسلام والمدار، وأمواج أحناء السعادة والدثار من مشهد (علي ، والكوفة ، وسهلة ، وبحر النجف) محفوفا بالسعادة، وإذا بدأ يتنعم بالراحة والسكون ويقضي أيامه في بحبوحة دون شجون وهو في حضور موفور الحبور وسرور فائق النور، فإذا برسل تهبط بقربه قادمة من طرف (محمد باشا) أمير أمراء (ديار بكر) وكبير الكبراء الفخام، وذي القدر والإحترام والمختص بعناية الله الملك العلام، وهي تفيد بأن ذاك الذي سعى إلى تبديل شريعة الملة وتغيير مذاهب أهل السنة، الذي كان الباعث إلى إضلال

أحوال الرعية وانكسار نظم المملكة(أ – ٧٠)وهو شاه طائفة أشرار الـ(قزل باش)، حيث إتخذ من التاج والبدعة والشقاء شعاراً لنفسه بعد انحرافه إلى الفكر الفاسد بدون مال، وانساق أمام الخيال الكاسد المحال، قد قام وبصحبته بضعة كبار من رجاله القليلين وعدد من أمرائه الذليلين بإحداث تلاطم في خضم الوغى، وانهيال في سيول الغوغا، بعد أنْ نزل في جانب من منطقة (إمام سهل علي) قاصداً مدينة (تبريز) وشن هجوماً على (أولامه)[1] الذي سبق وأن هبط من جبل الطغيان مقدما على الطاعة بحكم الاضطرار متشبثاً بذيل الاستئمان ، فنال مبتغاه وحظي بالسعد والمسند، قاضياً أيامه على سجادة الاستقامة عملا بأمره تعالى :" فاستقم كما أمرت "[2]ولكن ، قد بدر منه الإمهال والإهمال في أمر الصمود أمامه، فاقلع من دياره وغادر إلى جهة (وان) ليتخذ لنفسه هنالك ملجأً آمناً تاركاً الميدان للغاوي المعتدي.

وبذلك سيطر (الشاه) على مدن (تبريز، وسلطانه)، ودركزين ، وهمدان) التي سبق أن فتحها السلطان في الأمس القريب، وقد عين فيها (الشاه) ما عين، ونصب من الموظفين (القزل باش) الأوباش ما نصب، وما أنْ استتب له الأمر هناك حتى انطلق وراء ((أولامه) المُحاط، بمجاميع شياطين الفساد والضلال، مصحوبة بكامل الفرقة الموسيقية العسكرية من الطبول والطوغ والنقارات وغيرها ، وضرب حصارا على القلعة التي استحكم فيها (أولامه).

---

(١) كان أولامه بك من قبيلة تكلو التركمانية، حاكماً على آذر بيجان من طرف الدولة الصفوية، بينما محمد بك تكلو يحكم باسم هذه الدولة بغداد وقسماً من العراق فانحاز أولامه، على نحو مطلق، إلى جانب الدولة العثمانية، وكان أحد الذين حرضوا السلطان سليمان القانوني على اجتياح الصفويين في إيران، وحينما تقدم إبراهيم باشا بقواته العثمانية إلى مدينة الموصل، التجف به اولامه بك، وشرع يرسل الرسائل إلى محمد بك يحرضه، وأتباعه على تسليم بغداد سلماً إلى السلطان وقد امتنع محمد بك، حاكم بغداد آنذاك من تسليمها، ولكنه اضطر إزاء إصرار بغداد والتوجه الى الشاه عن طريق البصرة، مرتضى علي نظمي : كلشن خلفا،ص ١٩٨–١٩٩ وأحمد القرماني : أخبار الدول ص ٣٢٠

(٢) هود الآية ١١٣

ولما بادر بمهاجمة المحاصرين ومقارعتهم ،هب المجاهدون المسلمون الموجودون داخل الحصار والمتعاونون من المؤمنين معهم ،وبدافع غيرة (باد شاه الأسلام)وحمية دين سيد الأنام ،وعملا بقوله تعالى "فاقتلوهم حيث ثقفتموهم"[١]، بعد أَنْ نصبوا رايات النصر على سفوح الحصار، ورفعوا بيارق الظفر على أبراج القلعة ،وباشروا القتال باستخدام السهام والبنادق والحراب والمناجيق وغيرها من آلات الحرب، فأخذت نصال السيوف تتوهج كالشموع في الميدان، ورؤوس الحراب الفتاكة تلمع كالنار وتبرق ، يخالطها صفير السهـــام الواصل<ب – ٧٠ > إلى أسماع الأعداء اللئام "فأتبعه شهاب ثاقب "[٢]، فيما أعشت عيونهم" يكاد البرق يخطف أبصارهم"[٣]،كما أن أزيز السهام المتطايرة ودوي المدافع الشبيهة بالرعد كانت تلقي الرعب في قلوبهم أُسوة بما ورد في:﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾[٤]، وتذكرهم بأهوالها وتشعرهم بمرسومها، فشرع الجنود الأبطال والغزاة المغاوير بحصد أرواح أولئك الشراذم القليلة من المهاجمين وإبادة أبدانهم على بيادر حياتهم بمشاعل الفناء، فأعملت السيوف في اجسادهم "كأن لم يكن شيئا مذكورا "[٥]وما أن وصل خبر ذلك إلى أسماع(السلطان)وأحيط بتفاصيلها الوافية،حتى تداول الأمر في مجلس وزرائه من جميع الوجوه وبمشاركة كبار المسؤولين الآخرين من قوام المملكة، من الذين تعتبر آراؤهم الصائبة عمدة في تسيير سفينة الدولة، إذ إنّهم هم المهندسون الذين يضعون أسس العزة والشوكة لأرجاء البلاد المحمية ، فتداولوا جميعا الرأي في تصرفات (الشاه) الطائش الذي حاد عن الطريق السوي، والعدو اللدود الغوي ، حتى عرضوا النتيجة على مقام (السلطان) .

وبموجب العمل بفحوى الدليل القاطع والبرهان الساطع :"وشاورهم في الأمر "[٦]، فإنّ

---

(١) النساء ٩٠ والبقرة ١٩١ .

(٢) الصافات الآية ١٠ .

(٣) البقرة الآية ٢٠ .

(٤) الزلزلة الآية ١ .

(٥) الدهر الاية ١

(٦) آل عمران الآية ١٥٩ .

الـ(باد شاه) فاتح البلدان وسلطان ممالك الأقاليم قد دخل مع أولئك الوزراء والمستشارين في مشاورات كثيرة ومحاورات كبيرة، حتى نطق بلسان عذب البيان وفم يفصح دُرّاً ومرجان، مدليا برأيه في شأن الموضوع وفق مايلي :–

إذا حصلت إرادة الله على ظهور البدع ، فلا يفيد معها حتى لو هبت كل الكائنات بأسرها على قدم وساق لدرئها ،وأن قضية سهلة المنال ، لايتيسر إنجازها مالم تستند على مشيئة الحق تعالى جلت قدرته،‹أ – ٧١ › وأنّ اعتمادي أنا في هذا الباب ليس معقولا على توافر الأولاد والأموال ولاتكاثر الأجناد والأبطال، بل إنه يستند على عناية الله الملك المتعال، وإنّ الغرض الأصلي والمراد الكلي الذي أصبو إليه، هو إظهار الحق لاغير، وإنْ كان إسهامي في إزالة كيان ذلك الشرير، رائد الملاعين وقائد جنود الشياطين وعريف فرسان المتمردين والمتعنتين مكتوبا على جبيني في لوح القدر،مادام ذلك اللعين يسعى إلى تبديل وتغيير الدين وتخفيف وتحقير الشرع المبين، وهو الملحد ذو المذهب السيء، مستخدما نيران القهر وعنف الزجر، ولسوف أقضي عليه قضاء مبرما ولأمحون اسمه من قائمة الوجود بعناية الله تعالى وحوله وقوته ، وذلك قبل أنْ يحل شتاء هذا العام بمشيئة الحق المبين. والعبد يدبر والله يقدر .

وعلى إثر ذلك، أُرسلت التعليمات اللازمة إلى القوات المنتشرة في سائر أرجاء البلاد المحمية أو المرابطة في نقاط السواحل من مرتبات (روم ايلي[1] والأناضول[2]) ووحداتهما،

---

(١) روم ايلي :مصطلح جغرافي اتسع مدلوله باتساع ممتلكات العثمانيين في أوربا ،فاطلق أولا على مناطق من شبه جزيرة البلقان تشمل تراقيا ومقدونيا وشبه جزيرة الموره ،ثم أطلق على شبه جزيرة البلقان كلها ليشمل (أدرنة وسلانيك ومناستير واسكوب) .وباتساع الفتوح العثمانية أصبح يشمل ممتلكات العثمانين في أوربا ، وهي ولايات الأفلاق والبغدان وبلغاريا والصرب والبوسنه والهرسك والجبل الأسود وألبانيا .

(٢) الأناضول ، لفظة مأخوذة من اليونانية، وتعني (الشرق) ويشمل معناها ما عرف بآسيا الصغرى، أو بلاد الروم، كما سماها العرب، وتتطابق حدودها اليوم مع حدود القسم الآسيوي من الجمهورية التركية تقريباً.

بأن يتحركوا جميعاً ويتجمعوا في الموقع المسمى(كوك تبّة)[١] في مقابل (آلتون كوبري)[٢] ليلتحقوا بأمر القيادة العسكرية الموجودة هناك .

وقد صدر الأمر كذلك إلى مسؤول (ديار بكر) والقوات الكردية الموالية[٣] هناك بالتحرك نحو قلعة (وان)[٤] للالتحاق لنجدة (أولامه) في صحراء (تبريز)[٥]، وذلك قبل أن يمتطي حضرة (السلطان) صهوة جواده لأجل الجهاد من مدينة السلام (بغداد) التي تضاهي الجنة في المقام، لتيسير فتحها بالقوة القاهرة وهمة العساكر المظفرة في لاحق الأيام بقيادة سلطان الإسلام وظل الله على الأنام، مالك رقاب الأمم وخليفة الله في العالم، ووالي لواء السعادة في الآفاق وصاحب سرير الخلافة بالاستحقاق، والمخصوص بعناية الله الملك الخلاق، بادشاه الربع المسكون، والحاكم العادل المأمون، خلدت خلافته .وبداعي حمّية الإسلام سنّة خير الأنام مرة بعد أخرى وثانية بعد أولى، فقد عقد العزم والتصميم على الرحيل على رأس جيش لجب يماثل الأنجم في العدد، ومغاوير أبطال في القتال كطيور تنقضّ على فرائسها انقضاض العقبان وكأنها " طيرٌ أبابيل"، وأسوة لما ورد في التنزيل : "ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل "[٦]،

---

(١) كوك تبه، اسم تركي يعني التل الازرق (كوك: أزرق ، تبة : تل) وهو يطلق على بلدة تقع على بقايا مستوطن آشوري قديم، بين بلدة التون كوبري ومدينة أربيل.

(٢) بلدة قديمة تقع على ضفة الزاب الأسفل، ويعني اسمها بالتركيّة (قنطرة الذهب) ويرجح أنْ تكون لفظة (الذهب) هنا محرفة عن اسم (الزاب) نفسه، بسبب تلفظ الأتراك الذال زايا ومن ثم تشابه نطق الاسمين:

(٣) من الواضح أنه يقصد القبائل الكردية الموجودة في منطقة ديار بكر عهد ذاك، وكانت هذه القبائل تمثل قوات احتياطية تستعين بها الدولة عند إنفاذ الحملات العسكرية إلى إيران والعراق .

(٤) تقع قلعة وان على الشاطيء الشرقي لبحيرة وان في شرقي الأناضول (حيث تقوم اليوم المدينة المعروفة بهذا الاسم). والظاهر أنّ مسيرة هذه القوات نحوها كانت بمحاذاة نهر دجلة باتجاه جنوبي شرقي، ثم مضت، بعد ذلك صعداً مارة بمدينة بتليس، ومنها إلى شواطيء البحيرة ؛ الجنوبية واستدارت حولها شرقاً حتى وصلت القلعة المذكورة .

(٥) تعد المنطقة المحصورة بين مدينة وان وتبريز من أكثر المناطق ارتفاعاً ووعورة، وفي الغالب فإنّ هذه القوات سلكت الطريق المار بمدينة سراي، فمدينة خوى، حتى وصلت إلى تبريز.

(٦) الفيل آية ٤.

فسار قاصداً تلك الزمرة الفاسدة من أجناد (أردبيل) وفرقة الإفساد مثل أصحاب الفيل بغرض القضاء عليها، "ومن يقاتل في سبيل الله فسوف يؤتيه أجراً عظيماً"[١]

وعملاً بموجب ذلك المفهوم، فلقد جرى بذل جلّ الإقدام الغضنفري وصرف كل الاهتمام الجمشيدي[٢] العبقري، ومع حلول موسم الربيع<ب – ٧١ > وتفتح أزاهير الفلاة هنا وهناك ولاسيما شقائق النعمان التي رفعت رؤوسها المتوّجة بالتيجان الحمراء مثلها مثل جماعة الـ(قزل باش)، حتى ازدانت بمختلف أنواع الألوان الزاهية فامتلأت السهول والبقاع بالعشب الأخضر والزهور من كل لون كألوان المرجان أو ما يحاكي البرتقال والرمان، ورُفعت الرايات والأعلام يداعبها النسيم العليل في البستان اللطيف والحقل الجميل، فتوجه (السلطان) نحو قصبة (آلتون كوبري) الموصوفة بلطافة أجوائها والمكشوفة أطرافها لأحاسن المحاسن والفضائل، وإلى منطقة (كوك تبة) مقابل القصبة المذكورة.

وعليه، فالمنازل الكائنة على الطريق بين مدينة السلام (بغداد) وحتى الموقع المذكور التي ثبّتت في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام واحد وأربعين وتسع مئة للهجرة النبوية الشريفة[٣]، كانت كما يأتي :–

آق يولوم[٤] <أ ٧٢>

دهلة[٥] أو ينيجه[٦] <أ ٧٢>

---

(١) النساء، آية ٧٣.

(٢) نسبة إلى جمشيد، بطل أسطوري قيل إنّه ملك ألف سنة ، حتى قتله الضحاك ملك الشياطين.

(٣) الموافق ٣١ آذار سنة ١٥٣٥ ميلادية.

(٤) آق : باللغة التركية تعني (ابيض) . . . يولوم = المحصود أو المقطوف . . . "المترجم"

(٥) توجد في نواحي ديالى عدة قرى يقرب اسمها من هذا الاسم،منها قرية دحلة، التابعة لناحية قزانية،من نواحي قضاء الخالص، وقرية دحيلة التابعة لناحية بني سعد، في قضاء الخالص، ونظن أنّ المقصودة هنا هي القرية الأخيرة، وفي هذه الحال،تكون قرية ينيجة (أو ينكيجة بالإملاء العثماني) هي المعروفة اليوم بجديدة الشط، لوقوعها في أراضي الناحية نفسها،وإنْ لم تكن مجرد تسمية أخرى لها كما يذكر المؤلف.

(٦) ينيجه: باللغة التركية تعني (المجدّدة أو المستحدثة) . . . ويلفظها التركمان حالياً في (كركوك): ينكيجه . . . "المترجم" .

حد ثعلب <أ ٧٢>

بطّ <ب ٧٢>

يند[١]بط أو الشيخ مزيد[٢] <ب ٧٢>

كلين إيواني[٣] أو قبر ليلى[٤] <ب ٧٢>

آربا تبّه[٥] أو الشيخ محسن <أ ٧٣>

إفتخار لو <أ ٧٣>

سلوكان <أ ٧٣>

ليلان[٦] <ب ٧٣>

قيزل كوشك[٧] قرب (قلعة كركوك) الواقعة على نهير (خاصة صو) <ب ٧٣>

---

(١) ينْدِ :باللغة التركية تعني (المضيق المحدود أو الصغير) . . . "المترجم"

(٢) لعله يريد (حد مزيد) وهي قرية قديمة من أعمال مدينة بعقوبا، ماتزال عامرة، وقد وردت الإشارة إليها في وقفية السيد زين الدين القادري المؤرخة في سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م.

(٣) كلين: باللغة التركية تعني (العروس)، إيوان = قبة . . . "المترجم" .

(٤) توجد في نواحي قضاء الخالص قرية عامرة تسمى (عين ليلى) .

(٥) آربا : باللغة التركية تعني (الشعير)، تبة = تلّة . . . "المترجم"

(٦) قرية عامرة، تعد اليوم مركزاً لناحية قره حسن من أعمال كركوك .

(٧) قيزل : باللغة التركية تعني (الأحمر)،كوشك :صدر البيت أو المبنى فـ(قيزل كوشك)، فلم يطرق سمعنا في (كركوك) على حد علمنا، تسمية من هذا النوع، ولكن هناك مقبرة لنصارى قلعة كركوك تقع على طريق كركوك – سليمانية وعلى بعد حوالي (كليو مترين) نحو الشمال الشرقي للقلعة نفسها تسمى (قيزل أو قرمزي كليا، أي الكنيسة الحمراء) ولربما كانت كنيسة في الأصل قبل أن تتهدم بمرور الزمن وتتوسع المقبرة التي كانت تجاورها حتى طغت عليها، والملاحظ أنّ تلك المقبرة تقع على تلة ذات تراب أحمر،ولربما جاءت التسمية استناداً إلى الأرض الحمراء المحيطة بها،كما كانت هناك (مطحنة حجرية)خلال عقد الخمسينات من هذا القرن في المنطقة نفسها تسمى (قيرمزي ده كيرمن) أي (الطاحونة الحمراء) . " المترجم"

درْ سر آب[1] <ب ٧٣>

كوكك تَبَّه[2] <أ ٧٤>

آلتون كوبرو[3] <أ ٧٤>

<ب ٧٥>وفي أواسط شهر شوال من العام نفسه، حلّ السلطان صاحب الزمان والخالدة خلافته إلى آخر الدوران في براري (كوك تبّه) بكل عزّ وسلام وفي أوقات شريفة وساعات منيفة، وما أن استقر به المقام حتى أمر بتسيير الرسل على جناح السرعة إلى جهات (الموصل، وحسن كيف وروخة، وبيره جيك، وكاختة، وكركر)[4]لتبليغ القادة والأمراء المسؤولين عن الفرق العسكرية المرابطة في تلك الأرجاء، من تلك التي سبق وأن أُذِنَ لها بقضاء موسم الشتاء في ربوعها، كي يلتحقوا فوراً إلى مراكز التجمع في منطقة (كوك تبه) قبالة (آلتون كوبرو)، وامتثالاً للأمر قدمت تلك القوات إلى حيث أمرتْ.

وعندما تراصفت الخيم بعد نصبها وتزاحمت الجموع الغفيرة حولها، ورفرفت حواليها الأعلام والرايات هنا وهناك، وأبهرت العيون مناظر الأسلحة من السيوف والدروع والحراب والأقواس والسهام، أمست البقاع المذكورة قطعةً من جُنَيْنة غنّاء تأخذ بالأبصار، فيما أضيفت اليها أصوات قرع الطبول والأكواس[5] ذات الصدى آناء الليل وأطراف النهار من شتى أرجاء ذلك المعسكر الهائل. . .وتقرر المكوث هناك إلى حين، وصدر الأمر إلى ديوان

---

(١) درْ سر آب :ثلاث كلمات فارسية تعني بمجموعها (في رأس عين الماء أو الجدول)

(٢) تقدم التعريف بها.

(٣) تقدم التعريف بها.

(٤) انظر في ضبط هذه الأسماء والتعريف بها ما تقدم .

(٥) الأكواس، والكوسات هي الصنوج التي يضرب بها في الحروب وفي المناسبات، ويشبه الضاربون بها عازفو موسيقا الجيش في هذه الأيام.

العدل بممارسة المهام، حينما علم أن (أردشير بن شير[1] علي)، وهو من وجهاء (الكرْد) وأمير (أوريل[2] ونواحي جزْريل) يتظاهر بالولاء نحو عتبة الدولة العليَّة رياءً، ويتحالف مع العدو الضال سيئ النسب ويشارك بالعمل معه في الخفاء، ويتعامل بالحيلة والنفاق سراً.

ولما قام سلطان سلاطين الإسلام، وعلى رأس‹أ ٧٦ › جنده المنصورين برعاية الله بالتوجه نحو العدو سيء المصير وارتياد مكامن الخطر، فإذا بالأمير المذكور وقد كمن في إحدى البقاع وهو يبتغي الإضرار وبصحبته الفرسان المحيطين به، متحيِّناً الفرص ومتربصاً للانقضاض فور سنوح الفرصة ومؤاتاتها الذي كان دأبه في ذلك مادام متعاوناً مع العدو اللدود، غير أنّه لم يجد إلى ذلك سبيلا بفضل قوله تعالى: "لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلاً"[3] حيث لم يمسوا بسوء الجند المنتصر بأي حال من الأحوال .

ولّما بانت سوء سيرته هذه لدى السدة السنية، السدرة الأساس والمقام للدولة العلية، اجتمع مجلس الوزراء وتداول بشأن تقرير مصير المؤما إليه والبتُّ في أمره، حتى قرّر توجيه الدعوة إليه بالحضور في مقر (السلطان) لتسلم الخلع والهدايا التي تقرَّر منحها إليه،ولكن ذلك كان طعماً لأغراضه.

فما أنْ حضر حتى أسقط في يده بمقتضى: "جزاءً بما كانوا يعملون"[4]، ووقع في شباك الصياد مهيض الجناح بتقدير : "من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها"[5]،وفي الحال جرى فصل رأسه عن جسده مع اثنين من معاونيه بتهمة التعاون مع الـ(قزل باش)، فأمحيت

---

(١) من المحتمل أنْ يكون هذا هو أحد أمراء سوران (إمارة مركزها رواندوز) وهو عز الدين شير بن سيدي بن شاه علي بك. وكان معاصراً للسلطان – سليمان القانوني .

(٢) لفظة محلية كانت شائعة لمدينة أربل (أربيل) وقد تغير تلفظها، بحسب النطق المحلي، إلى (هه ولير). وكان أميرها يومذاك حسين بك الداسني اليزيدي .

(٣) النساء ، آية ٩٧ .

(٤) السجدة آية ١٧ .

(٥) فصلت آية ٤٦ .

أسماؤهم وعناوينهم من صفحة الأيام، وما كان إلاّ دليلا آخر على صدق المقولة: "من زرع الفتن، حصد المحِن".

وبذلك أُلحقت القلاع التي كانت عائدة له،وهي (آلتون كوبرو، وأوريل، وحرير، وشقلان[1]، وجزريل) إلى عداد القلاع والحصون التابعة لنفوذ الدولة العلية، وسلكت مفاتيحها إلى يد حضرة صاحب الجلالة في البوابة العالية السعيدة التي هي ملاذ الأنام.

<ب ٧٦>

وفي اليوم نفسه، جرى تحرير رسالة موجهة إلى (الشاه) الملحد والمثير لكل هذه المشاكل والفتن بدعوى الملك والخلافة، تحذيراً له وتنبيهاً في معرض الحكم السلطاني وبصيغة النصح والإرشاد، وبعثتْ إليه، وكان مفادها :-

"قلْ اللهمَّ مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعزُّ من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير"[2]، وبالإجابة جدير .

فيا قائد افواج الـ(قزل باش)، ويالحاكم النكد المعاش، وقد جمعت حولك عدداً من الأتراك الأوباش والأجناد الأجلاف، تنشرون في الأرض الفساد بدافع الطغيان والعناد، وتعملون على تعذيب العباد وتخريب البلاد، ولا تنفك أنباء أعمالكم المشينة تتردد بلا انقطاع في البلاد، فيما يشكو الناس من مظالمكم وبغيكم وعدوانكم غير منقطعين، "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين"[3] وإنّ راية الشوكة والاقتدار لايمكن أنْ ترفرف بأيدي الإجبار والإكراه، وكذا فإنّ الكرّ والفرّ في ساحة الحكم والأبهة والفخفخة لايتمّان بمجرد كثرة الأعوان والأنصار ولا يكتب لها الدوام .

---

(١) كذا كتبها المؤلف، وقد سبق انْ ذكرنا أنّها شقلاوه.

(٢) آل عمران آية ٢٦ .

(٣) الروم آية ,٤٢

وأيْم الحق، إنّك لعدو للدين وخصم لدود للأئمة المرشدين، بعد أَنْ فرَّقت شمل المسلمين ونكصْت ومزَّقت راية الدين فاعلم "أن الشرك لظلم عظيم وما ربّك بغافل عمّا تعملون وهو السميع العليم"(١)

وإنّني بوصفي سلطان الدنيا وصاحب المجد في هذا الزمان، الحريص على مصداقية السلطان في الأرضين، فإنَّ منهجي في دست الحكم هو العمل على إشاعة العدل وإعمار البلاد وإصلاح الفساد والعزم على الجهاد وإيقاظ أصحاب الرقاد، وبسط الموائد<أ ٧٧ >لوافرة وإعمار الولايات المتناثرة ونشر الإنصاف وتعميم قواعد العدل في أرجاء المملكة الحاضرة، فمن أتاني طائعاً من أهل التيجان والحكم فقد فاز، وخلعت عليه بالهدايا الفاخرة والعطايا الباهرة حيث تكون مدعاة لامتنانهم.

ولأجل شمول أحكام دولتي أطراف الدنيا وإعلام سائر الأمم بأنباء انتصاراتي البارقة واللامعة، فقد سرت على رأس الجحافل المظفرة طاوياً وجوه البراري والصحاري بالآت الحرب وأسباب الضرب، ولسوف أقْضينَّ على نيران الفتنة والفساد التي أوقدت أنت أوارها بماء العدل والإنصاف اللذين اتخذتهما شعاراً لنفسي، ولأدكّنَّ بنيان الظلم والعناد اللذين أوجدتهما دكا دكّا، مستندا على العون الرباني وتأييد المدد السبحاني لأجعلهما في لحظة واحدة في خبر كان،بل وكأن لم يكن لهما وجود أصلاً، وسوف لا أسمح لك بعد هذا اليوم، ولو لساعة واحدة، من الراحة، ولا للحظة واحدة لالتقاط الأنفاس.

إذ أقلع ملاح العزم مرساة الصبر من قعر بحر التحمل إلى سطح سفينة الإقدام، ناشراً أشرعة العزيمة كأجنحة الهمة، موجّهاً زورق الحمية صوب المقصود، إنْ شاء الله الرحمن وبتوفيق الرب المنان، إذ من استحلّ ما حرَّم الله فقد كفر، حيث إنَّ اقتراف الكثير من شنائع الأمور وقبائح الأفعال قد بلغ حدّ التواتر حتى دعا الشيوخ والعلماء والأئمة والفقهاء إلى إصدار فتوىً بقتلك على مرأى من الناس.

---

(١) هود آية ١٢٣.

ولكن، وعملاً بحديث نبيّ الرحمن: "قبل السيف، التكليف بالإسلام"[١]، فقد اقتضى تنبيهك وإعلامك بوجوب ترك الغرور والاستكبار جانباً، ومحو طريق الإلحاد من رأسك، وسلوك مسلك الخير السوي من صميم فؤادك، وإخضاع عنق طاعتك إلى سلسلة الانقياد، وضرب طوق الإنابة على رقاب< ب ٧٧> الاعتياد، وتنهجوا نهج: "الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهمْ ذكروا الله فاسْتغفروا لذنوبهم".

وفي كل حال ومحال، عليكم أنْ تعرفوا جميعاً الحق حاضراً وناظراً، وأنْ تندم أنت وتستغفر لذنوبك من صميم قلبك، وأنْ تترك الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية والاقوال اللامعقولة والأفعال اللامشروعة التي بدرت منك وصدرت.

وعليك أولا، وبموجب :-"أولئك الذين هدى الله"[٢]فبهداهم يقتضي أن تقتدي بمذهب الأئمة العظام والعلماء الكرام، ولا تعدل عن جادة الشريعة ولا تَنْذلُ عن عادة العدالة وثانياً، إنّ تلك القلاع والبقاع التي سبق وان مسحنا وجوهها بتراب أقدام جيوشنا، وتلك الأصقاع التي جعلنا من نعال خيولنا حلقات العبودية في آذانها، لابد أنْ نعتبرها من الممالك العثمانية المحفوظة البتة، وأنّ تسلّمها إلينا بمقتضى :- "أنَّ الله يأمر أنْ تؤدُّوا الأمانات إلى أهلها"[٣]، وتحافظوا على ودّي كي تنعموا بألطافي العميمة وتنالوا سعادة الدارين، وإلا، فلو أصررتم على البقاء في طريق اللجّ والعناد وانتهجتم سبل الفتنة والفساد وتعذيب العباد وتخريب البلاد، وألححتم على الإلحاد، كعهدنا السابق بكم، فإنّ بموجب :- "قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة"[٤]، ستجعلون من صنوف الغدر والمظالم التي اقترفتموها بحق المسلمين والأئمة الكرام شاهداً على أنفسكم".

---

(١) ليست هذه العبارة بحديث، وإنْ تضمنت معناه أحاديث شتى.

(٢) آل عمران آية ١٣٥ .

(٣) النساء آية ٥٧ .

(٤) لتوبة آية ١٢٤ .

وفي أواسط الشهر المذكور[١]، جرى الإقلاع من المحل المزبور والقفر المذكور[٢] بترديد "إنّ الله الرحمن" مستهدفين قلعة في داخل (ولاية كوردستان) كانت معروفة بقوة الأساس والبنيان وقد عانقت أبراجها السماء في العنان وكانت دار السلاطين< أ ٧٨ > الماضين والملوك السابقين الذين كلما سعوا إليها عَصِيَ عليهم فتحها رغم كل الجدّ والجهود، وكان ذلك يماثل اصطياد طائر العنقاء صعوبة، ويشابه اغتصابها اغتصاب قلعة الأفلاك مناعة،تلك كانت قلعة (خفيان)[٣]

ولدى الوصول إلى جانب تلك القلعة، وفي البقاع المقابلة لها،نصبت الخيمة السلطانية عند ينبوع ماءٍ يسمى (عين شمشاد وخوب سهاد)، حيث شرَّف حضرة (السلطان) ذلك المحل، وألقى فيه عصا الترحال وهو محاط في حواليه بزينة الجند المنتصرين احاطة الهالة بالقمر المنير، فازدانت بهم الصحراء أخّاذٍ فريد .

وبعد استراحة دامت ثلاثة أيام ، بُوْشِرَ بتهيئة المعدات الحربية وجعلها في متناول اليد ، وإعدادها لتكون جاهزة وقت الحاجة، وفي غمرة الانهماك والاستحضارات والاستعدادات والانصراف إليها على قدم وساق، وبعد أن ذاعت خلالها سطوة أولياء السلطنة ومهابتها بين أعداء الدولة وخصوم السلطنة، دمّرهم الله، فإذا بـ(محافظ القلعة) وقد جاء قادماً بطلب الزلفى[٤]، مقهور القلب وقد قطع الأمل في الحياة، يرافقه جمع من أتباعه وعدد من كبار أشياعه، يعرض العهد ويطلب الأمان وفق قانون (آل عثمان)، وبألف تضرع وتذلل، وضع وجه الرجاء على الأرض بين صفوف النعلين في خدمة (السلطان)، وقد أدخل رقبة عبوديته في ربقة رقه، خاضعا تمام الخضوع لطوق الطاعة والخنوع، حتى سلم مفتاح القلعة إلى (السلطان) نصير الأنام .

---

(١) يريد شهر شوال من تلك السنة، ويوافق منتصفه ١٨ نيسان سنة ١٥٣٥م

(٢) يريد بهما : آلتون كوبرو وكوك تبه.

(٣) تقدم التعريف بها.

(٤) وهذه ما تسمى في يومنا هذا باستراتيجية(تحقيق الغاية المتوخاة بالتلويح باستخدام القوة) . . .(المترجم)

<ب ٧٨>

وبعد ذلك بأيام انطلق الركب من المحل المذكور في اتجاه النبع المعروف بـ(نبع اسكندر) الكائن في ذيل جبل (عمرو قدرين) الموصوف بلطافة مائه، الذي كانت عيناه تترقبان المقدم السلطاني والحضور السليماني منذ عدة سنين وتذرف دموعا كعيون العاشقين ويسيل لعابه أسوة بالمشتاق الذي يتلوى لمرآه الانتظار.

ولما استتب الأمر وطاب المقام للقوم في ذلك الموقع، وتشرف المكان بنزول (السلطان)، وامتلأت السهول والوهاد بأفواج الخدم والحشم والأجناد، وازدحمت أطراف جبل (هامون) بوحدات الجيش المأمون، فإذا بأحد أمراء الأكراد، المدعو (مير سهراب)[1] وقد حضر نابذاً العصيان وضاربا الصفح عن البغي والطغيان

ليس أعـوجـاً وقـد رأيت طاقـيـة الزمـان

وقد لبست بدورك الفرْو وفق مقاس الأبدان

فعملا بذلك، فقد جاء ليظهر شعار الطاعة ودثار الصداقة إلى سلطان العصر وملك الدهر، خاضعاً بدوره، إلى حلقة الخدمة وطوق العبودية، سواءً أجرى ذلك طوْعاً أو روعاً، مسلما مفاتيح قلاع [2](دوران١ ،وحران٣، وسرجه٤ ، وحريره٥ ،وشمران٦ ، وسروجك٧ ، ونوى٨، وميصله*٩ ، وظالم١٠ ، وولكي١١) التابعة له ، فجرى تكريمه بصك الأمان وتلطيفه بالإحسان وخلعة كسرى الزمان.

---

(١) ويسمى (سرخاب) أيضا،وهو ابن مأمون بك بن منذر بن بابلو بن حسن بن خضر بن الياس بن كلول بن بابا أردلان، والأخير هو مؤسس إمارة أردلان في القرن السابع للهجرة، وكانت أراضي هذه الإمارة تمتد في مفتتح القرن العاشر للهجرة (١٦م) بين مجرى نهر الزاب الكبير شمالا وحتى نواحي واقوق جنوباً، وتعد قلعة زلم (ظالم، ظلم) مركزاً لها، البدليسي :شرفنامه ١٠٦ –١١٥ ومذكرات مأمون بك بن بيكه بك، نقلها إلى العربية محمد جميل الروزبهاني وشكور مصطفى (بغداد ١٩٨٠) في مواضع عدة.

(٢) الارقام٢،٣،٤،٥،٦،٧،٨،٩،١٠و١١ تقدم التعريف بها .

*كذا في الأصل، وفي مذكرات مامون بك ص٥٨ (مشعلة) وعلق عليها مترجما المذكرات بقولهما :لعلها(مشيلة) الواردة في شرفنامة، وهي من القلاع القديمة المندثرة في مناطق جوانرود واورامان.

وقد شدَّ الرحال بعد ذلك نحو قلعة(كلكون)[١] عبر (شهرزور) الصعبة المرور، تلك القلعة المشهورة بهذا الاسم، والمعروفة بمائها (اللازوردي) اللون، وحصونها المحكمة وأبراجها العالية العاتية < ٧٩أ > والموازية للفلك الأخضر، وبغية إغناء مواكب كواكب الفرسان وأفواج المشاة من مشقّات عبور المضائق الوعرة المسالك الواقعة على الطريق، فلقد تقرر تحريك القائد العسكري على رأس قوة كافية في المقدمة وعلى مسافة منزلين وبصحبته كامل الخدم والحشم والطوغ والطبل والعلم، كي يمهد السبيل لسائر الوحدات العسكرية التي ستتحرك خلفه بالحرية والراحة التامتين.

وبعد تخطي الصعاب، واجتياز تلك المسالك الوعرة والوصول إلى منطقة الحصن الحصين والقلعة المتينة الشامخة شموخ دوحة الصنوبر، فإذا بأميرها المسؤول قد هبّ إلى خدمة (السلطان) طلباً للأمان، مبدياً الرغبة للانضواء تحت حمايته بصفة أهل الذمّة، راكعا أمامه واضعاً ظهر يديه على الأرض،ماداً رقبته لطوق الطاعة، حيث تعالت أصوات رعيته في هذه الأثناء وهم في داخل السور ليملؤوا الجو صراخا وعويلا، مردّدين :ـ "الأمان، الأمان" ، ومبدين استعدادهم لقبول مبدأ :ـ "حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرين"[٢]

وفي هذا الوقت بالذات، جرى تسليم مفتاح القلعة إلى قائد القوات العسكرية في المقدمة، ليأخذه بدوره لتقديمه إلى حضرة (السلطان)، تلك القلعة التي لم تخضع لأي <ب ٧٩ > من الغزاة الذين تصدوا لمحاصرتها في يوم من الأيام، فلقد سقط برجها المطاول مغلوبا على أمره في شباك التسخير الذي ألقاه عليه سلطان العالم وفاتح الدنيا.

---

(١) تقدم التعريف بها .

(٢) التوبة آية ٣٠ .

ولدى عرض الكيفية التي استسلمت بها قلعة (كلكون) إلى مقام حضرة (السلطان) من تلقاء نفسها، جرى منح العطايا والهدايا الفاخرة من المراحم لقاء طاعة أميرها، والإحسان بلسان الشفقة إلى الرعية المقيمة لمطاولتها، وذلك عملاً بقاعدة :- "العفو زكاة الظفر".

وقد مكث (السلطان)مع جنده هناك عند جدول ماء يسمى (آب نيلكوت) - أي الماء اللازوردي- الجاري في البقاع المذكورة، فكان المنظر بهيجاً ورائعاً، محاطاً بأشجار باسقة وحدائق غنّاء وبساتين خضراء، تبعث الرضا والمسرة في النفوس وتذهب عنها الهموم وتقضي على الغموم.

وقد تداعبت أرض صحراء (هامون) وماء عين (نيلكوت) بأمواج الخيام المنصوبة ذات الأشكال والألوان، حتى نزل صاحب الجلالة (السلطان) بالموقع ذاك في الرابع من شهر ذي الحجة من السنة المذكورة، فكان حدثاً سعيداً هاماً لأهالي المنطقة، وهم يشاهدون الغبار المتصاعد من وطء أقدام مواكب الجند وسنابك خيول الكواكب، وكان ذلك الغبار بمثابة كحل افتخار في عيون الرعية من أعلاهم إلى أدناهم.

ولغرض الترحيب بما تقدمه الرعية من شكر والاستماع إلى شكواهم ورعاية مصالحهم فقد أجيز بالإقامة فيها، وعلى ذلك الاعتبار فإنّ المنازل الكائنة ما بين الموقع المسمى(كوك تبه) الكائن قبالة (آلتون كوبرو) وحتى قلعة (كلكون)[١]، وذلك في حدود يوم ١٧ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وتسع مئة، كانت كما يأتي[١]:-

---

(١) يوجد في الأصل فراغ بمقدار ورقة كاملة على الأقل بل أكثر منها بقليل، ولربما كان بعضها مخصصا للرسوم العائدة للمنازل تلك ، التي عوّدنا صاحب المخطوطة على وضعها في مواضعها الصحيحة من خلال الصفحات السابقة ولكن،وجدنا في القسم الذي كتب فيه الناشر هذا النص بالحروف اللاتينية التركية الحديثة (ص٢٥٩) سطوراً بهذه الحروف وكأنما هي استمرار لما سبقها، ولربما تكون قد نقلت من نسخة أخرى من المخطوطة نفسها، ولكن من دون أنْ يشير (المحقق) إليها حيث تركها غامضة ... "المترجم" .

(٢) لاذكر للمنازل تلك في مخطوط (المطراقي) المصورة في الكتاب الذي تحت أيدينا،لكنها ذكرت في مصدر آخر مدون في ص٩٨ من الكتاب نفسه، وهو لكاتب ثان سجل أحداث الحملة نفسها وشارك فيها،ويدعى (فريدون)، ويحمل كتابه اسم (المنشآت)، وسنأتي على ذكر ما سطره (فريدون) في ملحوظة) في هوامش صفحة لاحقة ... "المترجم" .

الحركة من (قيزل كوشك)	يوم ١٧ ذي القعدة ٩٤١هـ
استراحة على ضفاف نهر (خاصة)	يوم ١٨ منه
ضريح حياتي	يوم ٢٠ ذي القعدة
قيزل دوره[١]	٢٢ = منه
المحل الموسوم (جنار)[٢] عبر مضيق (اينما نشاه)	= ٢٤ =
مخيم استراحة	=٢٧ منه
كلوته	=٢٨=
مخيم استراحة قريب من منزل (باش جنار)[٣]	=٢٩ منه
(قلعة قيز)[٤] التابعة الى (زول)	يوم ١ ذي الحجة
سيد صادق	يوم ٢ منه
بكك يوردي[٥]	يوم ٣ منه
(قيزيلجه قلعة) وهي (قلعة كلكون) نفسها	يوم ٤ منه
الحركة من القلعة تلك	يوم ١٤ منه

---

(١) قيزل دوره :تعني (الوادي الأحمر) باللغة التركية ... "المترجم" .

(٢) ضرب من الشجر

(٣) باش : باللغة التركية يعني(الرأس) . . .و(باش جنار) يعني إما (شجرة جنار الرئيسة)، أو (منطقة مزروعة بأشجار الجنار والواقعة في منطقة عالية نسبياً مسيطرة على المنطقة المحيطة بها بالنظر) . . . "المترجم"

(٤) قيز باللغة التركية تعني (الابنة أو الفتاة) .

(٥) بك يوردي : كلمتان تركيتان : بكك =أمير، يورد :الأرض أو الموطن، فتكون الكلمتان بمعنى :أرض أو موطن الأمير .

< ٨٠ أ >

مضى يومان في الموضع المذكور، وبعد ذلك، فإن (سليمان باشا)[1] الذي سبق وأن تسنّم منصب أمير الأمراء وجلس على سرير (يوسف)[2] بأمر (السلطان) واجب الاذعان، والذي زَيّن المسند المشيد الوزاري بوجوده المليء خيراً والصاعد الى منصب الصدارة جدارة واستحقاقاً، وهو (نائب القطر المصري والقاهرة) والقريب من صدر الدولة الباهرة، والقائم بإدارة تلك البلاد بدءاً من ضفاف (نهر النيل) وحتى (الصعيد الأعلى) وعبوراً إلى (جدة، وزبير[3]، وعدن، واليمن) والمسيطر على أمن كل تلك البقاع وعلى خير مايرام وتمشية أمور (العربان)[4] وممالك الحرمين الشريفين من (سحيل، ومبرم)[5] بحسن تدبيره وضرب حسامه، حتى عمّ الفلاح والصلاح وجه البحر والبرّ، وذلك بفضل جهوده المشكورة وإجراءاته المحمودة، وفقاً لأساليب العدل والقوانين المنصفة، وساد النظام في تسيير دفة أمور

(١) قائد عثماني شهير،عرف بسليمان الخادم، بدأ حياته بالدخول في زمرة خدمة الحرم،ثم نال الوزارة،وعين محافظا لدمشق،ثم والياً على مصر سنة ٩٣١هـ ولبث فيها إلى أن استدعي للمشاركة في حملة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١ على ما يشير إليه المؤلف هنا. وتجدر الإشارة إلى أنّه كلف، بعد ذلك بقيادة أسطول عثماني كبير في سنة٩٤٥هـ أرسل في مهمة لتوطيد سلطة العثمانيين في عدن واليمن والبحار العربية الجنوبية، إضافة إلى دعم الإمارات الإسلامية في الهند التي كانت تواجه تهديدات الأساطيل البرتغالية عهد ذاك. أثارت نتائج حملته لغطاً في الدوائر العثمانية،فعزل سنة ٩٥١هـ،وتوفي سنة ٩٥٥ .أحمد شلبي الحنفي: أوضح الإشارات فيمن ولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات،تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن،ص١٠٩ وسامي:قاموس الأعلام٤ / ٢٦١٩ ومحمد ثريا:سجل عثماني ٣ /٧٨

(٢) يريد : تولي ولاية مصر.

(٣) كذا في الأصل والصحيح (زبيد) وهي من بلاد اليمن .

(٤) العربان هنا : العرب

(٥) السحيل من الحبال الذي يفتل فتلاً واحداً، والمبرم أن يجمع بين نسيجين فتفتلا حبلا واحداً . لسان العرب.

الرعية، واكتملت مهمات المسلمين على أحسن ما يرام،لاسيما وأن طائفة (الشراكسة)[١] والفرقة الدنيئة كانت تعيث الفساد والخراب وتنشر الضلال في تلك البقاع[٢]، فقد أجْتُثَّت جذورهم وطهرتْ الأرض المصرية من شرورهم وآثامهم على وفق المرام وتمام الالتئام.

وبناءً على إنجاز تلك المهام وتحقيقها على وجه الكمال والتمام،فقد اقتضت دعوة(سليمان باشا) للحضور في مقر العزة والجلال، ومثوله في مستقر الحظ والاقبال لمقتضيات المصلحة العامة، فلقد صدر أمر(السلطان) الواجب الاتباع لاستدعائه إلى (العاصمة) وتعيين أمير الأمراء الكرام والفخام< ب ٨٠ > ذي القدر والاحترام (خسرو باشا)[٣] أمير أمراء (الشام) من أولي البأس والانتقام بدله.

وعلى إثر وصوله الى (مصر)، قام سلفه (سليمان باشا) وعملاً بالأوامر الألهية واستجابة للدعوة السلطانية، بمغادرة الأراضي المصرية، مستبدلا الدعة بالمشقة،متخذاً من الدرع رداءً له، ومتقلداً سيفه وحاملاً درعه الحديدي على يساره، مصطحبا جيشاً لجباً من المحاربين يقدر عدده الآلاف من الرماة وحملة السيوف ومن أبرع الجنود قابلية على أعمال

---

(١) الشراكسة،والجراكسة ، منسوبون إلى منطقة تعرف باسم جركس cercetaeأو circassiaأو Tcherkesser تمتد على الساحل الشرقي للبحر الأسود، وتعد بلادهم من بعض بلاد الكرج (جورجيا).وإلى هذه المنطقة تمتد أصول الأرقاء البيض الذين استجلبوا إلى مصر بكثرة في أواخر القرن الثامن للهجرة(١٤م) بصفة مقاتلين. وعرفوا فيها بالمماليك البرجية لإقامتهم في بعض أبراج القلعة بالقاهرة، ثم تمكن أحدهم، وهو (برقوق) من الاستحواذ على السلطة سنة ٧٨٤هـ/١٣٢٨م، لتبقى بأيديهم حتى زوال حكمهم على يد السلطان العثماني سليم الأول سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م.

(٢) حكم المماليك الجراكسة دولة واسعة مترامية الأطراف، تضم أقاليم عدة، هي مصر ومعظم بلاد السودان الحالي وبلاد الشام والحجاز وبلاد الجزيرة الفراتية وجزيرة قبرص.فينبغي أنْ لاتحمل عبارات المؤلف هنا إلاّ على أنّها تعبر عن أصداء الصراع بين العثمانيين والمماليك، وهو الذي لم يكن قد مضى عليه الا أقلُّ من عقدين من السنين.

(٣) من أبرز القادة العثمانيين في عهد السلطان سليمان،تولى ولاية البوسنة مدة، وخاض معارك كثيرة في بلاد المجر،وعين والياً على مصر فدخلها في ٢١ شعبان سنة ٩٤١ وعزل عنها في ٦ جمادي الآخرة سنة ٩٤٣، وكانت وفاته في سنة ٩٥٤هـ.أوضح الإشارات١٠٨ وقاموس الأعلام ٣/٢٠٤٣ .

الحروب ومن أمهر هواة ألعاب السهام والنبال واستعمال السيوف في ميادين التدريب وساحات الرياضة[١]

وأخيراً وصل (سليمان باشا) ملتحقاً بالسلطان الكبير، مقّبلاً الأرض في عتبته وأمام عرشه الذهبي، متشرّفاً بلقياه.

وقد حدث أن حلّ عيد الأضحى المبارك في ذلك الأثناء[٢]، فامتلأت الموائد بطعام الأنعام وأضحيات الخواص والعوام والأنام.

<أ ٨١> ونال المقيم والمسافر وعابر السبيل نصيبه من العدل الشامل، وامتلأت قلوبهم بالفرح والسرور من البذل الكامل، وعمّتْ الأنواروالأفراح البيوت والقلوب لتغمرها على حدٍ سواء، ومضى اثنا عشر يوماً بمختلف صنوف معالم المهرجان وأنواع الاحتفالات والإقامة هناك على هذا النمط.

وبعد ذلك ،عطف حضرة السلطان النظر على المعنى الصريح والفحوى الصحيح الذي يتضمنه القول الفصيح :-

من طلب الأمر وجدٌ جداً

قرع الباب ولجٌ لجّا

ففي اليوم الثالث عشر من ذلك الشهر المبارك[٣]، وعلى رأس جيشه المظفر، شدّ الرحال من الموقع المذكور متجهاً نحو مدار مركز نشاط الـ(قزل باش) الظالم، والبراري الواقعة في تخوم ولاية (قلعة صارم)[٤]، وإلى الموضوع المعروف بـ(مابين الجدولين)، والموصوف

---

(١) لقد أتى نصوح المطراقي بسيل زاخر من الصفات والألفاظ المنبثقة والعبارات الملمعة في وصف هؤلاء الجنود، لم نرَداعياً للإسهاب في ترجمتها .(المترجم)

(٢) ١٢ آيار سنة ١٥٣٥م .

(٣) يريد شهر ذي الحجة،ويوافق ١٥ ايار سنة ١٥٣٥م.

(٤) كذا في الأصل،وقد سبق أنْ رجحنا أن يكون صوابه (طارم) .انظر تعليقنا في الصفحة (٥ أ) من هذا الكتاب.

بـ(جدول جغْتو) و(جدول مغتو)، وألقى عصا الترحال هناك بكل ظفر وجلال مقروناً باليُمن والإقبال، وجريا على العرف القائل :-

إنَّ سرعة الانتقام ليست من عادة الكرام .

وبعد أنْ مضت أربعة أيام دونما تحريك أي ساكن، فإذا بـ(الشاه)السيئ الحال، والمتواجد في تلك الأرجاء وهو المتحيِّن للفرص، وهو المناوئ للدين الأحمدي والناكر للشرع المحمدي، والمتربص في أدغال الضلال كـ(ابن آوى) الضئيل والثعلب الماكر الهزيل، وذلك للقيام بأعمال الفتك والانتقام، قد وصله النبأ بأن سلطان الإسلام وظلّ الله على الأنام، أخلى جبهة (بغداد) من القوات متوجهاً بها إلى هذه البقاع،وجاء قادماً على عجل جاعلا من كل منزلين منزلا واحداً للراحة والتوقف .

ولما وصل الخبر هذا إلى مسامع (الشاه)،طار لبه وكذلك صحبه من إخوان الشياطين، وفقد صوابه إزاء هذا التحرك العظيم، مثله في ذلك مثل القمر الطائح الكسير في ميدان السماء عند الصباح الباهر ‹ ب ٨١ › حتى أُصيب ومن معه من إضراب الملاعين بالاحباط، وصعد الدم إلى رأسه من شدة السخط والاسف، فامتطى صهوة جواد الغضب فوراً كما عمل سلفه (رستم)[١]، وكرَّ عائداً من (قلعة وان) إلى نواحي (تبريز) حالاً وهو لايلوي على شيء، وقد بلغ منه الغرور مبلغاً فأصبحت عيناه لاتريان شيئاً، وأمسى تحركه الوساس الشيطانية والهواجس النفسانية وفق أهوائه، بعد أن أخذته إلى مهاوي الجهل والفكر المحال، فركب رأسه وصال في ميدان الاغترار لمدةٍ وجال، حسبما أملاه عليه هواه وزيَّنه هوسه، ولم يعر أي اهتمام لما تقتضيه الحال، وإلى ما سيؤول إليه الأمر في نهاية المآل .

ونظرا لتأثير التهور عليه شرع يلوح بالعصا ويهدد بأشد الانتقام وجرياً على قانون : "من غلب سلب" ، انصرف إلى تهيئة أسباب الحرب ووسائلها بآلات وأدوات سلبية أو إيجابية الإعداد لها، ومن ناحية ثانية، أوفد الرسل إلى أمرائه مقهوري القلوب وكبرائه محبوري

---

(١) شخصية إيرانية قديمة أضيفت إليها صفات خلاقة ،فعدت بطلاً اسطورياً تنسج حوله المبالغات ويتخذ رمزاً للقوة والبأس.

الخواطر في (الأيالات) التابعة له، وإلى فرسانه الأذلاّء ورعاياه قليلي العدد، بأن يستحضروا دفاعاً عن أراضيهم أمام الجيوش الغازية التي لاتحصى عدداً ولاتُعدُّ عدداً.

وكان جوابهم عليه بخلاف ماكان يتأمله، إذ إنَّ أمراءه وكبراءه وسواد رعيته لم يستجيبوا لدعوته، قائلين: إنَّ الغايات السبحانية والحماية الربانية لاتتجلى إلاّ بحق أولئك الملوك والسلاطين الذين يراعون شؤون رعاياهم حقّ الرعاية، ويؤثرون جانب العدل في معاملتهم، فكلما كان هذا الوادي مسدوداً والتزام ذوي الأمور بهذه المبادئ مفقوداً،وهم يضربون قواعد العدل وأسس الدين صفحاً ،فلابدّ من أنهم سيكونون عن بساط الدولة مطرودين وعن ملك السلطنة مردودين:-

فبواسطة الرعيّة تعمر البلاد

وبدونها لا تقوم للإمارة قائمة

واستنادا إلى الآية الكريمة:-"إن بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا"[1]<أ ٨٢>

وبمقتضى ذلك، فإنّ تسلم زمام الحكم وتمشية أمور البلاد،وفرض المحارم والنواهي على عموم العباد والتمتع بصَلاحيات الإدارة، يكون مقراً به لذلك الملك الذي يسعى ليل نهار لنصرة أهل الدين ومراعاة عباد ربّ العالمين وإحياء سنن سيد المرسلين، وأن يضع ضميره المنير نصب عينيه ويبدي الشفقة والمرحمة تجاه الضعفاء والمساكين، ويوجه العناية والهمة نحو الفقراء والمحتاجين . وإنَّ كل انسان سعيد نشأت شجرة حظه في بستان السلطنة، فإنَّ أثمار حياته وحميد صفاته ينبغي أن تزج لإقامة أسس الأمر بالمعروف وشعائر النهي عن المنكر. وإنَّ كل صاحب قدر رفيع واتته الفرص لسقي شجرة حياته من غدير السلطنة ينبغي أن يكون شعاره إيصال الخير والنفع إلى سائر الناس واستئصال الأذى عنهم :- " والذين يؤْذون المؤمنين والمؤمنات فقدْ احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً"[2]، فلا تزدهر بساتين الدولة ولاتعمّر مالم

---

(١) الطلاق الآية ٣.

(٢) الأحزاب ، الآية ٥٨ .

تجتث عنها أشواك الفساد، وتقلع عن جذورها أحراش الظلم، ويرفع عن مغبونيها الحيف، لتجري في بقاعها أنهار الأمور صافية غير مشوبة ولا متكدرة، وأن أمطار العدل هي التي تحيي مروج الملك حيث بدونها لاتنمو الحياة ولاتنتعش، وأن ديمومة جريان ينبوع الدين الحنيف تستمد العون من المكارم،ولذلك، فلاتطلبْ منا، من الآن فصاعدا، أي عونٍ ولامدد من دون جدوى.

وإزاء ذلك الرفض الذي تلقاه (الشاه) من ملأ قومه وجموع جنده، فقد اضطر إلى ترك فكرة الدفاع والمقاومة جانباً رغماً عنه، وأبطل أفعال الرجال والأبطال على مضضٍ، وضرب عن الاستعدادات لأجل القتال صفحاً رغم أنفه، وشرع يتوسل لإيجاد وسائل خدعة وحيل للخروج من مأزقه هذا بطرق المراوغة، ففي خطوة أولى، حرّر رسالة، ظاهرها الدعوة للوفاق، ولكن ما كان باطنها إلاّ نفاقاً.

< ب ٨٢ >

وتظاهر بالنزول من عليائه، ممرغاً أنفه في التراب، مسترحماً، مستعطفاً بأعذب الأساليب وأفصح الألسن، وقد فاحت رسالته (عنبراً) مصحوباً بهديل (الفختي)[1]في النغم العذب، واختار في الوقت نفسه عدداً من الرسل إلى حضرة السلطان، من بينهم (الأمير شيخ بن الأمير حسن) المقيم في قصبته (خوي) وشخص آخر يعرف بعنوان (أشَّكْ آغاسي)[2]لذلك الغرض، بينما أخلد هو إلى التزام جانب الحيطة والحذر، مترقباً سنوح فرصة مؤاتية لاستثمارها على حين غرة في وقت مناسب في الوقت الذي يتظاهر فيه بالندم على مابدر منه في سابق الأيام .ولدى وصول السفيرين إلى مخيم السلطان القائم في البراري

---

(١) نوع من الحمام البري المطوق، اشتق اسمه من الفخت،وهو ضوء القمر،وعرف بعذوبة صوته.

(٢) أي: آغا آشك،واشك اسم بلدة كانت تقع في سهل جوين، بين جرجان وخراسان .ليسترنج: بلدان الخلافة العباسية ٤٢٢ والمعنى الحرفي لاشك: الحمار، فيكون معنى المصطلح في هذه الحال : آغا الحمير.

الواقعة بالقرب من (قلعة صارم)[1] في الموقع المعروف بأسم (مابين الجدولين)، وقد قدما على جناح السرعة فور تلقيهما أمر (الشاه)، وألقيا عصا الترحال في الموقع البهيج الخلاب الذي يأخذ بالألباب، والحافل بأنواع الخيم والسرادقات الزاهية الألوان والبديعة الأشكال، ولاسيما تلك الخاصة بالسلطان التي كانت ذات أطناب حريرية وسجفٍ مخملية.

إن خـــيـــمـــة الفلك تزدان بالأنجم

وازدان ســـرادقـــهـــا لسلطان العـــالـم

ومن شهد شهب النجوم في جحافل السماء

قـــد خـــالهـــا مـــسكناً لصـــاحب الزمـــان

ولما حلّ السلطان في ذلك المكان على رأس جيش لجب عدده عدد الأنجم، ‹ ٨٣ أ › البراري تموج بأفواج البشر وتطفح، وأخذت الأرض زخرفها بنصب الخيام والسرادق الزاهية الألوان والبهية. فما أن وقع بصر السفيرين على ذلك المنظر الفريد حتى بادرا نحو سرير حضرة السلطان طابعين قبلاتهما على الأرض، قبل أنْ يشرحا موضوع مهمتهما بكل أدب، طالبين الإذن لهما بالكلام في شأن ما جاءا من أجله .

وبعد أن أجاز لهما سلطان العالم بذلك، أخذ السفيران بشرح المرام بأنواع التذلل وأصناف التنزُّل، وأفادا : " بأنه لايخفى على حضرة صاحب القرآن،وجناب حضرة السلطان، الساطع البرهان بالأدلّة العقلية والنقلية والبراهين الحدسية والقياسية،ما للدنيا وما فيها من قيمة وقدر حتى يقع نزاع بين طرفين ويتفشى بينهما جدال وخلاف ويشيع بين الطرفين قتال يورث الأذى والمشاق للجند والرعية والبلاد والأوطان على السواء، "وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور"[2]، فالأجدر بالملوك العظام والسلاطين الكرام أن يسعوا إلى توفير الأمن والأمان وتأمين الرفاه والعيش الرغيد لرعيتهم أيام حكمهم، لكي يعيش الناس في

---

(١) هكذاهنا أيضاً، وقد سبق أن رجّحنا أنتكون (طارم) .

(٢) آل عمران الآية ١٨٥ .

سلام ويتنعموا بالسعادة والهناء، وأن مضمون قوله تعالى: "إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بينَ أخويكمْ واتّقوا الله لعلكم ترحمون"[1] ليس بخاف على الضمير المنير السلطاني والخاطر العاطر الخاقاني، وأن سبب قدومنا إلى هنا، ووقوفنا على أقدام الطاعة، ومثولنا أمام جلالكتم، يكمن في< ب ٨٣ > أن أمنية (شاهنا) المتشبث بذيل الاستئمان والعمل من منطلق الخير للصلح والسعي لإيجاد طرقٍ ووسائل تكفل إزالة التكدر ومعالم العداء السائد بينكما، وإحلال الصفاء محلّ تلك، ومسح آثار الغبار المتعلق بالقلوب، ومن ثم عدم إعارة السمع إلى تحريض أرباب الفساد وأصحاب العناد وحديثهم الداعي إلى النفاق وتسويلاتهم المثيرة للفتن، وذلك بالاعتراف بملكية (عراق العجم)[2] لشاهنا الضال مقابل استبقاء (عراق العرب)[3] تحت سيادتكم، وأن يعقد الصلح بين طرفي النزاع على هذا الأساس.

ولئن كـــان هوى الحكم يميل إلى الحـــرب

فـــإنَّ مـتـعـة الناس في إحـلال الســلام

ولكن، ما أنْ جرى عرض طلبهم الذي لاطائل تحته، ومقترحهم غير العملي،حتى جاء الجواب المستطاب والخطاب المسك النقاب وعلى النحو التالي:-

(إن تحوّل عدو قديم إلى صديق قائم لأمر محال، وإنَّ الإمهال أو إتاحة الفرص للخصوم لأمل باطل، وإنَّ الرحمة والشفقة بحق الظالم وبال في وبال، فمن أعان ظالماً سلطه الله عليه، ويبدو أنكم لستم على دراية بعالم الصلاح والإصلاح، ولاتنظرون إلى الأمور من زاوية التأمل والتأني، وتطلقون الكَلِمَ وفق الأهواء،وتسحبون قوس الرأي والتدبير حسب ما يتراءى لكم) وهنا، ما أن استمع السفيران إلى ميدان الكلام، حتى أخذا يقلبان صولجان الفصاحة والبلاغة ببراعة ورشاقة، قائلين:-

---

(١) الحجرات الآية ١٠ .

(٢) اطلق مصطلح "عراق العجم" في عهد الدولة السلجوقية (القرن ٦هـ/١٢م) على ماكان يعرف أيضا بإقليم الجبال، حيث كان سلاطين هذه الدولة يمضون أكثر أوقاتهم. واهم مدن هذا الإقليم: كرمنشاه، وهمذان، والري، وأصفهان. انظر: بلدان الخلافة العباسية ٢٢١ .

(٣) مصطلح جغرافي يقابل ما كان يعرف بالسواد أو بسواد العراق .

(لقد صدق حضرة السلطان في ما أدلى به من البيان،ولكن عاقبة الأُمور لاتخلو من الخطر، فإنَّ أهل النظر والبصر يعيرون السمع إلى القول الكريم " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله "(١)، وتلك هي تحذير للغافلين بلا شك، وإنّ ما لاريب فيه أن عاقبة التقاتل والحروب غير معلومة، ولايعرف ما سيؤول إليه الأمر في نهاية المطاف< أ ٨٤ >، وما من أحد يدري بأن رياح الفتح والنصر قد تهب على طرف دون آخر من مهب الغيب، لذلك فإنَّ المجاملة والمصالحة إلى حال السلامة أقرب، وأن الأمر للسلطان صاحب القرآن).

فكان جواب السلطان :-

«إنَّ الخير لايؤخر دستوراً ينص على أن البراهين والأدلة كافة قد أجمعت على أن التعجيل في عمل جليل لأمر معقول، وأنَّ الإهمال والإمهال بحق الخصوم لعمل غير مقبول،وأن الطغراء الغراء لمنشور للسعادة الأبدية وعنوان البنيان للمواهب السرمدية التي تنص على الائتمار بأمر" : ادفع الشر بالتي هي أحسن"(٢)، فانطلاقاً من مبدأ العمل على وجه حسن ومراعاة لسنة حضرة سيد المرسلين:-"أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة"(٣)،وعملاً بقوله تعالى :-﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيماً، واستغفر الله، إنّ الله كان غفوراً رحيماً﴾(٤)،حيث سبق وأنْ جرت دعوته إلى الطريق المستقيم بعديد من الرسائل المستطابة والخطابات الخلابة، الطافحة بالعبارات الودية والناطقة بالنصائح والداعية إلى السبيل السويّ، إلاّ أنه ظل مصرّاً على عناده وملحاً على هوى نفسه ودائباً على فساده، وذلك بفعل خصاله الذميمة التي يحملها، وبقي منجرفاً في مجاري العصيان، وغارقاً في خضم بحر الطغيان، ومقبلا على طريق الالحاد والهوان، ومنخرطاً في مذهب التشيّع ليجلب الويلات على أهل البلاد والاختلال في أعمال الدولة.

---

(١) البقرة، الآية ٢٤٩ .

(٢) هذا القول ماخوذ من قوله تعالى (ادفع بالتي احسن). المؤمنون آية ٩٧ وفصلت آية ٣٣ .

(٣) هذه ليست سنة من سنن الرسول الكريم(ص) وإنّما هي الآية ١٠٥ من سورة النحل.

(٤) النساء آية ١٠٤ .

وإننا نرى أنّ قلعه ودفنه وإراحة الرعية من شروره وآثامه لمن أوجب الواجبات المفروضة على عاتقي، لذلك، ولأجل إنجاز هذه المهمة قد جئت إلى هذه الأصقاع، بعد أن أفتى أصحاب العلم والهدى وأرباب الزهد والتقوى بحكم الشرع والعرف والعقل على قتله.

< ب ٨٤ >

وعلى كل حال، فإنْ آبَ هذه المرة إلى طريق الصواب، واستجاب لنداء الصلاح والإصلاح ومال إلى الفلاح وترك سبيل الإلحاد واتبع نهج الهداية والرشاد، فإنه بمقتضى نص هداية الأساس :- ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾[1]، فإنَّه سيكون في عداد من يناله العفو والصفح من لدنا، وننعم عليه بأنواع الهدايا والإحسان، ليحظى بالدولة الأبدية والسعادة السرمدية، وعلى عكس تلك الحال، وفي حالة دوامه على الإلحاد بنفس المنوال، فلن يقبل منه أي عذر من قبيل لم أدر ولم أعلم، وعليه أن يعلم بأنني قد أعددت العدة واتخذت الترتيبات كافة لألقننّه الدرس الذي يستحق في الوقت المناسب، فليكن مستعداً لتلقي ذلك.

وعملاً بالعادة الجارية في البلاط العثماني، بشأن تكريم الرسل والوفود القادمة من سائر الدول، فقد جرى للسفيرين المذكورين تكريم، نالا بموجبه روائع الهدايا والعطايا، وكُسيا بخلع الدستور الفاخرة قبل أن يجاز لهما بالمغادرة، بعد أن تم التأكيد عليهما أن يبلغا رأس الـ(قزل باش) ويعلماه بالحكم الواجب الاحترام :-"قل اللهمَّ فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون"[1]وأن يوضحا بأن من يتبجح بدعوى الحكم لاينصرف إلى مظاهر الحلية والزينة كالنساء، ومن يبتغي تنظيم أمور الاجناد وقيادتهم لايقضي أوقاته باللهو واللعب شأن المطرب، ولايغفل باله عن أمور البلاد وشؤون الرعية ساعة واحدة، وأن مهمة إدارة الدولة وتسيير شؤون العباد ترتكز على

---

(١) آل عمران آية ١٣٤ .

(٢) الزمر آية ٤٦ .

السيوف المهندة والأَسنّة المحددة، حيث ورد في شأن ذلك الآية الكريمة :–"وأنزلنا الحديد فيه بأسُ شديد"[١]، وأن جمال البلاد ينعكس في مرآى نصال السيوف اللامعة الصافية، وليس في مرآة القلوب الهاوية الغاوية، وأن (الشاه) قد أغمض العين عن تلك الأمور الحساسة وأعرض عن الحق، متخذاً اغتراف الخمور مقصداً‹ أ ٨٥ ›، وجاعلا رنين الكؤوس لنفسه مطلباً، منصرفاً ليل نهار إلى اللهو والطرب والسكر والعبث.

وليعلم، بأنني قد انصرف إلى غزوة على رأس جندي المنصورين لأقضي على فضائحه وأمحي عن وجه الأرض قبائحه بسيوف مصقولة وخناجر لامعة كالبرق، حتى أمست أصقاعها متدرعة بالحديد وبنعال خيولي التي يحاكي جريها ريح الصبا، ودان لي الدهر عبداً تدلى في آذانه حلقة الأسر، وأن قسيَّ جنودي لهي سهام الموت على الأعداء وبلاء تنزل عليهم، وصارت نصالهم الحديدية حجة قاطعة كالبرق العاجل على خصوم الدين والحاقدين على الأئمة المرشدين.

جـــيـــوش مـــثل أعـــداد النجـــوم

لهي قـــهـــر على الأعـــداء كـــالرجـــوم

وعلى هذا الاعتبار، فإنّه يترتب على (الشاه) الحضور عندنا دون تأخير أو تراخٍ لساعة، بل للحظة واحدة،ملبياً دعوتنا هذه، كي يكون مرسوماً بأوصافي التي نصابها العدل وموسوماً بذات جلالتي، وبعكسه لأجعلنه هدفا لسهامي المزهقة للأرواح، وأوردنه موارد الهلاك بأسنة السنان والحراب.

وأخيرا، ها قد أرسل إليكم الكتاب وختم الخطاب،فأسرعوا في الجواب).

هذا، وقد هب السفيران بعد أن صمّما على العزم وقدمًا الحزم، والتقيا بشاههما في المرعى المعروف باسم (أوجان)[٢]، وبلغاه آراء (السلطان) بحذافيرها والواجب أخذها بنظر

---

(١) الحديد آية ٢٥ .

(٢) تقدم التعرف به .

الاعتبار، وأضافا، بأن نقاش سلطان الكائنات ومصنع معادن الموجودات منذ صوّر شكل (آدم) وأخرج الناس إلى حيز الموجود،لم يسبق له أن خلق مثيلاً لدهقان الدوران هذا ودفعه إلى الميدان[١]، وأن بستان الدنيا لم يوجد مثل هذه الدوحة المباركة في أي زمان ولم يلق عليها ظلاله في سابق الأوقات والأيام في مجال السيادة والخلافة، من حيث إنَّ الأقطار خاضعة لحكمه ومؤتمرة بأوامره ودائرة كالفراشة حول شمعة جمعه وأحكامه.< ب ٨٥ >

إنَّ حاكم المكان والزمان هذا،وقد أظهر قوله تعالى :- "إن الله يأمر بالعدل والإحسان"[٢]، فإنّه غزا بلادنا عزماً وحزماً، وجاء إلى جوارنا حرباً وضرباً، بحيث إنّه لو لم تسعوا إلى إبداء مظاهر الطاعة إليه، بمقتضى :-"وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"[٣]، وتعلنون التبعية إليه، فإنَّهُ سوف لايدخر وسعاً في التعامل معنا بأعنف القهر ليورث الخسائر في بلادنا ويأمر بأعمال كنسٍ وأصناف الزجر في دورنا وممتلكاتنا بالصولة الباهرة والقوة القاهرة وعلى جناح السرعة بطبول الارتحال وكوس القتال، وإنَّ الأمر منوط برأي (الشاه) السديد.

وما أنْ سمع (الشاه) هذا الحديث، حتى أمسى، مثله مثل الفلك المدحور في عرض البحر، وهو يتقلب من جنب إلى جنب في طيف الهواجس والأوهام، ضارباً أخماساً في أسداس، وداخلاً في حوار مع حفنة من رجاله المقربين، لايستقر على قرار أسوة بالقمر في مختلف الأدوار. وكان وضعه بالنسبة إلى (السلطان) محيي الرسول والدوارس، وباني قواعد المساجد والمدارس، حامي مشاهد التوحيد والإيمان، وماحي أصنام الكفر والطغيان، كوضع لاعبي شطرنج غير متكافئين فـ(السلطان) يحرز خيولا مستأنسة بالنصر المبين وقد ألفت فوارسها، بينما (الشاه) يدفع بالراجلين إلى الامام .

وما أن أيقن (الشاه) اقترابه من الموت الزؤام، وقد وصل إلى سمعه أخبار إطلاق نيران

(١) يريد أنّ الله تعالى لم يخلق ، منذ أنْ خلق آدم ، مثل هذا السلطان .

(٢) النحل آية ٩٠ .

(٣) النساء آية ٥٨ والمائدة ٩٥ والنور ٥٤ .



البنادق والمدافع وأزيزها وهديرها،حتى ارتعدت فرائصه مشفوعةً بـ: "قل لن ينفعكم الفرار إنْ فررتم من الموت"[١]، فأطلق ساقيه للريح عملاً بالمقولة : " السلامة في الوحدة والآفة في الكثرة" ، حتى فرَّ لا يلوي على شيء أملاً في إنقاذ طائر روحه من براثن نسر الأجل ومنقار (الباز) الأكبر الذي يرتاد< أ ٨٦ > الأجواء العليا في طيرانه، مولياً وجهه خارج مدينة (أصفهان) وهو على رأس جمعٍ من شذاذ الآفاق وشرذمة من الأوغاد وأهل النفاق من المتلوين في أُتون الفقر المدقع، المدثّرين بالأسمال البالية، والطامعين في نوال شيء من الجاه.

ولما وصل إلى علم (السلطان) خبر مغادرة ذوي الطغيان وبغاة بستان العصيان الأرجاء المذكورة، وخروجهم من (أصفهان)، حتى أقلع من ذلك المكان، مستعجلاً قبل الأوان،ماراً بناحية (ليلان)[٢] وقصبة (مراغم)[٣]واصلا إلى (سعد آباد)[٤] في ذيل جبل (سهند)[٥] بالقرب من (تبريز)، وحلَّ فيها بسلام، قبل أن ينضم إليه هناك حضرة (محمد باشا) أمير أمراء (ديار بكر) و(أولامه) مع أجناد (ديار بكر) والأكراد، وصدرت الأوامر بالإقامة هناك لبضعة أيام لغرض الاستراحة[٦]

وفي هذه الأثناء، حضر شخص من جانب (الشاه) سيء الأفعال ومنكوب الآمال،

---

(١)الأحزاب آية ١٦ .

(٢) ليلان: مدينة صغيرة تلتف حولها الانهار وتحف بها البساتين المثمرة. تقع إلى الجنوب من بحيرة اورميه.

(٣) كذا في الأصل، والراجح أنّها (مراغة) القريبة من المواضع التي يشير إليها المؤلف هنا، وهي مدينة كثيرة البساتين والأنهار تقع على نهر (صافي) جنوبي تبريز، اشتهرت في عهد المغول الايلخانيين بمرصدها وبخزانة كتبها التي نقلت محتوياتها من خزائن بغداد.

(٤) بلدة قريبة من تبريز.

(٥) جبل يقع في جنوب تبريز.

(٦) سبق أنْ أشار المؤلف في صفحة ب٦٩ من الأصل إلى أنَّ رسلا من محمد باشا المذكور وصلت إلى السلطان تفيد بالهجوم الذي شنه الشاه على تبريز ونواحيهما وعلى أولامه الذي كان قابعاً للعثمانيين آنذاك، وأنَّ الأوامر صدرت إليه والقوات الكردية المواليه إليه بالتحرك نحو قلعة (وان) لنجدة أولامه في صحراء تبريز.

بمهمة (سفير) وجسّ النبض، معروفاً بعنوان (قوروجي باشي)[1]، فتوسل متشبثاً بذيل الاستئمان والأمن والأمان، لكنه لم يحظ باهتمام،غير أنه زوّد بكتاب شديد اللهجة ذي حكم شريف وأمر منيف، جاء فيه :ـ

(كان الغرض المتوخى من الكتاب الذي أرسلناه اليكم سابقاً، هو الأمل في أن تتّعظوا بمبدأ : " السعيد من وعظ بغيره " ، وتبادروا إلى اصلاح الحال وتهتدوا إلى الإسلام، كي تزول معالم العداء ولاتسود بيننا ظواهر الجفاء، أو أن يحصل عندكم شيء من النباهة لتجمعوا بعضاً من ملأ القوم الذين تحت حكمكم وتحضروا معاً لتقابلونا وتحاورونا ‹ ب ٨٦ ›بشأن المشاكل المعلقة بيننا،ولكن، وحتى هذه الاثناء، لم يصدر منك شيء يدل على التجاوز، فقد اختفيت عن الأنظار حتى أن وجودك من عدمه أصبح سيّان،وأن من يدعي حمل الحسام، عليه أنْ يوسع صدره للوغى على الدوام، ومن يهوى الحكم يجب أنْ يتصدى لضربات السيوف والسنان كدرعٍ صامد لايحاذر منها رأسه بهوان :

من ابتـغى التـمـسك بعـروس الملك بقـوة

فليطبع قـبلة على طرف السـيف المهند

ومن اختار التستر خلف ستار الحذر، فمن الخطأ أن يضاف عنوان الرجولة إليه، ومن هاب من الموت فلا ينبغي أنْ يتقلد الصوار،وأن اختفاءكم اليوم عن الأنظار، وتشبثكم بالزوايا والأركان، لابد وأنّه يرجع إلى تهيبكم من كثرة الجند وتغلب مشاعر الرعب والهوس عليكم في غالب الاحتمال .

وعلى أيّة حال، فقد تم إفراز بضعة آلاف من الخيالة والمشاة ومن الموالي والأحرار من جيشنا المنصور، ووضعت في مدينة (تبريز) تحت أُمرة أمير أمراء (ديار بكر) بداعي إزالة الهواجس المسيطرة على نفسكم، حيث لامجال لإرخاء العنان، وتوسيع دائرة الخصوم في

---

(١) قورو: كلمة تركية تعني (الحفاظ، الحماية، الحراسة) . .و(قوروجي) تأتي بمعنى (الحامي،الحارس)، و(قوروجي باشي) قد يكون رئيس الحراس أو المسؤول الرئيس عن الحماية . . .(المترجم) .

ذلك المكان، وتحسباً لكل احتمال.

أما بقدر تعلق الأمر بشخصكم، فإن كنتم تحملون ذرة من مفاهيم الغيرة والحمّية، فعليكم أن تحضروا أمامنا في الميدان، وتقفوا قبالة جيشي المظفر وجهاً لوجه، لكي يظهر إلى حيز التحقيق والتطبيق كل ماهو مكتوب في لوح الأزل المُقَدَّر.

وبعد أنْ أرسل ذلك الكتاب بيد الشخص الذي قدم من جانب (الشاه)، صدرت الإشارة المليئة بالبشارة وهي تأمر مشير أمور المملكة وقائد قواتها العسكرية، وعلى رأسها الخدم والحشم والطوغ والطبل والعلم، أنْ يقود المجاهدين المسلمين والمحاربين المؤمنين والرجال المقتدرين والأبطال المقاتلين، وذلك بالتحرك في المقدمة قبل حضرة (السلطان)، للقيام بتتبع آثار ذلك (الشاه) النكد الطالع والسيء الطالع، وملاحقته فوراً في نواحي (أصفهان) خبباً.

‹ ٨٧ أ ›

وامتثالا للأمر العالي، فقد تحرك قائد القوات العسكرية في اليوم السابع عشر من شهر محرم الحرام لسنة اثنتين وأربعين وتسع مئة[1]، بطنين مهيب ومتين من الشوكة والصلابة، لتملأ قواته الأرض بالضجيج والعجيج، وتدبّ الحركة في كل مكان وعلى قدم وساق، فتماوجت البراري والصحارى بالضوضاء والأصداء، منطلقة كتائبها خبباً نحو الهدف الموسوم، وذلك قبل أن يحذو (السلطان) حذوهم على رأس جيش عارم من أولي النباهة كالملائكة، قاطعاً المراحل وطاوياً المنازل لبضعة أيام،حتى وصل إلى قصبة (دركزين) في اليوم الثالث من شهر (صفر)[2]وأن المنازل الكائنة بين قلعة (كلكون)و (سعد آباد) ومن (سعد آباد) إلى (دركزين)، وتحديداً في شهر ذي الحجة من عام واحد وأربعين وتسع

---

(١) الموافق ليوم ١٧ تموز ١٥٣٥م.

(٢) الموافق ٢آب ١٥٣٥م.

مئة[1]، هي :–

بوستان <أ ٨٧>

قلعة(يكان)عبر المضيق <ب٨٧>

قرية(دمورجي) قرب قلعة (بنه) على شاطيء النهر <ب٨٧>

(كون ده لن)عبر خان (كدوكين) <ب٨٧>

خان عباس <أ ٨٨>

خان حمال <أ٨٨>

(قاره دبه)مروراً بقرية (توركمن) <أ٨٨>

قصبة (ميانه) <ب ٨٨>

(قيزيل ئوزندي) مروراً بـ(قبلانية) <ب٨٨>

خان (سرجم) <ب٨٨>

باشسيز كوبند <أ٨٩>

قصبة (دركزين) <ب٨٩>

تتمة قصبة (دركزين) وهي بستان في القصبة نفسها <أ٩٠>

<ب ٩٠>

وما أنْ حلّ قاهر الملوك وبطل الأبطال الهصور، سلطان العرب والروم والعجم، خلدت خلافته وبدت بشائره، نازلاً في براري قصبة (دركزين)، ترفرف فوق رأسه ألوية النصر

---

(١) الموافق أوّله ٢آيار حزيران سنة ١٥٣٥م.

المبين، وقد أحاطت به أفواج جنده العظيم وقادته الأكِفّاء المقتدرين، نصرهم الله تعالى إلى يوم القرار المتين، وعلى ذلك الأسلوب المقرون بالسعادة، حتى بدأت مناقشة أمر ذلك (الشاه) وسلوكه الشائن من جميع جوانبه، وتناولت المداولات تقرير مصير دولته الزائلة والمهددة بالانهيار من الأساس، وماسيؤول إليه موقف شرذمته القليلة وجماعته الذليلة، فأتضح بأن حاله إنّما هي في الحقيقة : " كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً "[1]، فذلك ما هو عليه من الحال المزرية عسكرياً، ولاسيما أنه وجماعته قد دأبوا على الفرار دوماً كلما ضاقت بهم الحيل أمام الجيش المنصور والمنتصر بعون الله، مثلهم في ذلك مثل الثعلب الماكر وابن آوى الحيال.

وقد تأكد لدى القوم، بأن لاقبل لهؤلاء في الدخول بقتال ومواجهة ومحاربة ومضاربة حسبما تدل عليه نتائج الدراسات والمعلومات، وتفحص واقعهم المرير عن كثب... أضف إلى ذلك، أنّ الـ(بادشاه) ظلّ الله وحافظ بلاد الله وناصر عباد الله وقامع أعداء الله وزائر أولياء الله، ليس من شيمته، كأجداده الكرام وآبائه العظام، ملاحقة من لاذ بالفرار أمامه في ساحة الوغى بدافع الضعف والخذلان، بما جُبِلَ عليه مِنَ الشفقة والرحمة في مثل هذه المواقف، وترفعه عن التصدي لقتل كل من هو مغلوب على أمره لغرض الإجهاز عليه، ولأن ذلك ماكان من تقاليده وأعرافه أصلاً، فلقد صرف الانظار عن مثل هذا الإجراء.

ولكن، لما كانت أعمال النهب والسلب والهدم وإلحاق الخسائر من مقتضيات الاحتلال العسكري، فلقد تمّ تنفيذها في مدن (دركزين، وكبعاس[2]، وسلطانية، وميانه، وسرا، وأردبيل، ومراغم، وأوشني، وأورمي، وخسرو شاه، وتبريز، وسفيان، ومرند، ونخجوان، وخوي، وأرجش، ودوان)[3] < أ ٩١ > وما جاورها، وهي تشكل في مجموعها عمدة قطاع (عراق العجم وآذربيجان) وزبدته، كما أن الكثير من مرافقها أمست طعمة للنيران أو

---

(١) النور آية ٣٩ .

(٢) كذا في الأَصل، وفي الورقة(ب٥): سجعاس، والصحيح سجاس انظر تعليقنا المتقدم في الموضع المذكور.

(٣) تقدم التعريف بهذه المواضع .

الدمار الشامل، وخصوصا تلك التي كانت ملكاً لأرباب الضلال الذين أطلقوا سيقانهم للريح هاربين وصاروا أثراً بعد عين، وأصبحت مساكنهم،التي كانت تسرح فيها الطواويس وتغرد في جوفها البلابل حتى الأمس القريب، مأوى للبوم والزاغ بعد أن أصابها الدمار والخسار.

وفي الخامس من شهر صفر من تلك السنة[1]، وبمقتضى فحوى الحديث النبوي الشريف: " لاجرم العود" ، فإنَّ سلطان الربع المسكون وحضرة ملك الملوك، وتحت رايات الإسلام وألوية الانتصار ومرافقة الوزراء والعلماء العظام وقضاة محكمة خير الأنام، ومعهم جميعاً أمراء المملكة وأعيان الدولة الطاهرة وأركان السلطنة الباهرة، وغيرهم من الموظفين وكبار المسؤولين من القائمين على شؤون الدين القويم وإرادة أمور الشعب المستقيم،وبعد التجهز بما يلزم من المواد، وإكمال نواقص العدد والإعداد، وعودة النشاط إلى الأبدان والأجساد، فقد جعل (السلطان) عزيمته الميمونة ولجام همته المقرونة منصرفة ومنعطفة نحو العاصمة المضمونة مقر سرير عزته.

أما المنازل التي كانت واقعة ما بين(دركزين) و(تبريز) وحتى (أخلاط) في حدود اليوم الخامس من شهر صفر عام اثنتين واربعين وتسع مئة، فقد شملت ما يلي:

قرية هميان[2]

خان آتابكك[3]

خان (قيزل رباط)[4] على جدول (غرور)

---

(١) يريد: سنة ٩٤٢ ويوافق ٤ آب ١٥٣٥.

(٢) رسم المطراقي صورة هذه القرية في الورقة (ب٩١) فإذا بها، كما يظهر، قرية صغيرة لا مسجد فيها، تقع على الضفة اليسرى من جدول غرور.

(٣) رسم المطراقي صورة هذا الخان، الواقع على الضفة اليمنى للجدول المذكور (الورقة ب ٩١) وهو بناء شبه مكعب، له ثلاث قباب متساوية الحجم والارتفاع وآتابك كلمة تركية بمعنى الأمير الأب أو الأمير الأكبر.

(٤) قزل كلمة تركية بمعنى أحمر، فيكون معنى اسم هذا الخان (الرباط الاحمر) مما يدل على أصل الخان كان رباطاً للصوفية والمتعبدين، فتحول بسبب وقوعه على طريق المسافرين، إلى خان لنزولهم. وفي الصورة التي رسمها المطراقي في الورقة ب ٩١ يظهر هذا الموضع على هيئة قرية صغيرة على الضفة اليسرى من الجدول المذكور.

< ب ٩٢>

وبعد أن غادر الموكب السلطاني قصبة (دركزين) إلى (تبريز)، ومنها إلى قصبة (أفلاط) الكائنة على بحيرة (وان) وحلّ فيها، (الشاه) الذي سبق وأن لاذ بالفرار ونجا بجلده إلى حين، مختفياً عن الأنظار مثلما تختفي حبة الذرة في تراب الهوان، ونيران الحسرة تأكل صدره للعودة إلى دياره. وما أن استخبر نزول(السلطان) في تلك القصبة حتى أسرع إلى (عراق العجم)وأتى نحو مدينة (تبريز) على جناح السرعة. وإنَّ أول إجراء قام به فور وصوله هو أنه أنزل جام غضبه على أهل التجارة من الذين أصبحت لهم علاقات مادية أو ودّية مع رجالات الدولة العلّية، وألقى القبض عليهم، وأعمل السيف في رقاب البعض منهم، ضارباً الأغلال في أعناق البعض الآخر، بعد أن جردهم مما في حوزتهم من الذهب والفضة ، وذلك قبل أن يتحول إلى استمالة الموالين والمؤيدين له من أهالي المنطقة الذين لم يطرأ على سيرتهم أي تغيير يذكر، وإن كانت بعض صورهم وأشكالهم قد تغيرت بسبب الخوف من سطوة (السلطان)، ومنهم أولئك الذين ظلّوا يتحيّنون مؤاتاة الفرص لمثل ذلك اليوم متربصين في الكهوف ومترقبين في المغارات.

< ب ٩٢>

ومن جملة أولئك كان ثمة كبير من الأمراء الكرد يدعى (أمير قيليج)[١] وقد استغلَّ فرصة انسحاب (الإنكشارية) من المنطقة بعد إخلائهم (قلعة وان) جاعلينها للنيران ومغادرينها نحو العاصمة (استانبول) لغرض الالتحاق بقيادتهم العامة، حيث جاء ذلك (الأمير) ودخل (القلعة) واستحكم فيها معلناً عصيانه وخروجه على الطاعة، وأحاط (الشاه) علماً بفعله هذا، مقترحاًعليه التوجه إلى ذلك الجانب لخلوه من عساكر (السلطان).

لم ينتظر(الشاه) كثيراً، بل تحوّل في الحال من مدينة (تبريز) نحو الجهة المذكورة،

---

(١) قيليج :ـ كلمة تركية تعني (السيف).

على الرغم من ارتعاد فرائصه[1] من نقمة (السلطان) وما سيؤول إليه الأمر في نهاية هذه المغامرة، فأسرع الخطا وطوى المراحل طياً، قاطعاً المنازل الواحد تلو الآخر حتى وصل الموقع المعروف باسم(بحر شاه)، والتقى بشقيقه المدعو(القاس)[2]، وأحد أمرائه المعروف باسم (بهادر لنك)، وهناك وضع آلافا من الـ(قزلباشية) تحت إمرة ذلك الأمير الذي أرسلهم نحو قلعة (أرجش) لتعقيب أثر الجيوش العثمانية.

< ٩٣ أ >

أما (الشاه) فقد توجه نحو (قلعة وان)، بينما تحرك(بهادر لنك) وبرفقته (القاس) شقيق الشاه على رأس تلك القوة، قاطعين كل مرحلتين معاً بمرحلة واحدة، حتى وصلوا(آردورا)[3] حيث توجد نقطة مراقبة عسكرية بأمرة (سنان بيك) أمير (سنجق سلسترة)[4]، وهي[5] في ذيل جبل(سبحان)[6] ما بين (قلعة أرجشْ) و(عدل جواز) في منطقة(خان سبان) فداهموها على حين غرّة وقتلوا عدداً من أفرادها،وذلك قبل أن يتحولوا منها وينزلوا في البراري المجاورة لأخذ قسطٍ من الراحة.

وما أنْ وصلت هذه الأنباء السيئة إلى مسامع (السلطان) حتى أوعز إلى (محمد باشا) أمير أمراء (ديار بكر) المرابط في قصبة (أخلاط) مع جنده، بالتحرك على رأس قوة من

---

(١) لا يبدو على هذا (الشاه) خوف أو خشية، والله أعلم.

(٢) كان القاس (القاص) ميرزا قد التجأ إلى السلطان سليمان القانوني واتفق معه على اقتسام إيران، وكان لهذا الأمير أعوان كثيرون في ايران فخشي الشاه طهاسب مغبة ذلك الاتفاق، إلاّ أن نزاعاً دب بين القاس والسلطان العثماني، مما أدى بالأول إلى فراره إلى ديار بكر وهناك ألقى عليه صاحبها القبض وأرسله إلى أخيه طهاسب الذي أمر بإعدامه. رزق الله منقريوس: تاريخ دول الإسلام ٣ / ١٨٤، القاهرة ١٩٠٨ .

(٣) جبل في ولاية ارضروم العثمانية .

(٤) سلسترة: إمارة عثمانية في بلاد البلغار، على ساحل الدانوب، كان أكثر أهلها من المسلمين.

(٥) يريد : أردورا.

(٦) يقع جبل سبحان في شمال بحيرة (وان)، وترتفع قمته عن سطح البحر بنحو ٤٤٣٤ قدم.

ألفين وخمس مئة نفر من (الإنكشارية) ومعهم كامل قوات (ديار بكر) والأكراد مضافاً إليهم تلك القوات التي كانت تحت قيادة (أولامه)، ليتجهوا نحو المنطقة التي عاد إليها الشاه قرب (قلعة وان) . أما القوة المعادية التي انتشرت في نواحي(قلعة أرجش)، فقد سيَّر نحوها قوةً شديدة البأس، فانطلقت كالبرق وسقطت على المعتدين كالصاعقة دون إهمال أو إمهال . ولما فطنَ هؤلاء أن لاقبل لهم بالصمود أمام هذه الهجمة المباغتة، ولّوْا هاربين قبل مليكهم للخلاص بجلدهم .

وبعد أن تيسر للجيش المنتصر تفريق هؤلاء على ذلك النحو المزري

‹ ب ٩٣ ›وتطهير المنطقة من وجودهم، قام أولئك بنهب القرى المجاورة وتقويضها وإضرام النار فيها، كما أضرموا النار في جدران القلعة المذكورة وأسوارها وترحيل السكان المستوطنين داخلها مع عوائلهم وممتلكاتهم إلى(عدل جواز)[١] وأسكنوهم هناك . أما الجيش المنصور فقد قفل عائداً إلى (أخلاط) والتحق بمقر (السلطان) المرابط هناك .

كان (الشاه) معسكراً في (قلعة وان)، عندما وصلت إليه تلك الأنباء التي تنذر بالويل والثبور، فدخل الخوف في روعه وأقض مضجعه خشية التعرض إلى هجمة مشابهة من الجيش المنصور فتكتسحه، لكنه سرعان ما استعاد هدوءه ورباطة جأشه، فانصرف إلى إعادة تنظيم أموره العسكرية بهمةٍ ونشاط،جامعاً حوله رجاله المقربين، مصدراً إليهم أوامره الحازمة باتخاذ ما يقتضي من استعدادت . وقد ظل بعض الوقت بانتظار حلول الوقت الملائم لعبور المضيق المعروف باسم (خيزان)[٢]لدى الأنام، والكائن بالقرب من(قلعة واستان)[٣]، كمن يترقب رواج سوق كاسد .

ومن قبيل إعطائه ما يستحق من الإنصاف،كان (الشاه) في تلك الايام متجلداً، رابط

---

(١) تقدم التعريف بها .

(٢) كذا في الأصل،وورت في (ب٤) بصورة (حيزان) بالحاء المهملة، وهو الصواب. انظر تعليقنا في الموضوع المذكور.

(٣) تقدم التعريف بها.

الجأش، مسيطراً على الأوضاع، وهو ينتظر ما قد يستجد من الأمور وتتولد من الأحداث في خلال المواجهات المتوقعة مع خصم غنضفري شديد البأس قوي الشكيمة، مصمماً على الصمود أمامه صمود الأبطال، وعلى نحو لائق بالرجال< أ٩٤> ولكن في الحقيقة، كان على جانب عظيم من الاضطراب، مسلوب الراحة، فاقد الشهوة للطعام ذاهب الرغبة في النوم، مستسلماً إلى السكون، شاعراً بالندم تجاه ما بدر منه في المنازلة والمطاولة مع (السلطان)، وكل ذلك الأخذ والرد والدفع والجرّ والكر والفرّ.

ولما وجد بأن زمام الخيار قد أفلت من يده، ظل ينتظر في مقام الاصطبار بحكم الاضطرار، ويحسب ألف حساب للخطورة والمجازفة الكامنتين وراء الاصطدام مع العسكر الضرغام وفرسان نمور الانتقام، ومدى فرص الصمود والمقاومة التي قد تتاح له في تلك الحالة.

وبينما كان يقلب الأمور على ذلك الأساس، فإذا بأمير أمراء (ديار بكر) وهو يسير على رأس قواته، وبرفقته هيئة أمرائه الكبار، متوغلاً في ذلك المضيق الصعب العبور، وإذا بالعدو الناكد الحظ وقد أخذ رأسه بالدوران من شدة الخوف وتخيم عليه سحابة سوداء، وانتابه الهلع وكاد قلبه أن ينفطر إلى نصفين، حتى صار نهاره الصاحي مظلماً في عينيه الحائرتين، وارتجف جسده كما تهتز أغصان الربيع وتتساقط أوراق الخريف، وقد رشق جسمه بسهام الأوهام وتكالبت أسراب زنابير الشر والإفساد على شهده وعسله.

وإزاء هذا الواقع المرّ، قرر(الشاه)، ومعه خواص حرمه وخدمه، صرف النظر عن ممارسة أسلوب الكرّ والفرّ، ملتزماً طريق الاصطبار والاستقرار لتنظيم الشؤون العسكرية ليوم فاصل، فوزع قواته إلى ثلاث فرق، ناشراً إيّاها في البراري المذكورة< ب٩٤> حتى شنت هجوماً مباغتاً على القوات العثمانية دفعةً واحدة كشياطين الرجوم.

ولكن الردّ جاء سريعاً من ذلك الجانب، فتحرك الجيش المنصور بريح الجهاد، وتجاوبت ميادين الوغى بأمواجٍ من أفواج الليوث التي تقذف الحمم من أفواهها، وبريق النصال

والأَسنّة تلمع كالشهب في أياديها، حتى تحول وجه الأرض إلى حديقة عامرة بمنظر الرايات المرفرفة كما تحولت الجبال والتلال إلى حقول ملأى بالشوك لما زخرت بالأسِنّة والحراب، عندما شرعت نقاط المراقبة للطرفين بالتراشق بأخشن الألفاظ أولاً، وقبل التشابك بالأيدي ثانياً، وتبرق السيوف اللامعة كالمشاعل، وتفتح الضياغم صدورها للطعان، وتقطب الأقواس كالقزح في صفحة السماء، وتمتد الأيدي بالحسام نحو الخصوم، وتفتح الأذرع حرابها، وترفع الرؤوس الأعلام عازمةً على الانطلاق، متركزةً بأنظارها نحو الأمر الأخير

قـــد رفـــعت الأعـــلام الرؤوس إلى العـــلا

فـــــامـــــتــــــدت الأعناق تنتظر الوغى

وهنا، باشر سوق الأخذ والعطاء في ميدان المعركة بالتعامل، وصار لبوس البقاء على قيد الحياة يُشترى بثمن بخس، وأخذ خضم الوغى بالتموج بفعل رياح المتبارزين، ولمعت السيوف واختضَّتْ كالبرق، بينما بانت علائم السكر تبدو على البعض بفعل اجتراع كأس الحسام، فيما تحولت وجوه الكثيرين إلى ما تشبه الوردة الحمراء لتخصبها بدماء قانية، واكتسبت وجوه أخرى لوناً أصفر فاقعاً لانحسار الدماء عنها لتصبح مثل كؤوس فارغة عديمة اللون من شدة الخوف والهلع في ساحة الصراع المحتوم، حين وزع ساقي الآجال أقداح الموت المترعة بالسموم كلما نالت طعنات البعض بعضهم ‹ أ ٩٥ › بضربات السيوف أو وخز الأسنة المؤدية إلى العويل والصراخ.

وتجرع المتحاربون كؤوساً دامية الألوان، الواحد من يد الآخر، وفقدوا الصواب، آخذين بالتجرد من أرديتهم كالمجانين صائلين جائلين في الميدان وهم عراة، واعتدى الذهول الأنس والجن معاً في مهابة القتال، وقد بلغت الحيرة سهام الأقدار حتى ظلت أنملتها في فم القوس.

ومن هول ضربات السيوف تجمدت الأصابع في الأفواه حائرة بلا حراك، وتشبّثت الأيادي بذيول حب الحياة، وتحولت ساحة الوغى إلى عملاق ذي ألفٍ من الأيدي الحاملة للسيوف الدامية، وأمست البراري تنيناً ثملاً بألف رأس وعين بمنظر الرماح الزاخرة ذات الرؤوس الحادة واللامعة .

ولما كانت السيوف تعمل على اهدار أمطار دماء المقاتلين على أرض المعركة، وهي متعطشة لها بعد أن انسلت من اغمادها، فإنَّ الدماء صارت تجري على وجه الأرض جريان الماء سيلاً،وغدت الدروع بأيدي أصحابها مشحونة بألوان قرمزية ، وهي تذرف دموعاً اصطبغت بالحمرة القانية وكأنها سحاب ماطر.

لما اكتنفت الآفاق بالغبار المتناثر بفعل الجياد المتسابقة في ساحة الصراع بطاقٍ من نطاق لازوردي، توجه(محمد باشا) أمير أمراء (ديار بكر) بسؤال إلى (أولامه) الذي حضر إلى حضرة (السلطان) لاجئاً وهارباً من ظلم (الشاه) وغدره، كما ألمحنا إليه سابقاً، يستمزج رأيه عن الوسيلة الأنجح، التي يراها الأنسب، لاتباعها في مقارعة هذا الخصم العنيد في هذه اللحظة الحرجة وخلال هذا الصدام المستعر على أوْجِهِ.

فأجاب (أولامة) صاحب القلب الطيب:< ب٩٥ > (إن هذا الخصم القديم لهو غريم ذو بأس شديد ومقاتل عنيد، فلا يسوغ الاستهانة به، وإنَّ هؤلاء الحاملين في رؤوسهم مذهب ذوي الرؤوس الحمر هم مفترسو الطباع كالنمور، وقد اعتادوا منذ القدم على التدرع بدروع من حديد، هم وخيولهم من الرأس إلى أخمص القدم وحتى الأظافر عند خوضهم غمار الحروب، ويرتدون مغافر وقمصاناً مصنوعة من الحلقات الحديدية لاترى منهم غير العينين اللتين تشبهان جذوتين داخل الرماد أو نجمتين تلوحان خلف السحاب... وإنَّ التصادم مع هؤلاء من الصعوبة بمكان، فحين يقومون يحملون على خصومهم دفعةً واحدة ويصولون مجتمعين مهما كلفهم ذلك من نتائج، حيث تأتي ضرباتهم شديدة الوطأة وجارفة مثلما تجرف سيول الأمطار الهائلة صدور الجبال العاتية في موسم الربيع، وهم يحرقون كل ما تصل إليها أيديهم وحرابهم وأسنتهم البارقة.

إن من حصافة الرأي إزاء هجوم هؤلاء، أنْ نفسح لهم المجال دون أن نصمد أمامهم ونخوض قتالا مريراً قد يكلفنا كثيراً..

وعند هذه العبارة بالذات، أدرك (محمد باشا) مافي ذلك الحديث من صواب وسداد رأي، وقد جاء مطابقاً لما كان يضمره في قلبه هو في هذا الصدد ويخطط له للوقت المناسب

بالذات، وتلك هي من مظاهر مرآة الأسرار الحدسية ومشكاة الأنوار القدسية، التي قد تسنح في خواطر بعض من عباد الله وتلوح في عيونهم بكل وضوح بعين الوقت.

إنَّ ذلك هو ما حظي بالقبول لدى أصحاب النقول وماوجده أرباب العقول من باب المعقول، ففي تلك اللحظات ذاتها، انسحبت عساكر السلطان جانباً عن وجهة ذلك السيل الجارف مبتعدين عن منطقة الخطر، مظهرين اللواذ إلى جانب الفرار واختيار شق الانتقال عن المكان والارتحال بأسرع ما يمكن عملاً بسنة أولي العزم القائلة: " الفرار ممّا لايطاق لهو من سنن المرسلين" . فتلك المبادرة كانت هي الأولى لما تقتضيه حراجة الظروف المذكورة.

< أ ٩٦ >

فأولئك العساكر لم يقفوا أمام ذلك العدو الشرس الطباع والمقبل كالخنزير المنتصب على قدميه والمصاب بسهم، لذلك فإنّهم لم يجدوا بداً من هذا الإجراء وجانبوا عن درب أولئك،وكذلك عمل (أولامه) والأمراء الآخرون قبل أنْ تتعرض معداتهم وعددهم للتلف وتصبح أجسادهم علفاً لتلك الخيول المهاجمة والهائجة والمغيرة.وحذراً من نيران الوغى، ووقايةً من النهب والسلب ساروا متوجهين نحو جزيرة (إختمار)[١]

وبعد ذلك الانسحاب،وجد الـ(قزلباش) الأشرار الميدان أمامهم مفتوحاً، فأعملوا في المنطقة الخراب وأورثوا الدمار وأوقدوا العذاب والنار، ولما تجاوز عدوانهم ليشمل الأفواج العسكرية المرابطة على طريقهم، هبّ أمير (سنجق حميد أيلي) المدعو (بروانه بيك) بداعي الحمية الإسلامية صامداً في وجههم والتصدي لهم ومقابلة عدوانهم بالمثل، وبكل بسالة وتجلد، فأعمل فيهم السيوف وقتل منهم مع رجاله الأشدّاء الخلق الكثير، فاتحاً الجروح الفاغرة في أجسادهم مسيلاً منها الدماء الغزيرة حتى تخضبً وجه الأرض باللون الأحمر فصار يحاكي وجوه العرسان المتزينة إن جاز التعبير.

< ب ٩٦ >

---

(١) تقدم التعريف بها .

لقد ظهرت في ساحة المعركة آثار الخراب والخسار التي خلفها جيش العدو المُغِير،وصعد صراخهم وصخبهم إلى عنان السماء، ولكنهم تمكنوا أخيراً من إزاحة قوات (الامير بروانه) إلى خارج الساحة تماماً بعد أن ضيق عليهم حلول الليل بعد النهار، واستشهد عدد كبير من جنوده، فلقد عاد دخان أتون ذلك العدو اللدود بالتصاعد كالسحب السود، فأغارت فرسانه على قواته المستميتة في القتال، وكانت تنتقل هنا وهناك كالبرق الخاطف حتى تمكنت من أسر(الأمير بروانه) نفسه بعد أنْ وقع في كمين بخدعة ماكرة... ولاغرابة في ذلك، إذْ لا رادَّ لقضاء الله ولا مانع في حكمه.

ولما قبضت أيديهم على ذيل عروس النصر على ذلك النحو، طاروا بذلك فرحاً وولّوا وجوههم شطر (قلعة وان)، قانعين بهذا القدر من الغنائم وهم يصيحون : "الفرار زكاة القرار" حتى استقروا هناك .

وفي الجانب الآخر،كان حضرة سلطان سلاطين الإسلام ومالك رقاب الأنام مستقراً في (أخلاط) ينتظر الفرصة الملائمة ويترقب الساعة المؤاتية. وعلى إثر ورود هذا الخبر وذيوعه مع بزوغ الخيوط الأولى من السحر< أ ٩٧ > سطوع أنوار الصبح الصادق في أطراف الآفاق وأكناف السماء، تحركت أفواج من الجبال رهيبة كبحر يتموج بالحديد والنار، ومرت بولاية(حران)[١] حتى وصلت إلى النهر المعروف باسم (كوزه لجه ده ره)[٢] بلسان أهل المنطقة، والسلطان على رأس قواته الضاربة والمؤيدة بنصر من الله مبين، ونزل هناك.

ولغرض مراقبة أحوال العدو ودراستها عن كثب، فقد وظف لهذا الغرض (سيدي أحمد بن أمير بهرام بيك)٣، وهو من الشخصيات الكردية من أولي البأس، وقدوة الأمراء

---

(١) هي (حيزان) بالحاء المهملة، وقد تقدم التعريف بها .

(٢) كلمتان تركيتان بمعنى (الوادي المزين)

(٣) من الواضح أنه أحد أمراء البيت العباسي المالك في إمارة بهدينان (تأسست في القرن الثامن للهجرة، ومركزها: العمادية) لكن مصادر تاريخ هذه الإمارة لاتشر إليه، فضلا عن أن تترجم له .(ينظر : البدليسي: شرفنامه، ترجمة جميل بندي الروزبياني، ص١٣٨–١٤٥) ويرجح أنّ أباه بهرام بك هو ابن السلطان حسين= =

الكرام وعمدة الكبراء الفخام، واضعاً تحت أُمرته زهاء (ثلاث مئة) نفر من أبطال الخيالة الملمين بأساليب القتال وألعاب الحرب، والمتميزين في استخدام الأسلحة والمجيدين في رمي الرماح لدرجة الإجادة والإبداع، الذين كان يشار إليهم بالبنان لدى الأمثال والأقران، وجرى تفتيشسهم وتفحص مدى استعدادهم للمهام المناطة إليهم وبحضور السلطان، حتى جرى التأكد من كمال تجهيزاتهم وأسلحتهم كُلٍّ على انفراد، قبل أن يوكل أمر قيادتهم إلى الأمير المذكور، وساروا على بركة الله .

وبعد أنْ عبرت الحملة ذلك المضيق بصعوبة بالغة ووصلت إلى (قلعة واستان)، كان الخصم القليل العدد والعدو اللدود الذليل يعيش في بحبوحة وهناء مغتراً بنشوة الغرور الآخذ برأسه غير هيّاب بما قد يؤول إليه أمره في قابل الأيام وما سيتمخض عنه الغد القريب، حين ظهر عليهم سلطان سلاطين الإسلام بطلعته البهية مع طلوع الشمس وسطوعها على وجه الأرض قادماً من (أخلاط)، على رأس قواته المتموجة كالبحر الهائج، وهي تسيل كالسيل الجارف، وقد حضر من جانب براري (كوزه لجه ده ره) ‹ ب٩٧ › السابق ذكره، ازدانت بأعلام ورايات الجيش الذي رابط هناك بإشراف ورعاية السلطان شخصياً، بعد أنْ جرى تنظيم وترتيب الأفواج باهتمامه المباشر.

ولغرض إيقاد نار الحرب،جرى إيفاد (احمد بيك) على رأس قوة ضاربة نحو (قلعة واستان) . ولما وصل ذلك الخبر إلى علم ذلك (الشاه) اسودت الدنيا في عينيه وضاقت عليه سبل السلام، وأقض النبأ مضجعه، ولم يعد له مكان مستقرّ، وفقد راحة النوم، وبَعُدَت عنه لذة الطعام، فقد أيقن بأن حضرة السلطان قد باغته تمهيداً لأكتساحه، وباشر في الحال بتحشيد قواته في (قلعة وان) بأسراب من الـ(قزلباشية)، ونَصَّبَ المدعو(أمير قيليج)[1]قائداً

= أعظم أمراء هذه الإمارة (حكم من ٩٤٠ الى ٩٨١) والمعاصر للسلطان سليمان القانوني، وهو الأمير العاشر في سلسلة أمراء هذا البيت، والمرتقي نسبه إلى الأمير عز الدين بن محمد بن المبارك بن المستعصم بالله آخر خلفاء الدولة العباسية في بغداد .

(١) أمير كردي تقدمت الإشارة إليه.

عليهم، فيما تحرك هو نفسه مغادراً منطقة القلعة نفسها نحو الموقع المسمى (بند ماهي) .

ولما وصل هناك، كان أول ما عمله أن أخرج حسام الحقد من الغمد، فقضى على (بروانه بيك) الذي كان قيد الاعتقال، والذي سبق وأن وقع أسيراً في أيديهم: ﴿ فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾[1] .وتلك سنة لامحيد عنها، وذلك قبل أن يُوَلّي وجهه نحو منطقة (نوشار) بدافع الخوف الذي استولى عليه.

وعلى إثر ذلك ،كرَّ (الامير أحمد بيك) عائداً من (واستان) بعد أن اطَّلع على سير الأُمور على ذلك النحو، حيث قدم تقريراً شفاهياً إلى حضرة السلطان، حيث بات تماماً أن شمس دولة (الشاه) قد مالت منحدرة نحو أفق النكبات <ب٩٨ > وأن دفتره الواهي قد بدا محوه عن لوح السكة وصفحة المنشور وكأن لم يكن شيئاً مذكوراً،وأن غزلان الصحارى والبراري قد افلتت من مضائق سوح الوغى لتصبح أثراً بعد عين.

ولما تأكد ذلك (السلطان)، قدّر حضرته، أنّ ملاحقة (الشاه) بالجند من الصعوبة بمكان، نظراً لحلول فصل الشتاء بكل قره وبرده، وقد آن أوان اشتداد الرياح، ولم تعد تلك الأصقاع ملائمة للإقامة في الأيام القادمة، لذلك فقد صدر (الفرمان) الواجب الإذعان من ديوان السلطان بإناطة المحافظة على تلك الديار وحراستها حتى موسم الربيع المقبل إلى مقدم الأبطال وهزبر بوادي الهيجا وأسد المعارك وليث الوغى وأقدم الشجعان وضرغام الشبّان،وصارم الدولة العُظمى وعمدة الحضرة العليا وأمير (سنجق غزَّة) السابق (حاجي بيك)، زيدت صلابته وشجاعته، بأن يكون قائماً على تلك البقاع ويفتح مقره الدائم في قلعة (عدل جواز) . وبناءً على المصلحة العامة، فعليه مراعاة شؤون الرعية والاهتمام بتسيير أمور البلاد العامة وحماية مرافق المملكة العظمى، بعد أن خوّل بجميع الصلاحيات اللازمة لمكافحة من ستسول له نفسه الإخلال بالأمن والأمان مستغلاً غياب السلطة أو مهتبلاً الفرصة السانحة لأعمال الفساد والغوغاء، ليستحقه في ساعته، ويطفىء نيران موقده في

---

(١) الأعراف آية ٣٣ .

التو واللحظة بأصل الحسام ورؤوس السنان.

وقد أنيطت به كذلك مهمة تطهير تلك البراري من أوكار العصاة ومكامنهم، ومطاردة فلول العدو وبقايا السيوف المتسكعة في الأنحاء المجاورة تمهيداً للقضاء عليهم دون رحمة أو هوادة، سواءً أكانوا من الـ(قزلباشية) أم مِنْ غيرهم من الأوغاد والأجلاف، وقطع دابرهم واستئصال شأفتهم وتطهير الأرض من فسادهم وإفسادهم، وتنظيف الملك من أشواكهم وأدغالهم. < ب٩٨ >

وعلى إثر ذلك، وبمقتضى الإرادة السلطانية المطاعة، فقد مكث (حاجي بيك) في (قلعة عدل جواز)،وصبَّ جلّ اهتمامه للمحافظة على الضبط والربط والنظام وتأمين الأمن والأمان والراحة للناس ليلاً ونهاراً، متخذاً من المقام المذكور مخيماً له، حتى تمكنَّ بفضل التدبير الصائب والرأي السديد من إيقاف الأشرار، الذين حاولوا أن يصولوا ويجولوا في تلك النواحي، مترددين في وهاد التلبيس التي يزينّها لهم (إبليس). وبحدّ السيف وقيود الأغلال استطاع إذعان الجميع للخطاب المستطاب، والأمر بإطاعة أولي الأمر والخضوع له بالأإجاب، ومن قصّر في ذلك، كان نصيبه لسان السنان اللامع والسيف القاطع الذي ينطق بأبلغ البيان، حتى غدت جزيرة (وان) مفتوحة لسيف السلطان، وألحقت بسائر أراضي (دولة عثمان)، شأنها شأن غيرها من عظيم الأقاليم التابعة في الانضباط والانتظام.

لقد أصبح عرض تلك المعمورة عبارة من الرقعة المنبسطة من الشمال إلى الجنوب، وبلغ طولها من شواطئ نهر (قيزلجه ده ره) حتى تخوم ديار (آمد)، ومن ضفاف البحر ليمتد حتى شواطئ نهر (دوغان) وينتهي عندها، وقد أنيط أمر حمايتها جميعاً إلى عهدة (حاجي بيك) السابق ذكره.

وبعد ذلك شدّ (السلطان) الرحال مع جيشه عن الموقع< أ٩٩ >المذكور قاصداً (قلعة آمد)،وهي من قلاع (ديار بكر)، فعبر من جانب (قلعة بتليس)[1] الراسخة البنيان والقوية

(١) مدينة في الجنوب الغربي من بحيرة (وان)، وصفها ياقوت بأنّها "بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط ذات بساتين كثيرة" (معجم البلدان١ /٣٥٨).

الجدران، والضاربة في القدم والمزودة بمدافع الفولاذ، المضاهية لـ(جبل ملمة) في الهيبة والوقار، حتى مرَّ من المضائق الصعبة المرور لقلاع (صوي، وآمور، وزرقو، وهيز، وقنديل) حتى وصل القلعة المذكورة بعون الله الملك الواحد.

وعلى ذلك الاعتبار، فإن المنازل والمراحل الواقعة ما بين (أخلاط) وحتى (آمد)، والمسماة بـ(قاره عميد)[١]،هي :-

عين تاتوان < ٩٩ أ >

جسر كوزه لجة ده ره <ب ٩٩ >

كوزه لجة ده ره <ب ٩٩ >

بتليس <أ ١٠٠ >

جسر دربند <أ ١٠٠ >

جسر درج <ب ١٠٠ >

جسر قنقدار <ب ١٠٠>

جسر المزرعة <أ ١٠١ >

جسر[٢] دخان <أ ١٠١ >

ويس القرني <أ ١٠١ >

جدول أزرين <ب ١٠١ >

جدول بشيري <ب ١٠١ >

(١) كذا يكتبها المؤلف، وصوابها :قره حميد، وقره بالتركية = أسود، وحميد، محرفة عن:آمد، فالتُّرك يلفظون الحاء هاءً،فيكون معناها آمد السوداء،وهي المدينة التي سماها الترك،فيما بعد،ديار بكر،باسم المنطقة التي تقع فيها .

(٢) يلاحظ هنا وجود (٦) جسور عبر منطقة محدودة نسبياً،مما يدل على تعدد المضائق التي تسير فيها المياه وعلى صعوبتها جغرافياً وعسكرياً . . . ويجلب النظر أيضاً أن المنطقة المذكورة لاتضم آية قرى أو قصبات مما يدل كذلك على وحشتها والصعوبات التي تنجم في الحصول على الأرزاق للجيش المتنقل . . ."المترجم"

مرج (سلطانة) مقابل (جول دبه)[1]　　<ب ١٠١>

قارا عميد　　<أ ١٠٢>

<ب١٠٢>

مـا أنْ حلّ (السلطان) في اليـوم الثـالث والعـشـرين من شـهـر ربيع الآخـر للسنة المذكورة[2]، وشرَّف براري (آمد)، حتى وصلها بالإقبال ونزل فيها بإجلال، وقرّ له القرار، نصبت له فيها الخيمة الملكية وأسدلت في متونها الستائر الوردية ونشرت حولها الأغطية المخملية والسرادق الأرجوانية، واختلطت حواليها أصوات العسكر المغوار، وصخب الزحام الناجم عن الفتح المبين الظاهر الآثار، وبشائر النصر الباهر الأنوار التي عمّت وجه الأرض وشملت الرياض والبساتين لتصعد إلى عنان السماء.

وبعد أنْ تمّ تحرير عدد وافٍ من نسخ البيانات العسكرية المتعلقة بالفتوحات التي تمّ إنجازها خلال الحملة المذكورة، صدرت عن (الديوان) السلطاني المضاهي في الرفعة لكوكب الزحل، وفي متونها عبارات فائقة في دقة معانيها واللائقة الوثيقة في مبانيها، حيث جرى ارسالها الى الجهات المسؤولة في سائر أرجاء العالم وإلى أنظار ذوي الاهتمام من أصناف الأمم والأنام، وحملها رسل انطلقت بهم رواحل سريعة الجري تحاكي السحب في التنقل والانتقال.

وبعد ذلك مباشرة، وعملاً بالقانون العثماني والدستور السلطاني وبموجب مراسيم،جرى تكريم القادة العسكريين وأصحاب المعالي من الوزراء وأمراء الأمراء والعلماء العظام وقضاة محكمة خير الأنام، وباقي الأمراء الكرام، والأكابر ذوي الاحترام، وأغوات الباب العالي، وزعماء الدولة أصحاب الرفعة وغيرهم من أهل الرتب والأعيان، وكذلك قادة فرق الخيالة المغاوير وأمراء ألوية المشاة من حملة البنادق، وغيرهم من ذوي المناصب والمقام، وذلك بالإنعام عليهم بخلع فاخرة من الأزياء الزاهية الألوان والسندس الأخضر والاستبرق الأحمر والقماش الفاخر، كُلٌّ على انفراد، ومن تلك الأقمشة ماكان بعضها مطرزاً بخيوط

---

(١) جول : باللغة التركية تعني (الآجرد)، و(دبه) أو (تبه) تعني (التل) . . . "المترجم"

(٢) أي سنة ٩٤٢هـ،ويوافق ٢٠ تشرين الاول سنة ١٥٣٥م.

الذهب، ومنها ماكانت وردية اللون أو بلون (النارنج).

‹ ١٠٣أ ›

ومن ثمّ سار الجميع، وكل حسب درجته في سجل التشريفات وعلى ترتيب محدد في منزل الاستقامة ومقام الرفاه، منتظمين في صف طويل وقوفاً على الأقدام لأداء فروض التحية والسلام لحضرة(السلطان) الواجب الاحترام، وهم مكتوفو الأيدي في خشوع وقيام، وأشبه بأشجار الصفصاف في الانتظام، متوجهين بأنظارهم صوب صاحب العرش والمقام.

وهنا خرج ملك وجه الأرض(*)،الحاكم بالشرع المنيف وحامي مذاهب الملك واليقين، من خيمته بكل مهابة وجلال، متوجهاً نحو السرادق المتلألئ بالألوان،وهو يسير على بسط منقوشة بإبداع، وارتقى المنصة ملقياً السلام على أعداد الجند الذين سبق وأن أدوا مهمات خارج حدود (بغداد)، وعلى من هم في الميمنة أولاً بأنواع الأكرام، ثم على من همْ في الميسرة ثانياً بكل أشكال الاحترام، قبل أن يستوي على سرير السعد، فتقدم نحوه وحسب(نظام التشريفات) كلٌّ من (قائد القوات العسكرية) أولاً، تلاه (الوزراء) أصحاب المعالي و(العلماء) العظام و(الأمراء) الكرام، فتشرفوا بطبع (قبلة) على يده الكريمة.

وبعد ذلك ألقى كلٌّ من (رئيس البوابين) في الديوان العالي و(رئيس التشريفات) في المجلس السلطاني، وهما متكئان وقوفاً على عصي ذهبية اللون،كلمة في مدح السلطان والثناء على شخصه، وأبدعا في ذلك أيّما إبداع. وبعد أن فرغا منها،وقفا صامتين بانتظار ما سينطق به السلطان صاحب القران[1]، فصدرت الإجازة إلى (سليمان باشا) أمير أمراء وجند الأناضول، والى أمير الأمراء الكرام وكبير الكبراء الفخام (مصطفى باشا) ذي البأس

(*) في هذه الصفحة والتي سبقتها يمكن أن يتوضح القارئ بوضوح أسلوب التشريفات في الديوان السلطاني والدولة وكيفية تطبيقها، إضافة إلى تحديد المناصب العليا وتسلسل أهمية شخوصها وكيفية تعاملهم مع السلطان في الديوان "المترجم".

(١) القران هنا يأتي بمعنى الاقتران بكوكبٍ ذي علاقة بكوكبي السعد (الزهرة والمشتري) حسب الاعتقاد الذي كان سائدا..."المترجم".

والانتقام، وهو أمير أمراء وأجناد (الديار الرومية) بالمغادرة إلى مقرها الدائم.

ومن بعدهما، أجيز لحضرة (إياس باشا)[١] صدر ديوان الوزارة، يسَّرَ الله له ما شاء، ومعه مشير أمور المملكة وظهير سرير السلطنة حضرة< ب١٠٣ > (قاسم باشا)[٢] بالانفكاك والمغادرة معاً.

ومن ثمَّ، فإنَّ حضرة (السلطان) غادر البقاع المذكورة حتى دخل في القلعة المزبورة فأقام فيها مدة واحد وعشرين يوماً، وذلك قبل أن يتحرك منها وبرفقته من هم لازموه بشكل دائم من الخدم والحشم، وحاملو الطبول والطوغ والعلم، مُيَمِماً وجهَهُ شطر(قلعة روحه)[٣] وحلّ فيها مؤدياً الزيارة لمقام شمس الفلك الرابع، ومعدن النور الساطع، وصدر صفة النبوة ومقنن قوانين الفتوة، وأبي الرسل العظام، وجد الأنبياء الكرام، ونور الحدائق ونار السرو والبستان، والمُقتدى الأبَرّ لكل الأمم، ومقبل كافة الانام، وسالك مسالك التوحيد، ومالك ممالك التغريد، وواضع أساس قبلة الإسلام، ومعمر بيت الله الحرام، ومعتكف كعبة المروءة وساعي مساعي الفتوة، ورافع ستارة الضلالة، وكاشف أسرار الجلالة، ومشتت حلقة الإرادة[*] والمتمسك بحبل السعادة، المكرَّم بكرائم الكرامات، والمشرف بآيات بينات، خليل الرحمن، وجليل البرهان، ومظهر العزّ والتعظيم، حضرة (نبي الله إبراهيم) عليه الصلاة والسلام[٤]، في ذلك المقام الذي كان للناس مصدر ذوق وصفاء، ولكل الدنيا منبع بهجة

---

(١) قائد عثماني كبير،كان له دور اثناء حملة السلطان سليم الأول على مصر سنة ٩٢١هـ/١٥١٧م، وفي عهد السلطان سليمان القانوني. نال وظيفة أمير أمراء الأناضول(أناضولي بكلر بكيسى)، وتولى ولاية الشام، وشارك في فتح رودس،وفي وقائع أخرى.توفي سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٤م (قاموس الأعلام وسجل عثماني)

(٢) هو قاسم باشا كوزلجه، من وزراء السلطان سليمان القانوني، تولى مصر سنة ٩٢٩هـ/١٥٢٢م وشارك في حرب المجر،ثم تولى ولاية (الموره). (قاموس الأعلام).

(٣) هي قلعة الرها، كما سبق أنْ تقدمت الإشارة .

(*) لم يفهم (المترجم) معنى أو المقصود من عبارة (مشتت الإرادة) على الرغم من أنّه ترجمها بشكل دقيق"المترجم" .

(٤) تذكر بعض التواريخ القديمة أنّ النبي إبراهيم عليه السلام هاجر من أُور الكلدانين في العراق الى أورفه هذه وفيها (مقام) له شيد عليه المسلمون جامعاً كبيراً، وفي جنوب البلدة بركة ماء تسمى (بركة إبراهيم) .

وضياء فمنح (السلطان) البسمة لوجوه العالمين وجعل النار الموقدة رياضاً للمرتادين.

كما زار الينبوع المسمى (عين زُلَيْخا)[1] ماكثاً هناك ليلة واحدة داخل القلعة المذكورة، وذلك قبل أن يتحرك لزيارة فخر أرباب الصفاء وقدوة أصحاب الوفاء، وجامع مكارم الأخلاق، ومرضي الشمائل في الآفاق، ومنبع المكارم والمآثر، ومجمع المعاني حضرة (الشيخ أبو المسلمة)، قبل أن ينتقل من هناك إلى قلعة (بره جوكه)[2]، عابراً (نهر الفرات) العظيم، حاطاً الرِّحال عند المعبر لمدة (ثلاثة) أيام للراحة والاستجمام، مغادراً بعدها، وبكل يمنٍ وإقبال وسعادة وإجلال الى مطلع اللوامع ومقام المطلع على غوامض الأسرار، وينبوع الزلال، والرفيق الحق وشمس دنيا السعادة، وقمر فلك السيادة،< أ١٠٤ > والشبيه لـ(كوكب المشتري) لدائرة الدولة،وقطب كرة العزّ وخازن فردوس حديقة الحدائق، وكاشف رموز أسرار الدقائق، وريحان منتجع الروح، ومصباح خزائن الفتوح، والموصوف بصنوف لطائف الملك المعبود، حضرة (نبي الله داود)[3] عليه السلام... ثم انطلق من هناك نحو منبع طنين طنطنة الطرب ومجمع أحاسن ممالك العرب، المدينة المتينة (حلب).

وعلى ذلك الأعتبار ، فإنَّ المنازل الكائنة بين (آمد) و(حلب) في حدود اليوم الخامس

---

(١) تقع هذه العين قرب أورفه، ويسمى ماؤها باسمها

(٢) كذا كتبها المؤلف، وهي بيره جيك، البلدة الواقعة على الفرات، وكانت تعد في عصر الدولة العثمانية تابعة لولاية حلب، حيث تبعد عنها بنحو ١٣٥كم، وهي اليوم داخلة في الأراضي التركية، عرفها البلدانيون العرب باسم (البيرة) أضاف إليها الاتراك لفظ (جك) إلى الصغيرة.

(٣) رسم المطراقي زاده مقام داود عليه السلام (في الورقة ١٠٥أ) رسماً دقيقاً، وهو يتألف من بنائين مستقلين متلاحقين، على كل منها قبة مختلفة، وعلى يسارها مئذنة رفيعة على الطراز العثماني، ويحيط بالبناء كله سور له باب؛ وأشار محمد بن أحمد بن إياس إلى هذا المقام في كتابه بدائع الزهور (تحقيق محمد مصطفى ٥/ ٦٨) بقوله ((وقيل هناك مشهد نبي الله داود عليه السلام)) أما ابن طولون (مفاكهة الخلان ٢ / ٢٤) فسماه (الشيخ داود) وفي الإشارات إلى معرفة الزيارات للهروى (تحقيق جانين سورديل دمشق ١٩٥٣ص٦) أن (جبل برصايا به مقام برصيصا العابد وقبر الشيخ برصيصا ومقام داود عليه السلام) وذكر أن في قرية مشحلا من بلد عزاز(قبر أخي داود النبي عليه السلام) ومرج دابق قريب من بلد عزاز هذا.

عشر من شهر جمادي الأولى سنة اثنتين وأربعين وتسع مئة،[1]هي كما يلي :-

(قيزيل تيه)[2] في سفح جبل (قرة جا طاغ)[3] < أ ١٠٤>

(آق بيكار)[4]عبر جبل (قارا جا طاغ) < أ ١٠٤>

تل (قوجة كوز)[5] <ب ١٠٤>

جُلاب <ب ١٠٤>

قرية جيل[6]خالد <أ ١٠٥ >

مرج دابق[7] < أ ١٠٥ >

مقام النبي داود (عليه السلام) <أ ١٠٥ >

---

(١) الموافق ٣١تشرين الأول سنة ١٥٣٥م.

(٢) كلمة مركبة من مقطعين (قزل= أحمر، تبه= تل) فيعني اسمها التل الأحمر، وقد لوّن مطراقي زاده هذا التل بلون يميل إلى الحمرة (ب١٠٣,) ورسمه على هيئة هضبة عالية تحيط بها أكمَات عديدة .

(٣) أي الجبل المسور (قره= اسور، طاغ=جبل) وقد رسم المطراقي زاده هذا الجَبل على هيئة سلسلتين معقدتين تكثر فيها الالتواءات، وهي بلون غامق .

(٤) آق بيكار: (كلمة مركبة من مقطعين(آق= أبيض، بيكار= ينبوع، عين ماء) وقد رسم المطراقي زاده نهيراً، أو جدولاً، بهذا الاسم، يجري قرب جبل قره جا طاغ المذكور (ب١٠٤).

(٥) كلمة مركبة من مقطعين (قوجه=شيخ، معمر، كوز= عين) فيكون معناها (عين الشيخ) (المترجم) وهو جدول يجري موازياً لنهر آق بيكار، يفصل بينهما جبل قره جا طاغ (ب١٠٤).

(٦) جيل، كلمة تركية تعني(أبرص، أنمش) وقد رسم المطراقي زاده هذه القرية (١٠٥أ) على هيئة بيوت بيض اللون يعلو بعضها بعضاً.

(٧) مرج في شمال حلب، رسمه المطراقي زاده في (b ١٠٥) وفيه دارت المعركة الفاصلة بين السلطان سليم الأول وسلطان مصر والشام قانصوه الغوري في ٢شعبان من سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م. وقيل إنَّ المعركة دارت في موضع يعرف بتل الفار، وقيل بمرج الطبقة فوق أرض مرج دابق. ينظر ابن طولون :مفاكهة الخلاف في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى(القاهرة : ١٩٦٤)٢/٢٤,

حلب

< ب ١٠٦ >

وما أن دخل حضرة السلطان ملك الشرق والغرب وفارس ميدان الحرب والضرب، سلطان سلاطين العالم وقاهر أبطال الزمان ، دار النصر ونادرة العصر الذي يضاهي طاقة المقلانس نطاق درب التبان ويداني قوسه الهلال في الجمال ورياضها شبيهة برياض الجنان المزدان بالسندس الأخضر وأشجارها المثقلة بالأثمار وأرضها الحافلة بالجداول، إذ ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾[1]، وقصورها نماذج من النعيم ورياضها وكأنها رياض الجنان ورونقها جبريل للفردوس، فدخل(حلب) بالعزّ والدولة ووصلها بالكرم والشوكة...

وازدحمت أطراف المدينة بالخيام المنصوبة وازدانت أنحاؤها بالسرادق المرفوعة، وتحول وجه البسيطة إلى السماء ببريق الأسنة والحراب، وقد عمت عدالة (باد شاه العصر) و(خاقان الدهر) أرجاء المملكة كشمول أشعة الشمس الوجود جميعاً في وضح النهار لتمتلئ بها الآفاق وعنان السماء، ففي عهد جلالته اتقدت شموع الشعب واستنارت المشاعل في عموم البلاد وحظيت الرعيّة وعامة البرية في ظلّه الميمون بالأمن والاطمئنان متنعمين برفاه الحال.

ومن ثم، فإنّ سلطان سلاطين الإسلام قد زار المقامات الشريفة والمراقد المنيفة الكائنة في المدينة المحروسة، التي من جملتها صاحب المعارج المتربع في صدر سرير السموات، ومقنن القوانين الدينية، وواضع المعالم اليقينية، وباني بناء الشرع، ومعمار مقصورات الفرع، وشحنة مدينة (القدس)، ورئيس بلدية الأنس، جليس القديسين وأنيس الملائكة الكرام وسالك معارج السعادة < أ١٠٧>

ومقيم سماء السيادة، وراسم الشرائع وأسرار الغرائب، والمحرم بالأسرار الربانية والمطلع على الأنوار الربانية، المعتكف في البيت المعمور، والمجاور للحرم المسرور، ومظهر الحكم

---

(١) الزخرف آية ٧٣.

ومعدن التدريس، ومقام حضرة نبي الله (إدريس) عليه السلام، والعديد من المشايخ الكرام والأكابر العظام، باذلاً الكثير، ومنعماً الوفير من الخير والإحسان، وبدون تمنن أو شكر أو امتنان، وذلك على ذوي مرآة الخيال، وضعفاء البال، وفقراء الحال، من أهالي الديار مما استجلب سرورهم وحبورهم.

وبعد الفراغ من ذلك، شدّ حضرة السلطان الرحل إلى (عنطاقية)[1] ومنها إلى (آدانه)[2] في (جوقور آباد)[3] عبر جبل (بقرافي) المعروف بصعوبة المرور، الذي يضاهي جبل (قلمون)[4] في ارتفاعه. ومن (آدانه) إلى الجبل المعروف بين الناس بجبل (بول قار)[5] حيث كانت سطوة الشتاء قد حلت ضيفاً بكل ثقله، ونشرت حكمه بكل حدته على جميع الأنحاء والأرجاء، حتى اكفهرت صفحة السماء بالغمام والهواء العاصف والرياح العاتية، فيما بدت الشمس وكأنها ترتعش من شدة البرد وترتجف .

وقد جرّد جيش الشتاء الغاضب، وبرده المعادي الكاسح، معظم الأشجار من زينة الأوراق، مغيراً على مروج الفلاة ليجعلها يباباً بعد أن أعمل فيها النهب والسلب، حتى أن فارس عرصة الفلك ومبارز ميدان الدهر[6] لم يعد في مقدوره إرسال السعادة أو استلال فيصل الشمس وخنجر (جمشيد) من غمده، حتى غادر موقع الجبل المذكور إلى مدينة (قونية) المحروسة، مقام بزيارة ضريح قطب سماء بداية الولاية، ومركز دائرة المعارف والدراية، ورائد أرباب الهدايا، ودليل طريق العناية، والجوهري المتعاطي بدرر الحقائق،

---

(١) كذا يكتبها المؤلف، وهي (انطاكية = Antioche) المدينة الشهيرة الواقعة قرب مصب نهر العاصي في شمال حلب، وقد ضمها العثمانيون إلى دولتهم سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م.

(٢) هي أدنة، وقد تقدم التعريف بها.

(٣) تقدم التعريف بها.

(٤) جبل عال قرب طرابلس الشام.

(٥) بول: كلمة تركية تعني (هائل)، و(قار) يعني (الثلج)، والكلمتان تعنيان (الثلج الهائل).

(٦) يريد : السلطان سليمان القانوني .

وصراف سوق الدقائق، حضرة (الملاّ خنكار)[1]

ومن بعد ذلك، جرى طي كل منزلين في منزل واحد، فتوجه حضرة السلطان نحو المدينة المحروسة (استنابول)، وراح يقطع المراحل ويطوي المنازل، وفي اليوم الثالث من شهر رجب من السنة المذكورة[2] وصل (اسكدار) ونزل فيها، وقد حضر هناك ضمن مراسيم الاستقبال رئيس رؤساء موظفي الأعشار أمام حشد كامل من أرباب الطبول وحاملي الأعلام والرايات وأصحاب الخيل والحشم، بينما أعد عدد مهيب من المراكب المائية من ذوات الأطراف الحديدية في موكب حافل. وفي صباح جميل يبشر بالنجاح وعند السَّحَر، صعد جلالته على ظهر سفينة ضخمة انطلقت به بقوة الماء وحركة الرياح نحو درج[3]درة بحر السعادة وبرج الشرف لقمر الإقبال، فوصله بالصحة والعافية والعزّ.

وعلى هذا الاعتبار، فإنَّ المنازل الكائنة بين مدينة(حلب) والمحروسة (استانبول)، في حدود اليوم السابع من شهر جمادي الأولى لعام اثنين وأربعين وتسع مئة[4]، كانت كما يلي :-

كول[5] عوام

جسر نهر العاصي

---

(١) ملا خنكار : هو محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البكري ، المشهور بمولانا جلال الدين الرومي، عالم فقيه شاعر صوفي، ولد سنة ٦٠٤هـ ودرس الفقه في المدرسة المستنصرية ببغداد، ثم رحل واستقر في قونية سنة ٦٢٣ وتولى التدريس فيها ، وتصوف سنة ٦٤٢فشغل بالرياضة وسماع الموسيقا ونظم الأشعار وإسنادها، ونظم كتابه (المثنوي) وتوفي في قونية سنة ٦٧٢هـ. وإليه تنسب الطريقة المولوية التي شهدت انتشاراً واسعاً في عهد الدولة العثمانية .(ينظر قاموس الاعلام ٤ / ٣١٧٢ والزركلي: الاعلام ٧ / ٢٥٨) .

(٢) الموافق ٢٧ كانون الأول سنة ١٥٣٥م.

(٣) الدرج : محفظة تحفظ فيها الأحجار الكريمة والحلي الثمينة .

(٤) الموافق ٢ تشرين الثاني ١٥٣٥م.

(٥) كول: كلمة تركية تعني (بحيرة) (المترجم).قلنا: وهي البحيرة المسماة اليوم (آموق) وتقع في لواء اسكندرون، على الطريق بين حلب وأدنه.

آرق آوه[١]

عبر (الباب المظلم)[٢]

آدانه[٣]

السيد غازي[٤]

أسكي شهر[٥]

وفي هذه الأثناء وردت أنباء سيئة تفيد باحتلال (الكفار) لـ(قلعة تونس)[٦].. [وانتهى الكتاب]

(١) كلمة تركية من مقطعين، آريق= ضعيف، مهزول، وآووا- واحة فيكون معناها الواحة قليلة الخضرة، وقد تكون آريق هي أريك، وتعني في هذه الحالة الأجاص، الخوخ.

(٢) بالتركية : قركو قابي.رسم المطراقي زاده هذا الباب في الورقة(ب ١٠٨) فإذا هو باب حصين يعلوه برج،يقع في مضيق بين سلسلتين جبليتين.

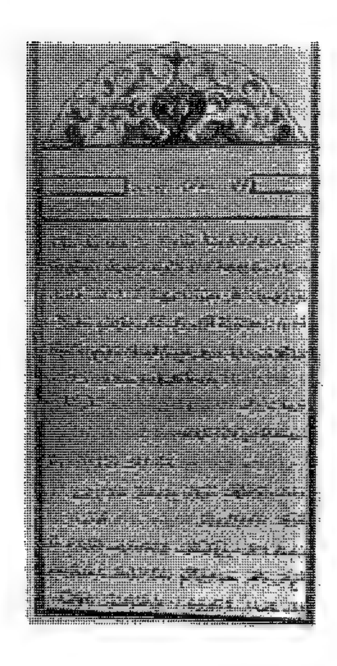
(٣) تقدمت الإشارة إليها.

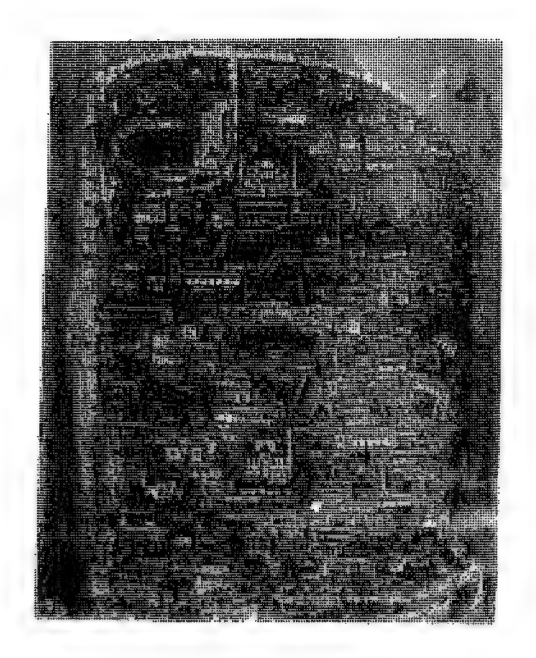
(٤) بلدة إلى الجنوب من مدينة أسكي شهر، في غربي الأناضول.

(٥) مدينة يتركب اسمها من مقطعين: اسكي = عتيق، شهر : مدينة فيكون معناها : المدينة العتيقة، وكانت تعد في العصر العثماني من أعمال كوتاهية في ولاية خداونكار،وهي اليوم مركز ولاية باسمها. وهي تقع على الطريق من أنقره إلى اسطنبول .

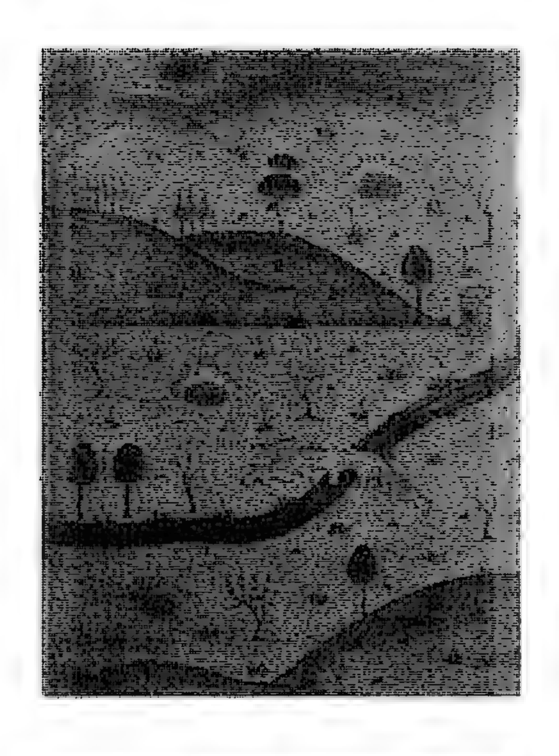
(٦) هنا تنتهي المخطوطة فجأة، والخبر الذي ساق المطراقي زاده مقدمته لاعلاقة له بحملة السلطان سليمان القانوني التي صاحبها، ولاندري سبب إدراجه هنا، وعلى أيّة حال فإنه يشير إلى الحملة العسكرية التي أرسلها شارل الخامس إمبراطور (الأمبراطورية الرومانية المقدسة) إلى تونس لاستعادتها من العثمانيين، وقد نجح شارل المذكور متعاوناً مع فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يتخذون مالطة قاعدة لهم، في محاصرة ميناء (حلق الوادي) ثم (تونس) مدة شهر تقريباً، واحتلها في منتصف شهر تموز سنة ١٥٣٥ " وصرح لهم بنهبها فقتلوا ونهبوا وفسقوا وارتكبوا كل أنواع المحرمات وهدموا المساجد وحرقوا ومزقوا أغلب الكتب النفيسة" (محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٩٥). ولكن أمير العثمانيين في الجزائر علي باشا تمكن من استعادة تونس في سنة ٩٧٧هـ/١٥٦٩م فلبثت بيده حتى احتلها دون جون النمساوي مرّة أخرى سنة ٩٨١هـ/١٥٧٣م وأخيراً استطاع امير البحر العثماني سنان باشا استعادة تونس بصفة نهائية سنة ٩٨٢هـ/١٥٧٤م وتحولت بذلك إلى ولاية عثمانية ملحقة بالجزائر، ثم أصبحت منذ عام ١٥٨٧م تابعة للباب العالي مباشرة (ينظر R. Brunschvig مادة تونس ،دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية ١٠/ ٢٠٠).

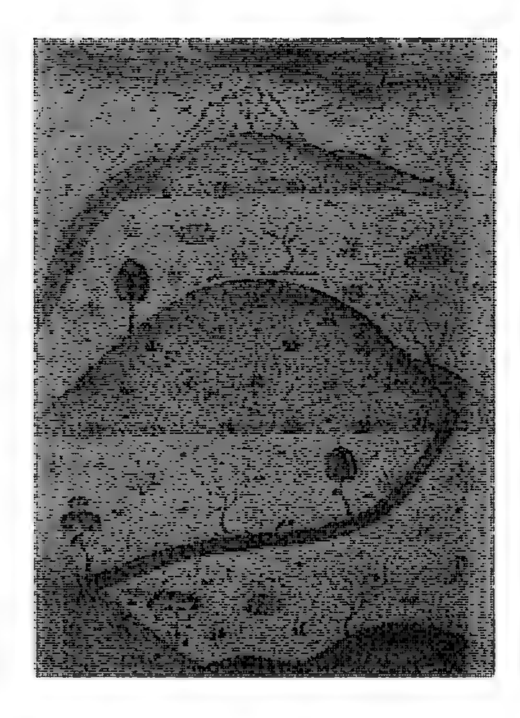
ملحق الصور

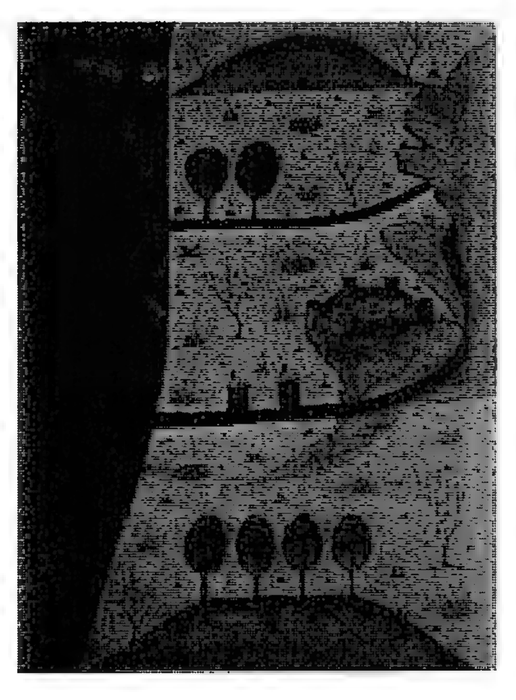


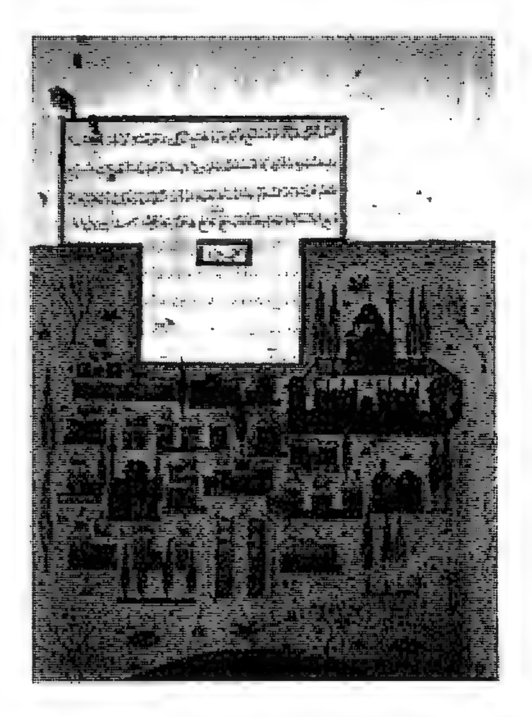


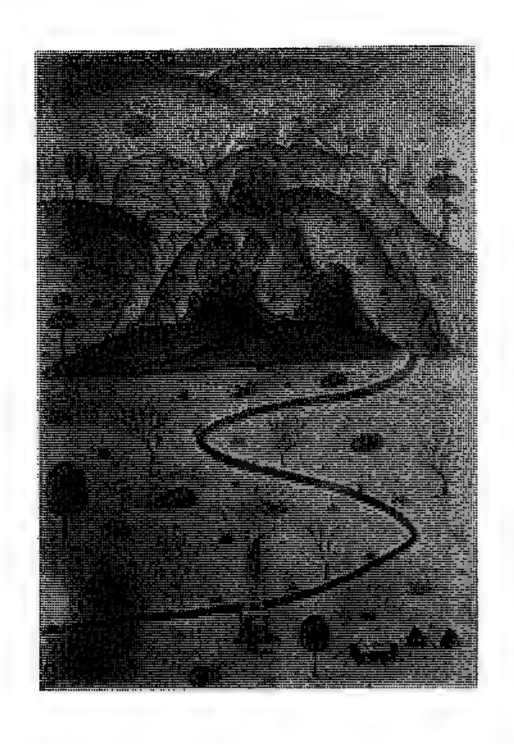
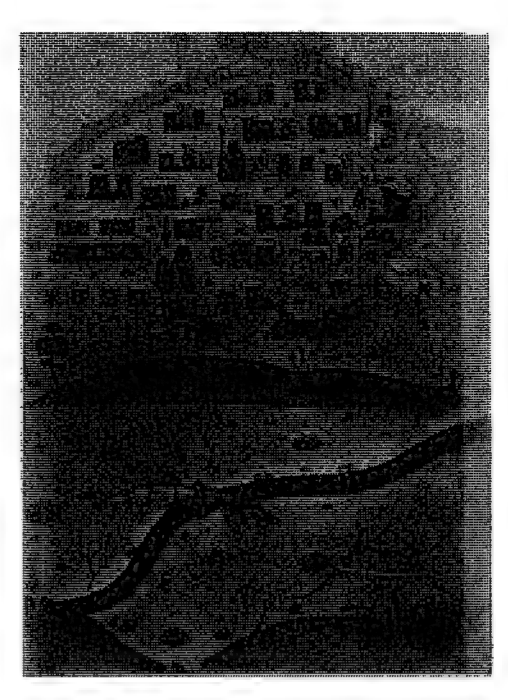
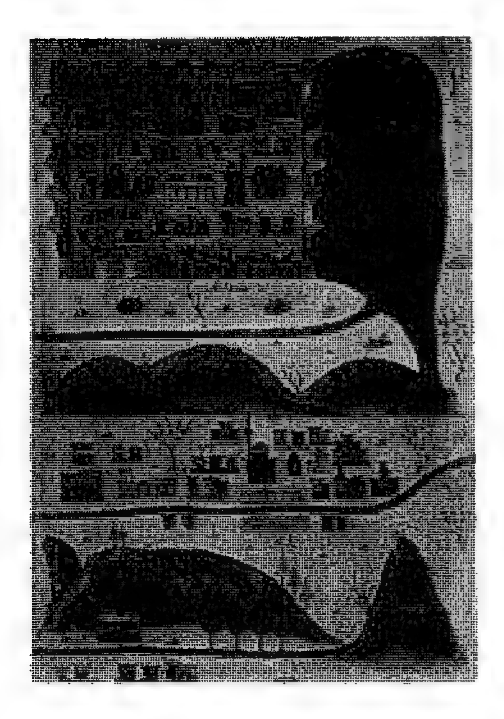
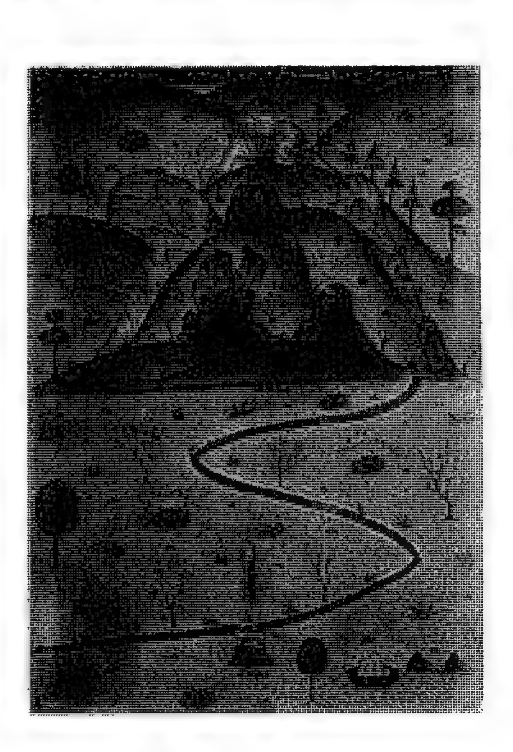


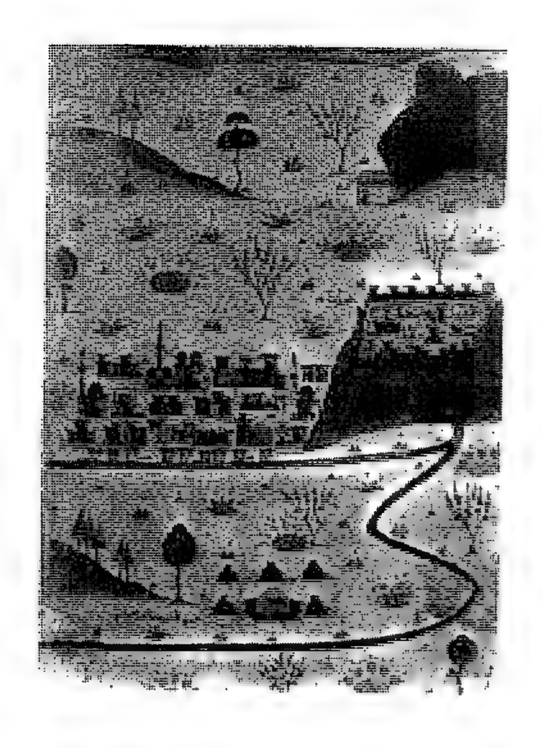


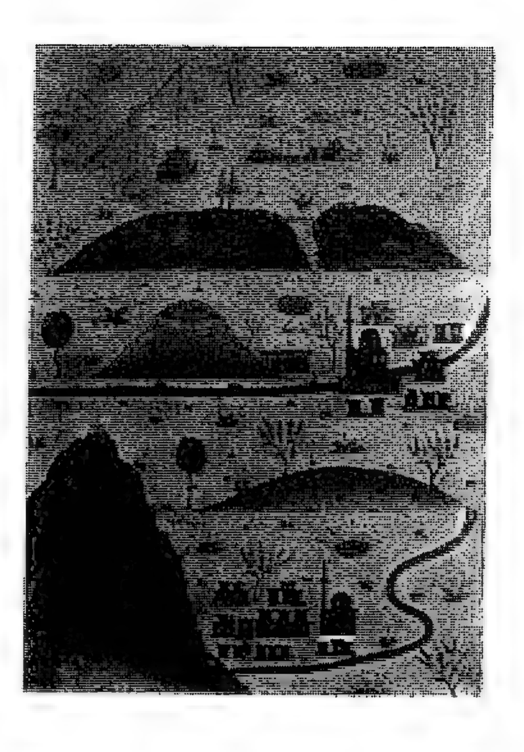


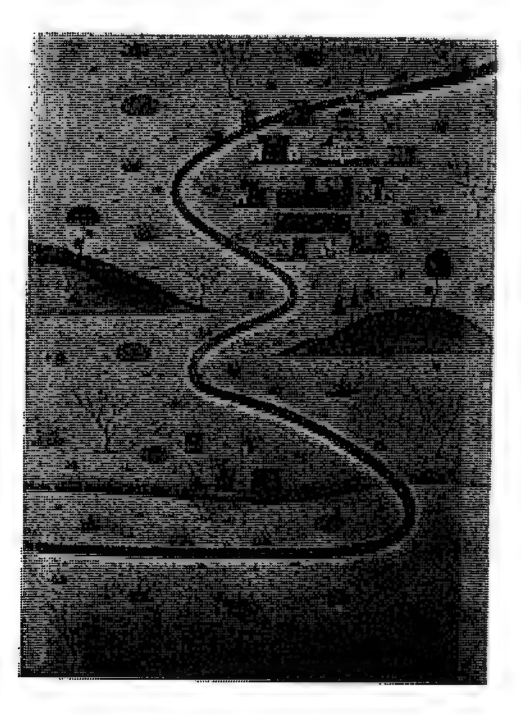


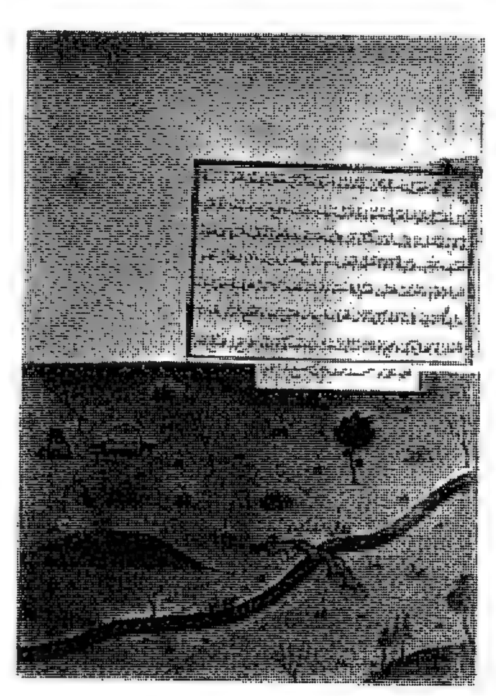


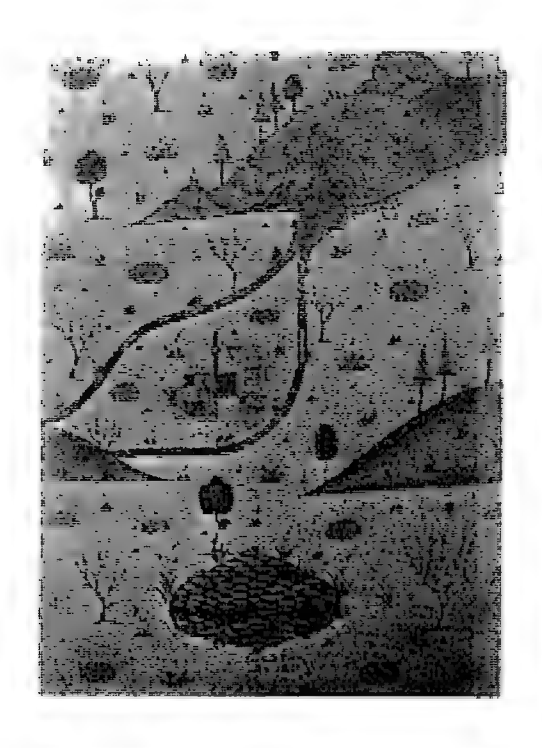





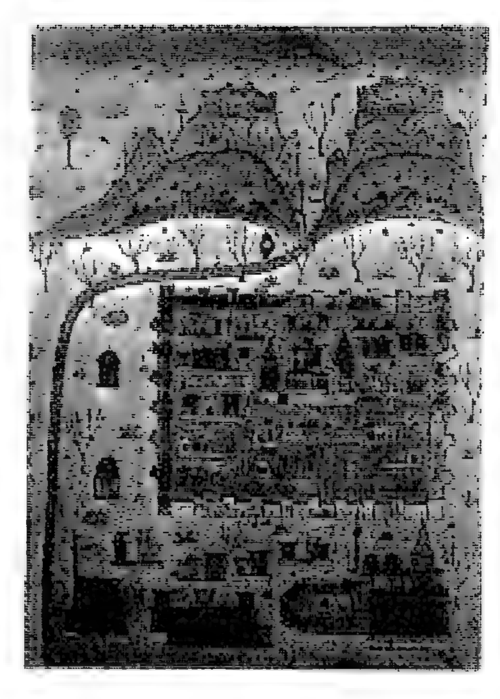




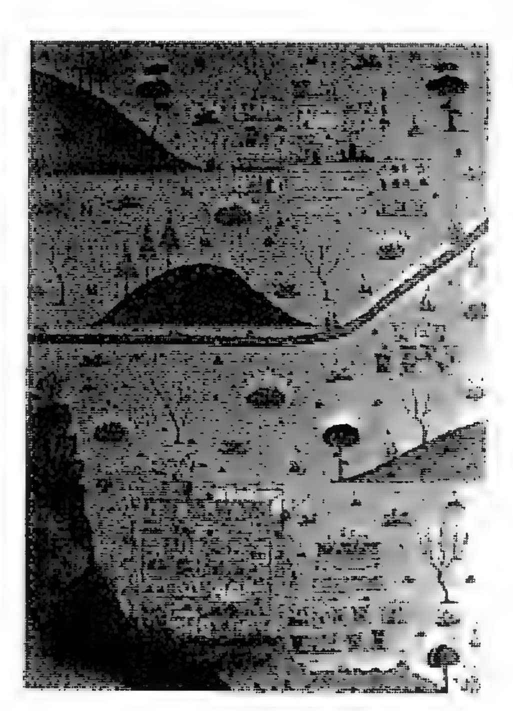


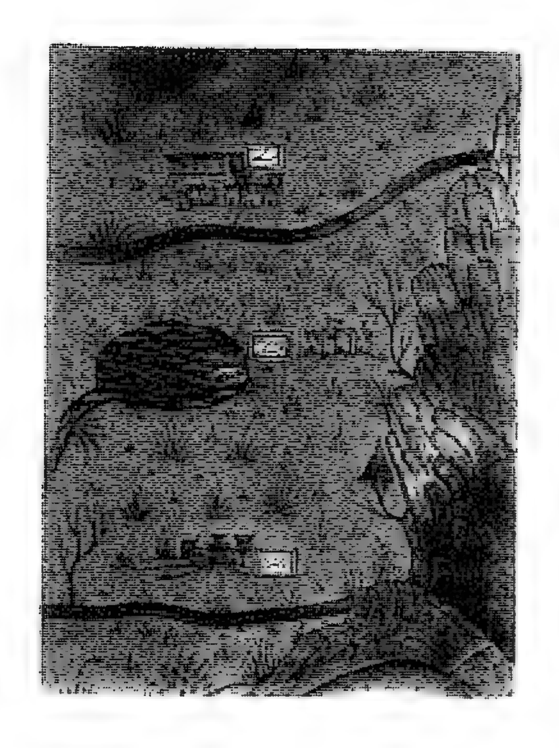


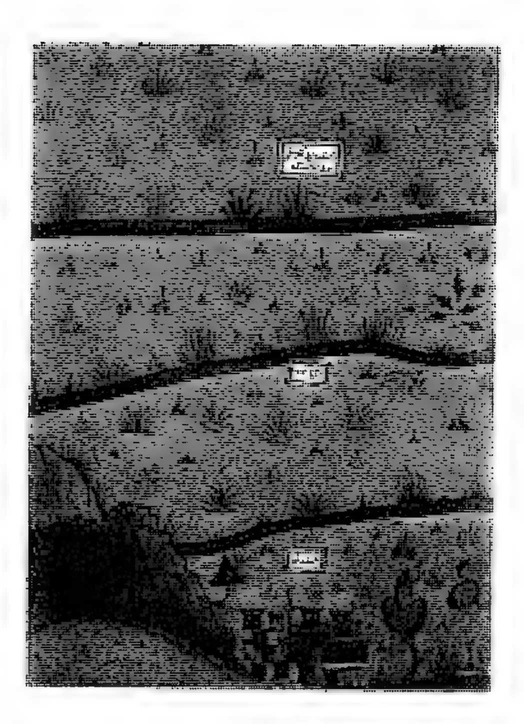


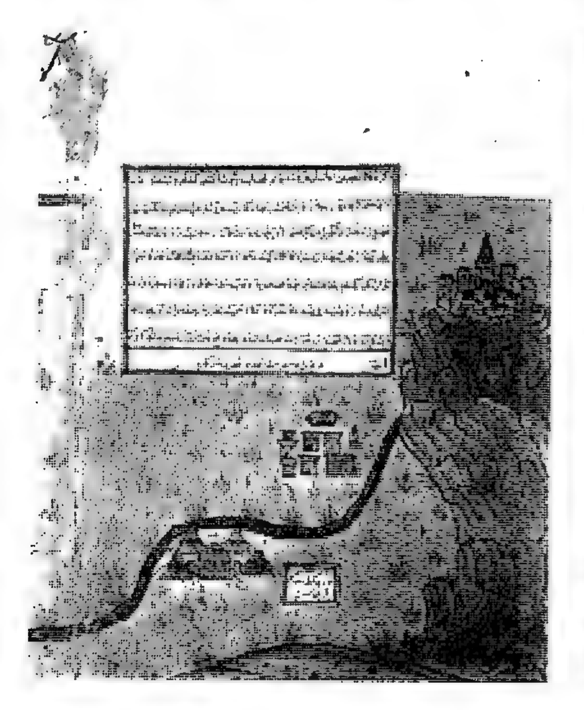


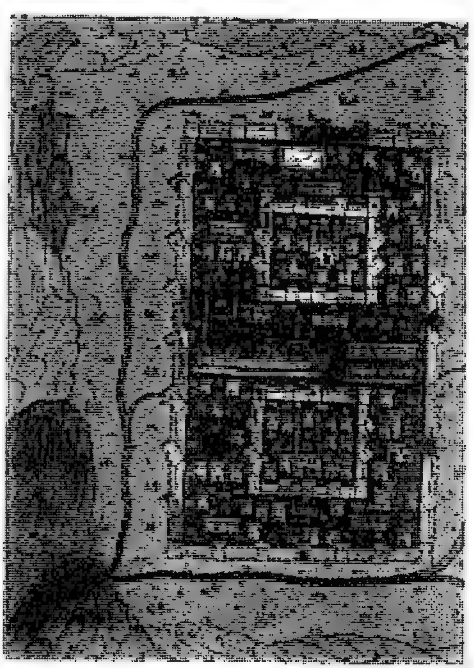


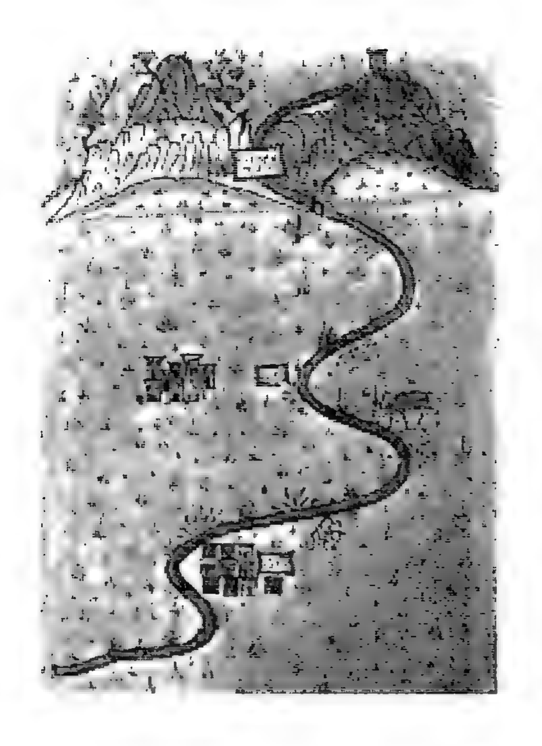


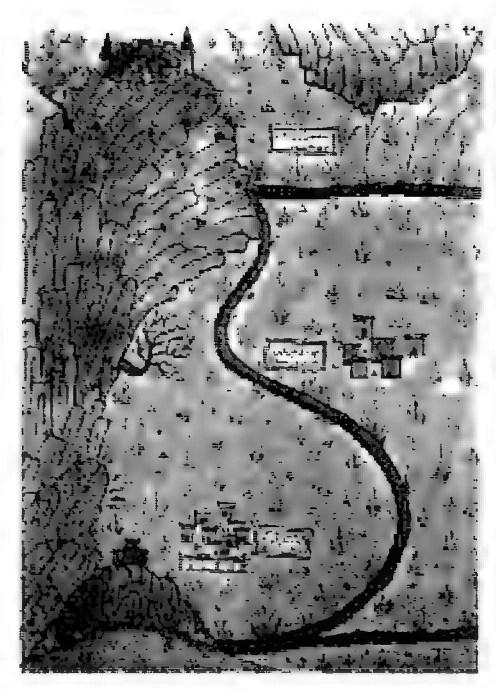


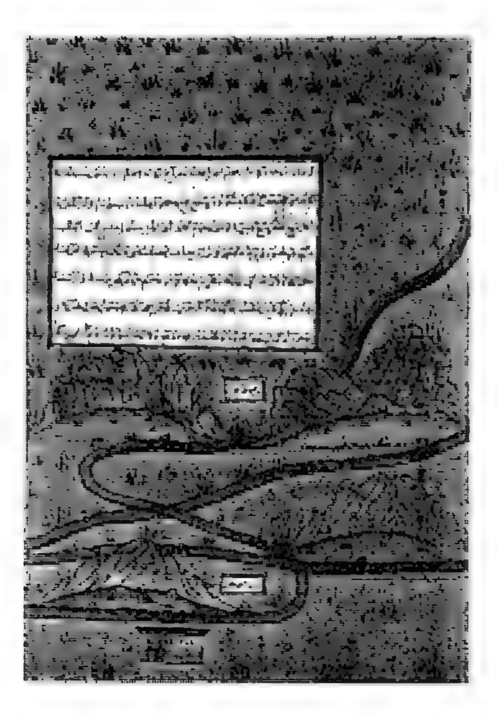


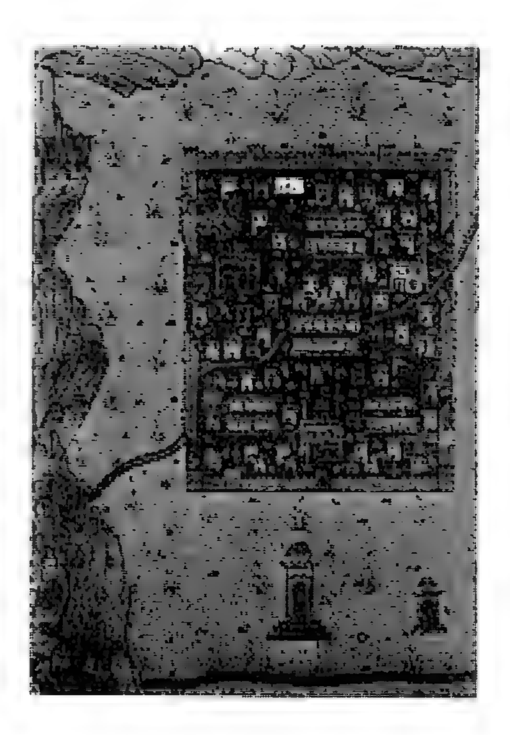


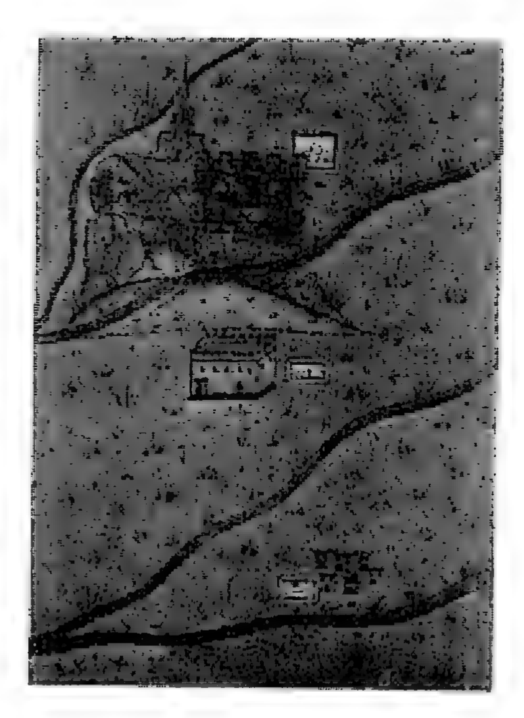
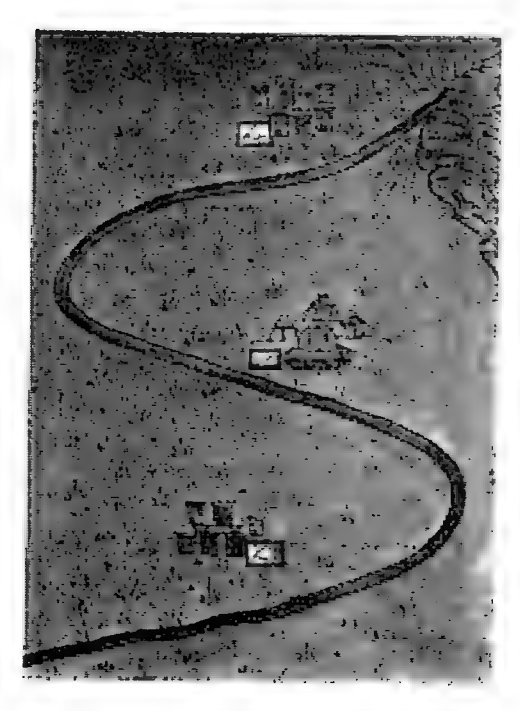
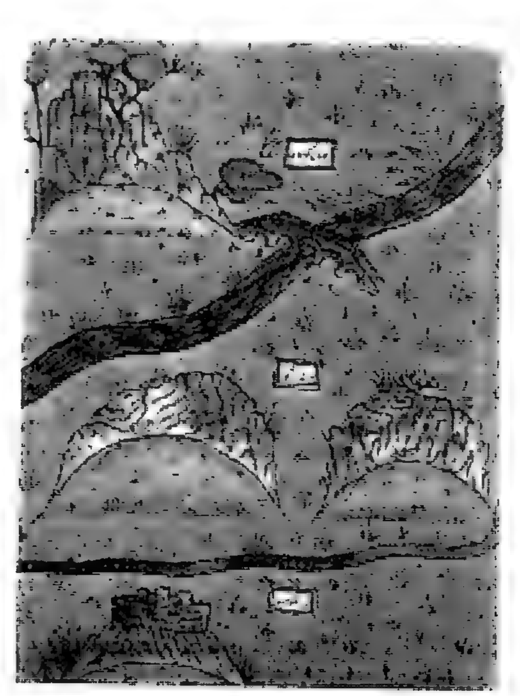


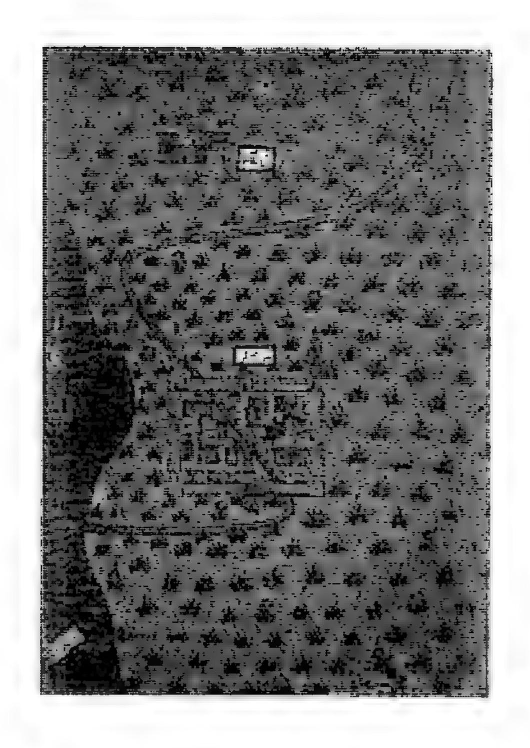
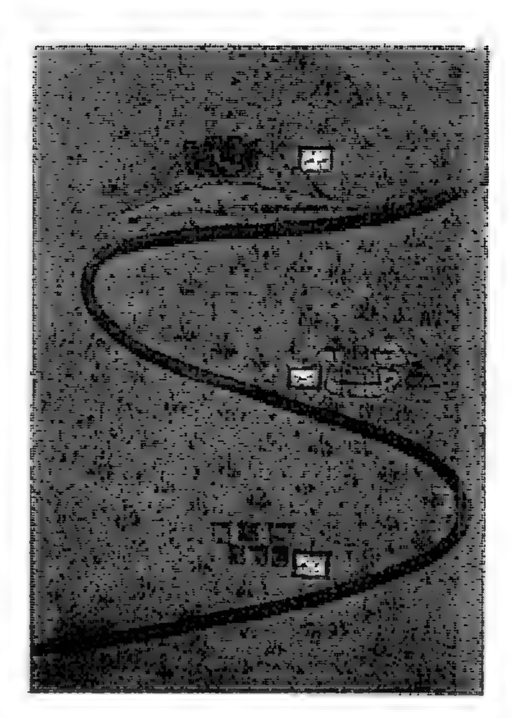
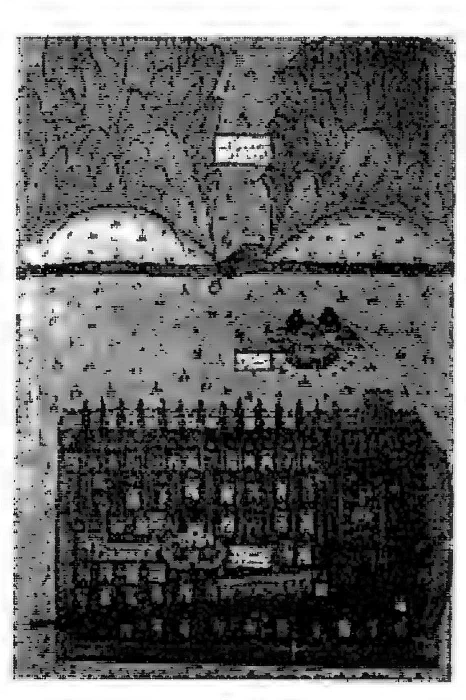
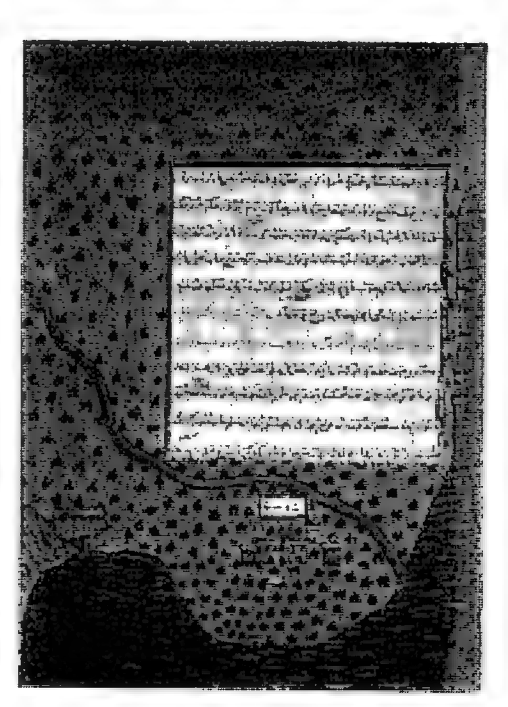


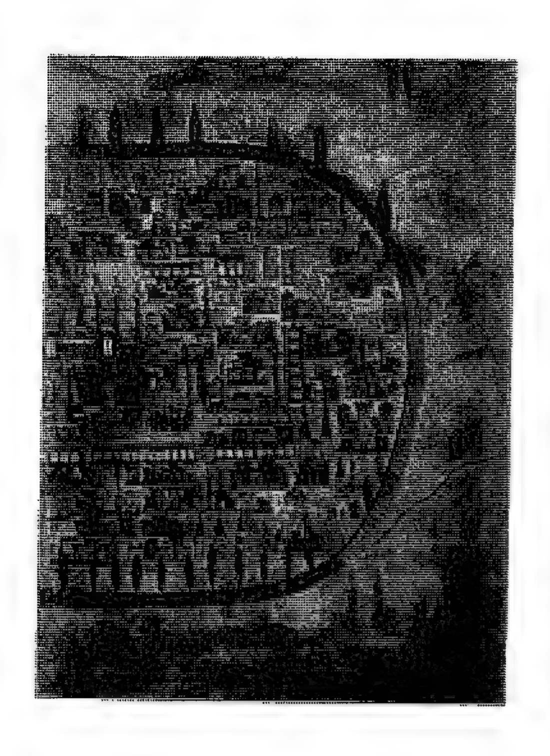


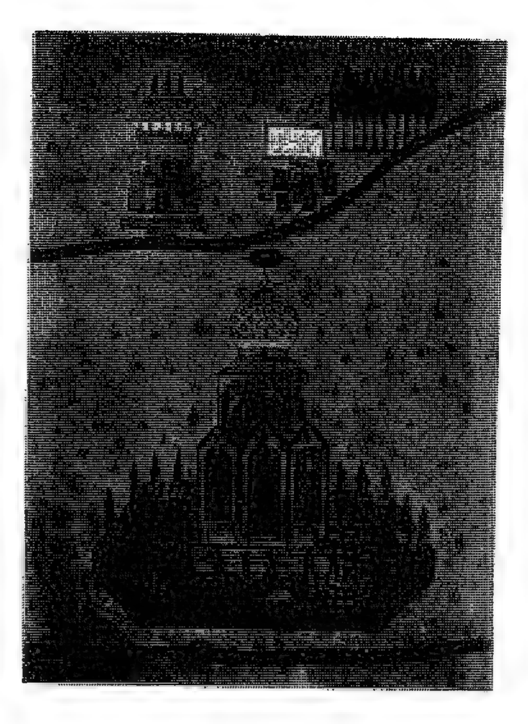


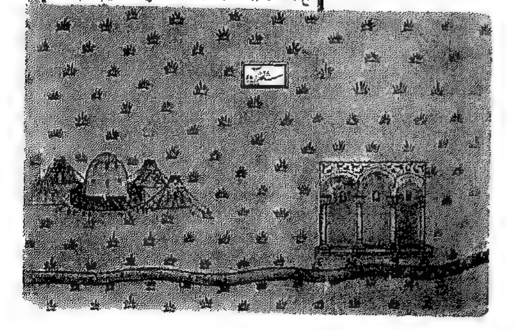


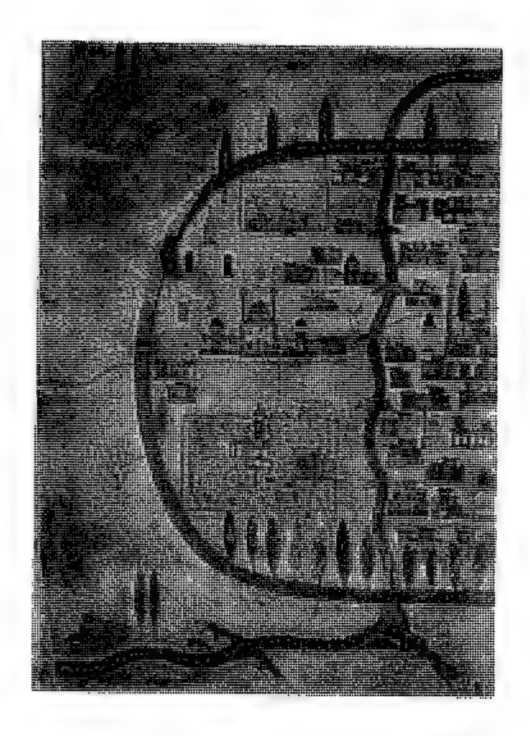





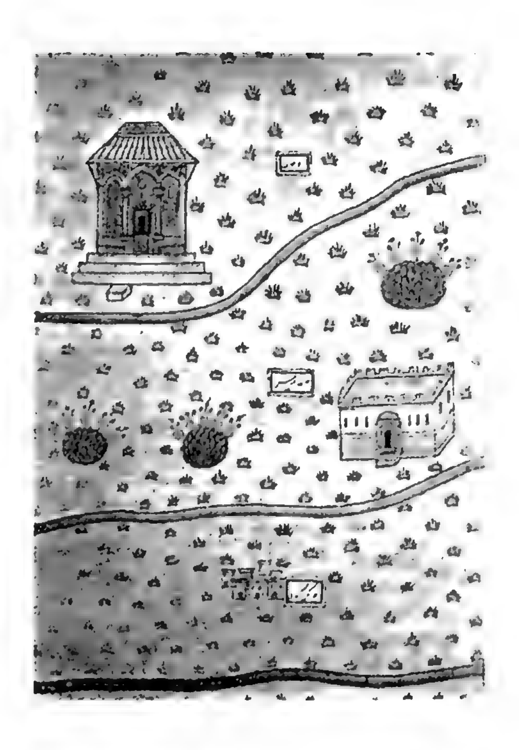


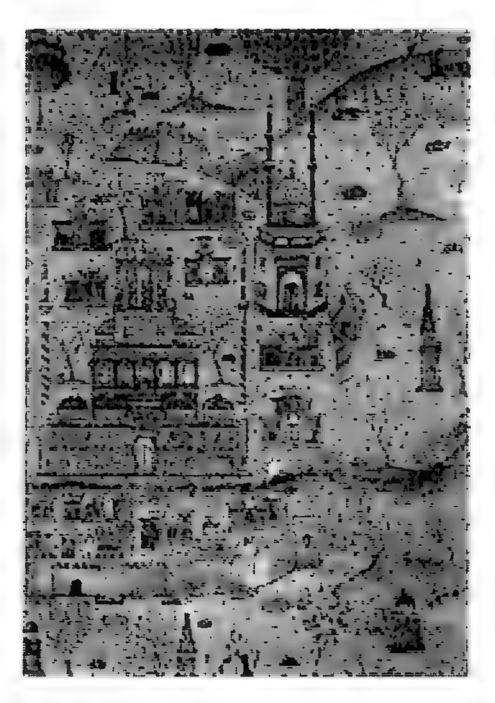


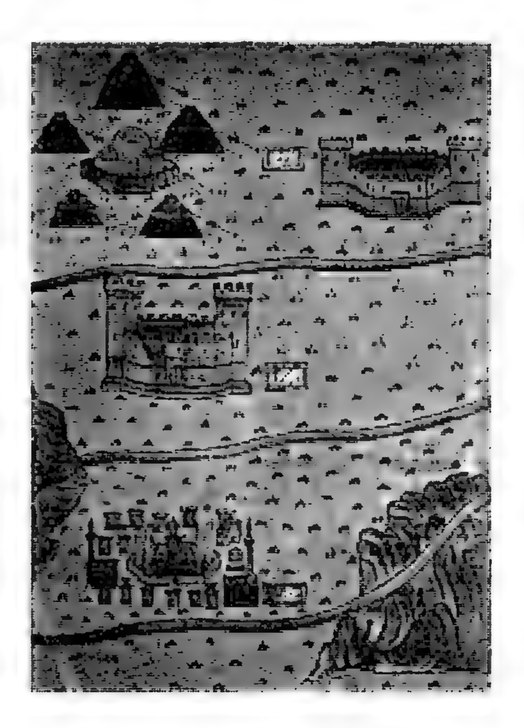




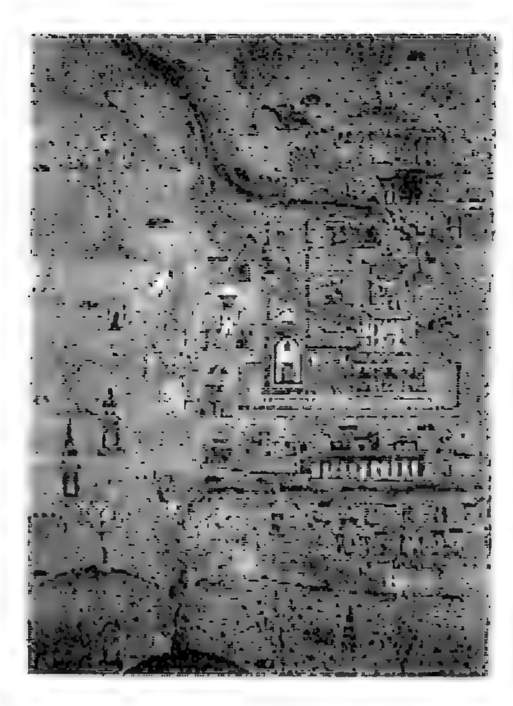


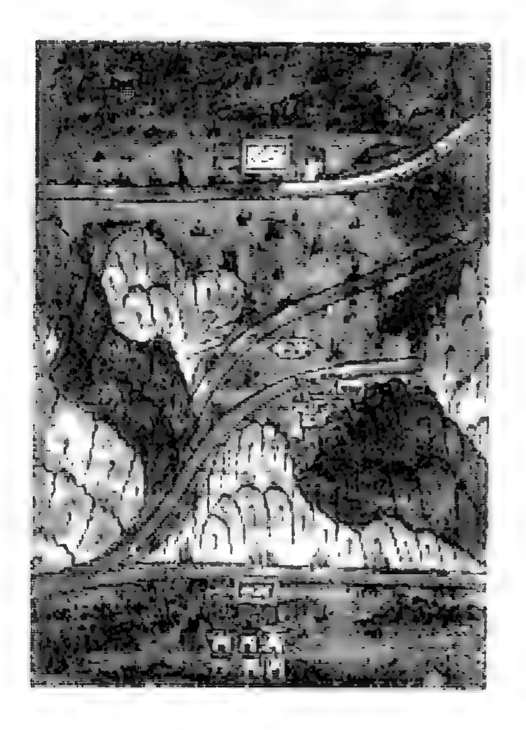


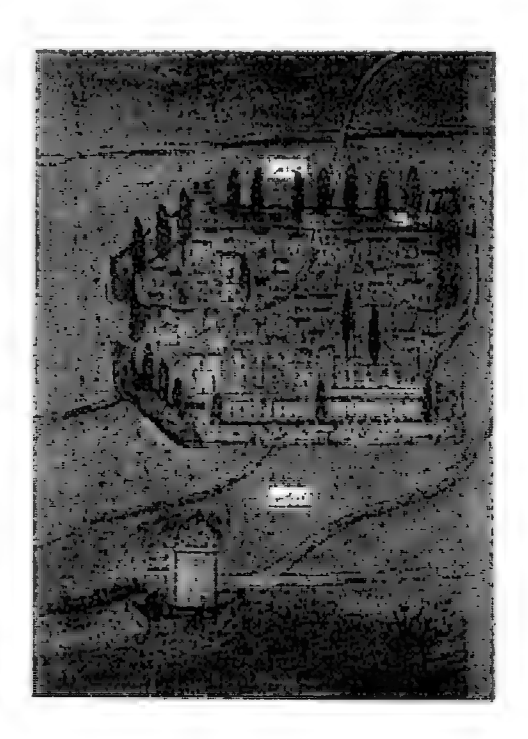


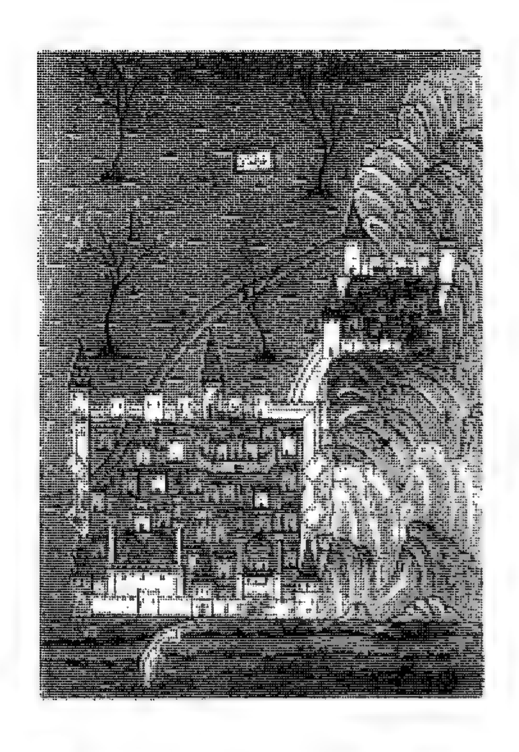


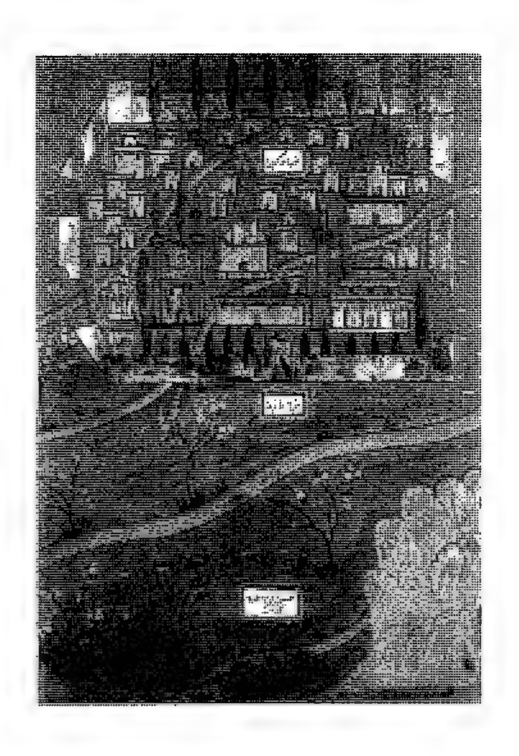


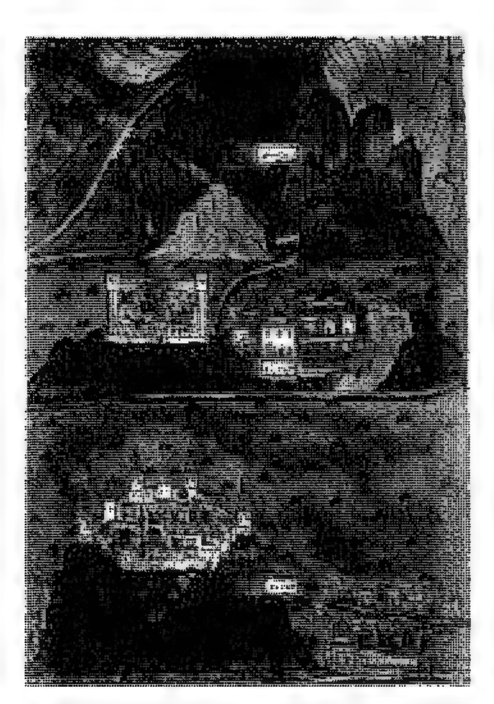


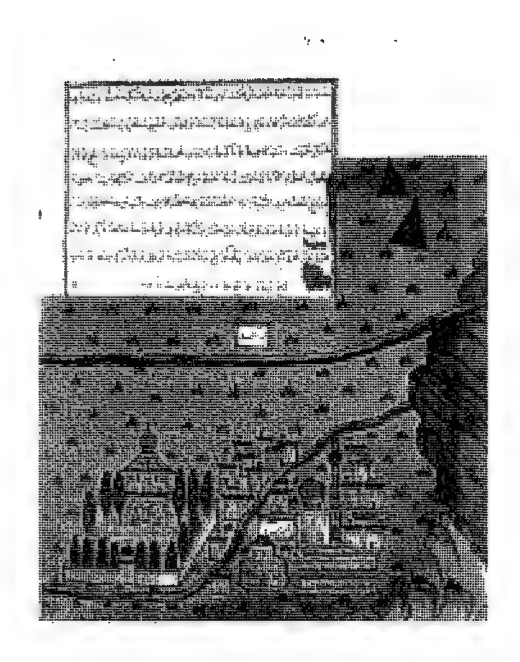


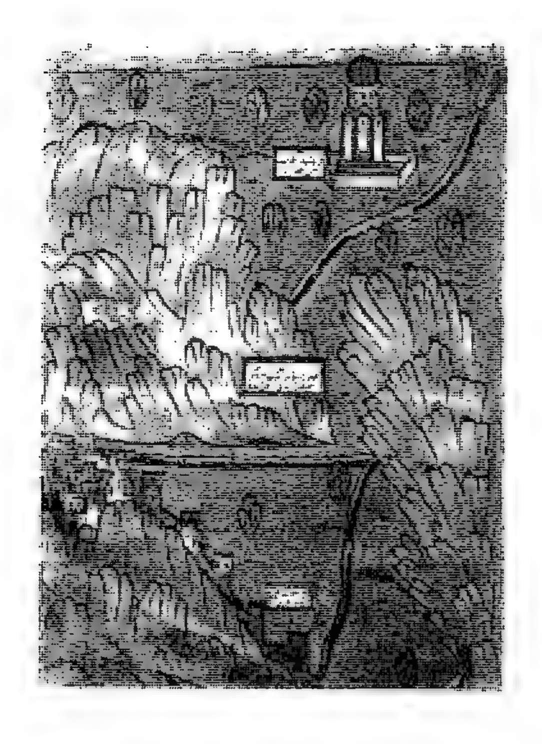
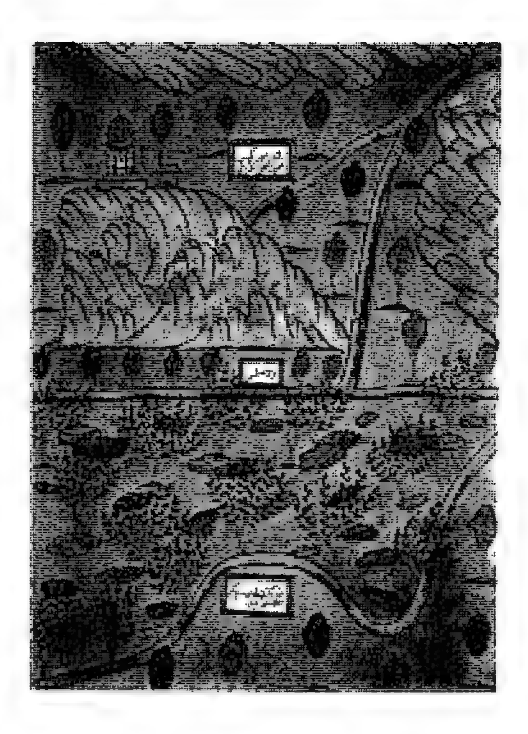
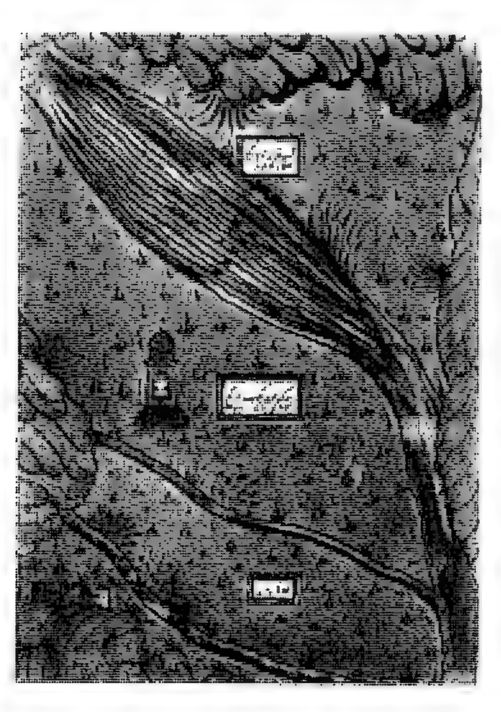
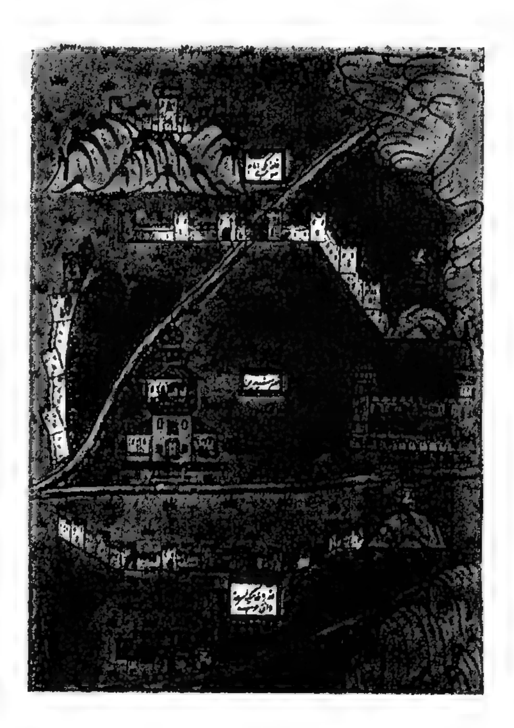




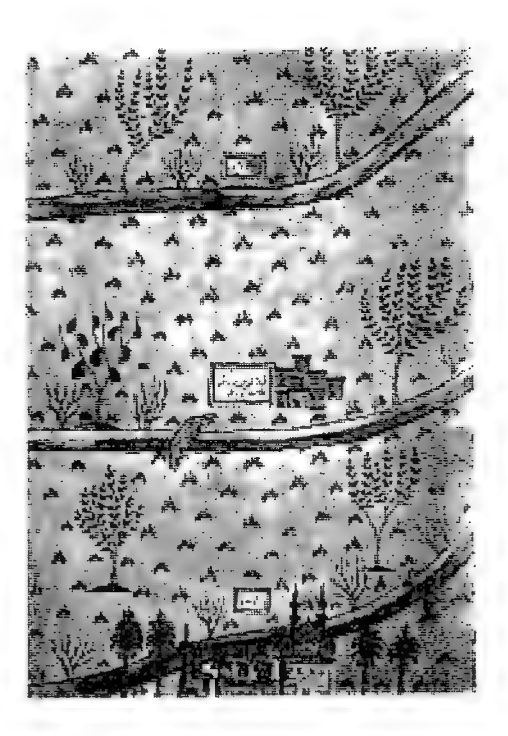


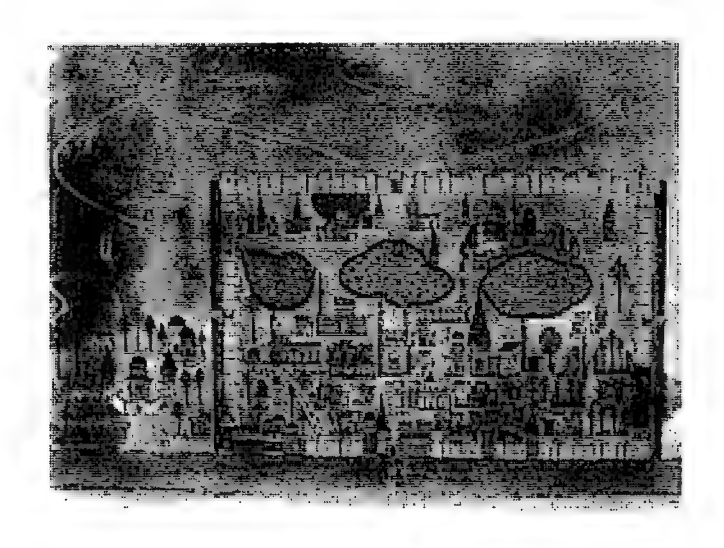


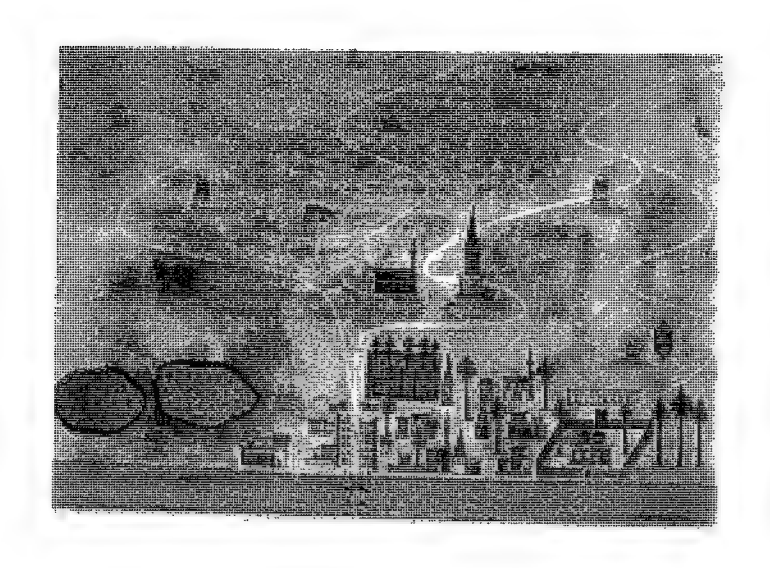


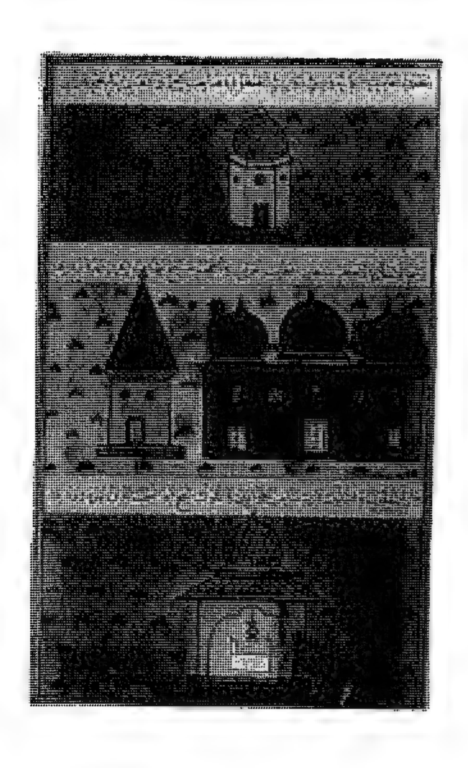







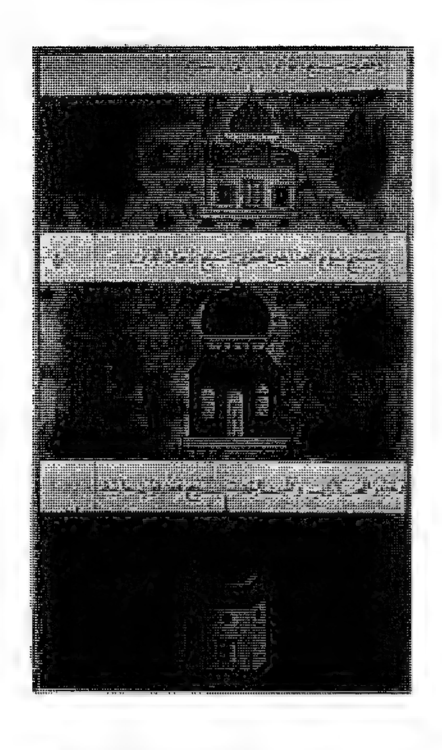


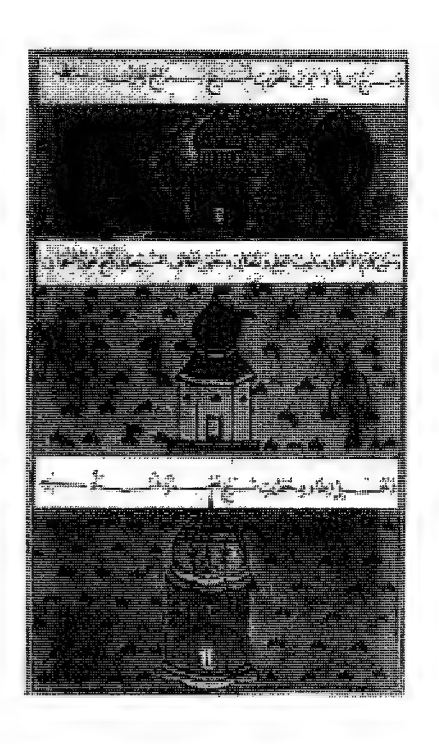


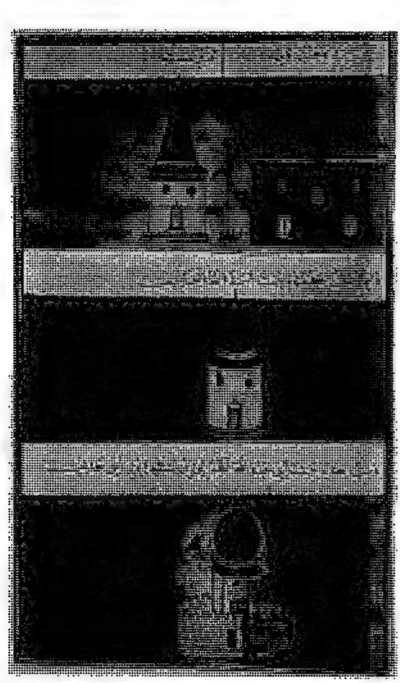


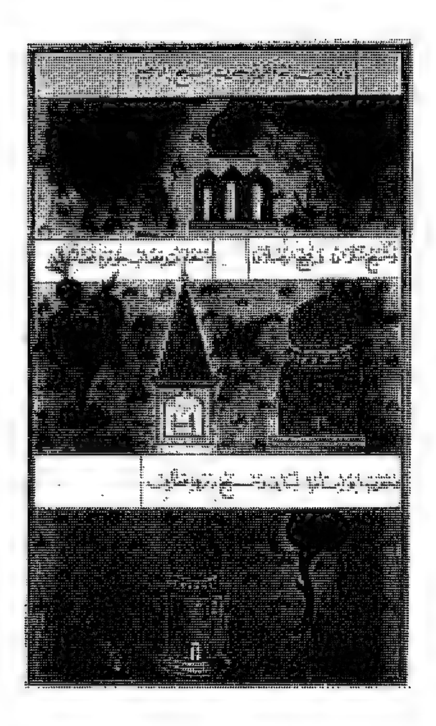


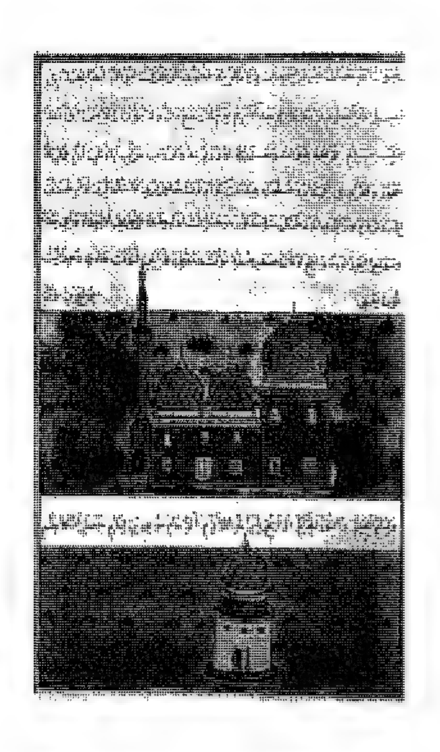


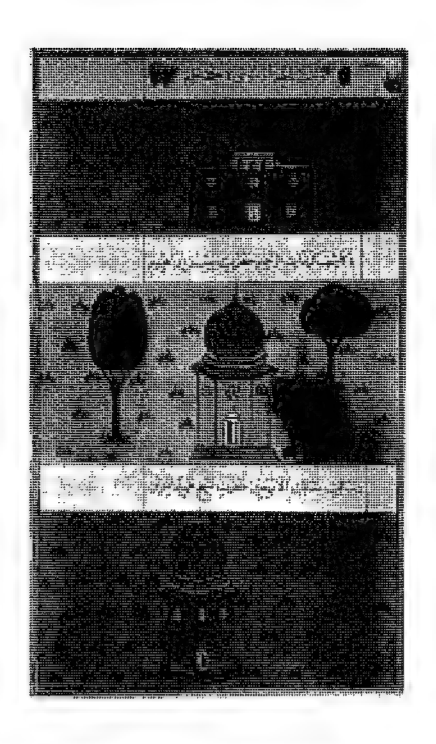


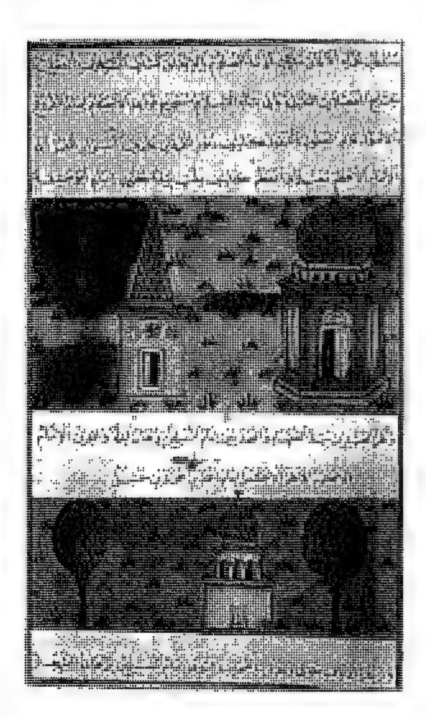


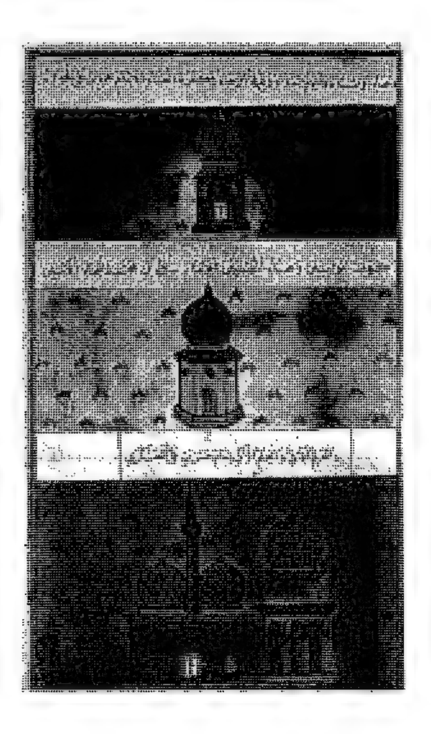


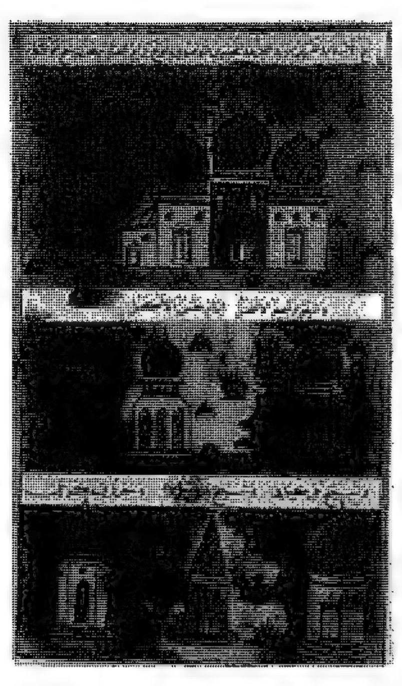


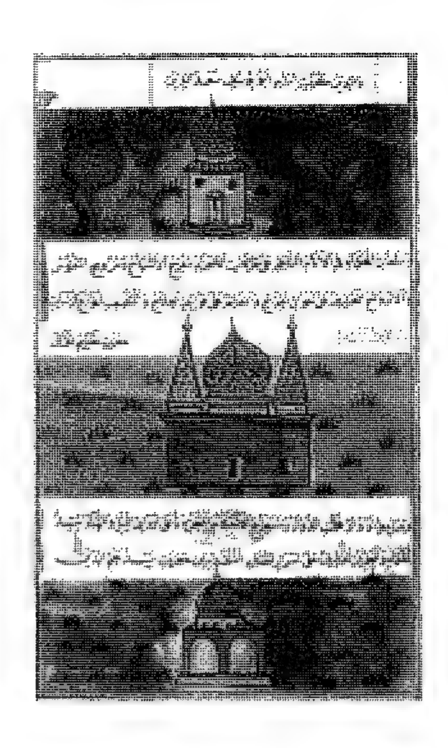




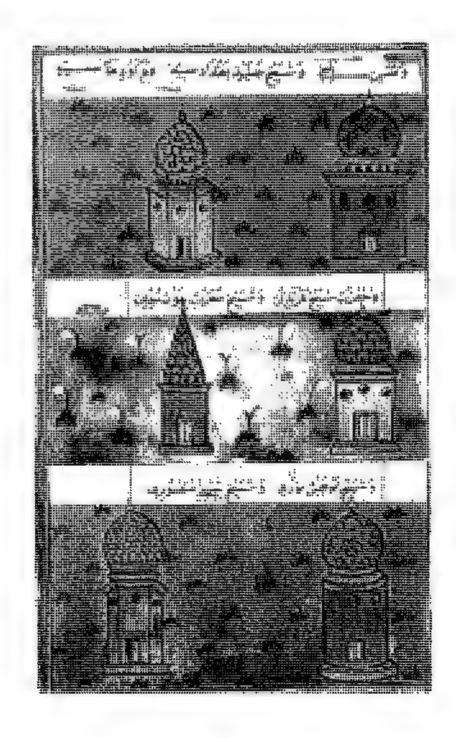


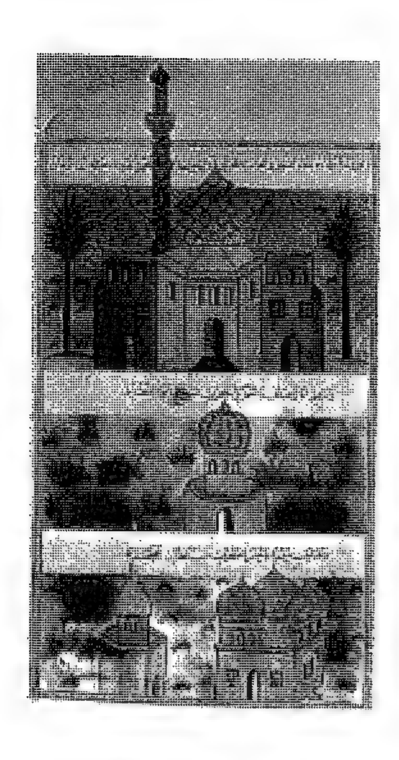


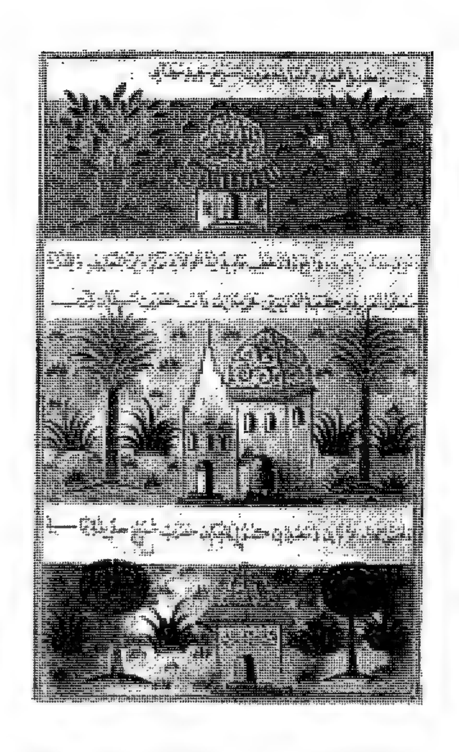


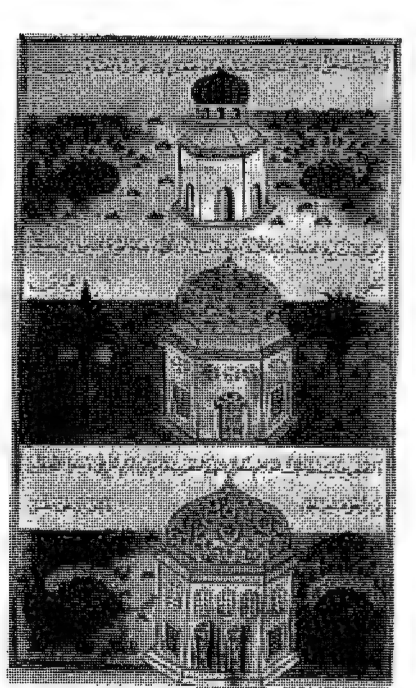


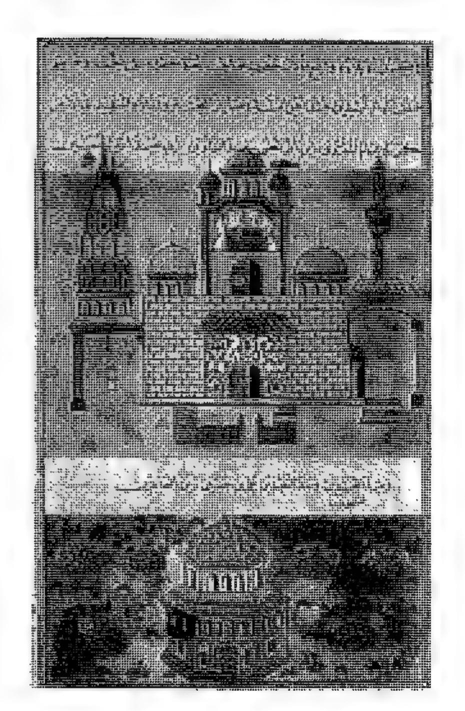


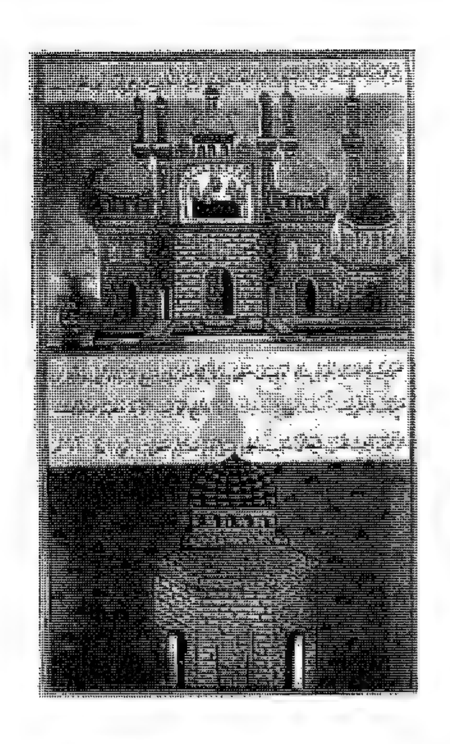


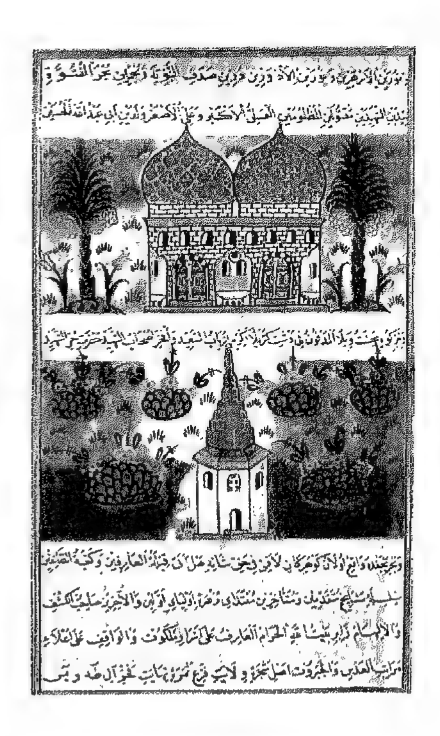


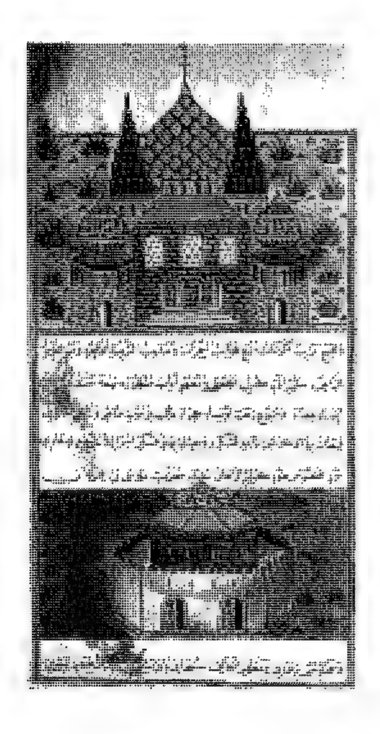


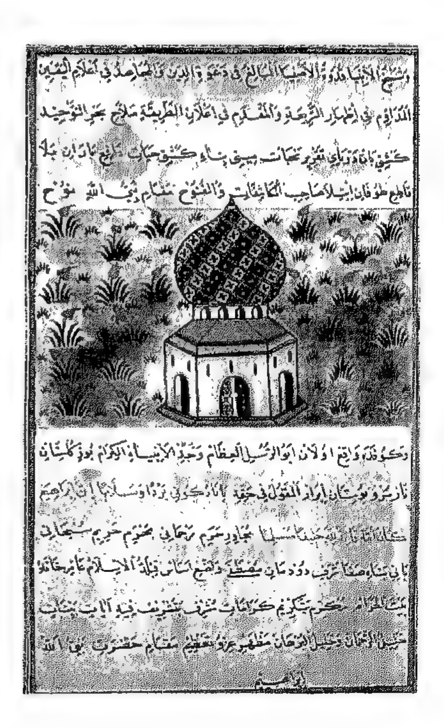


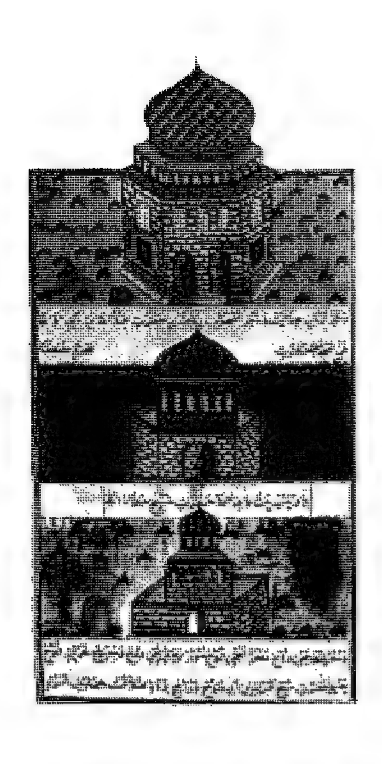


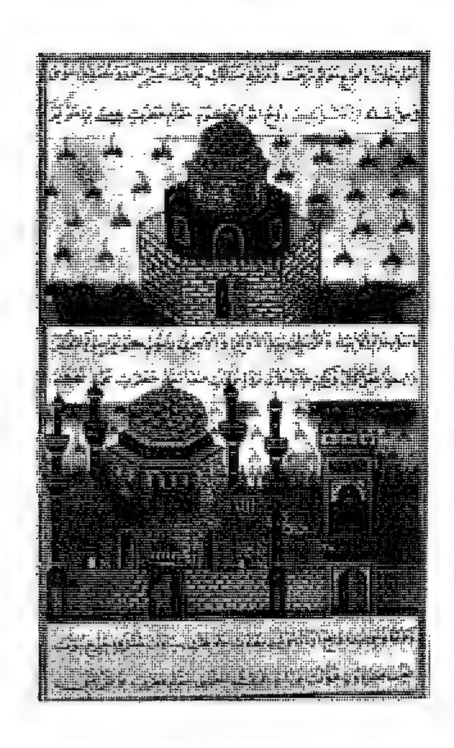


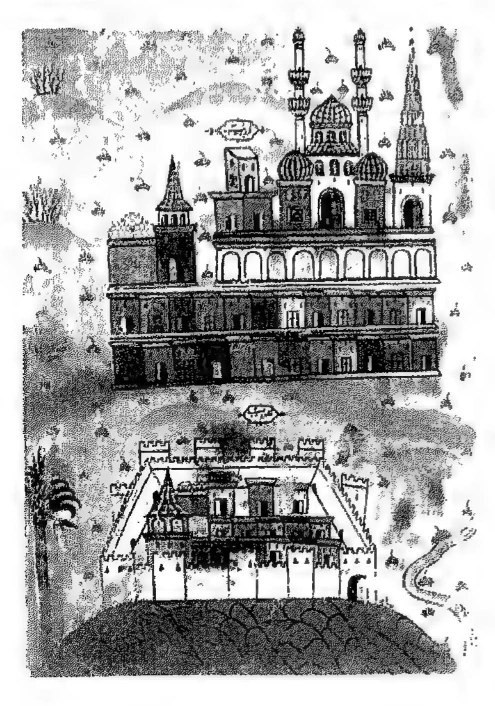




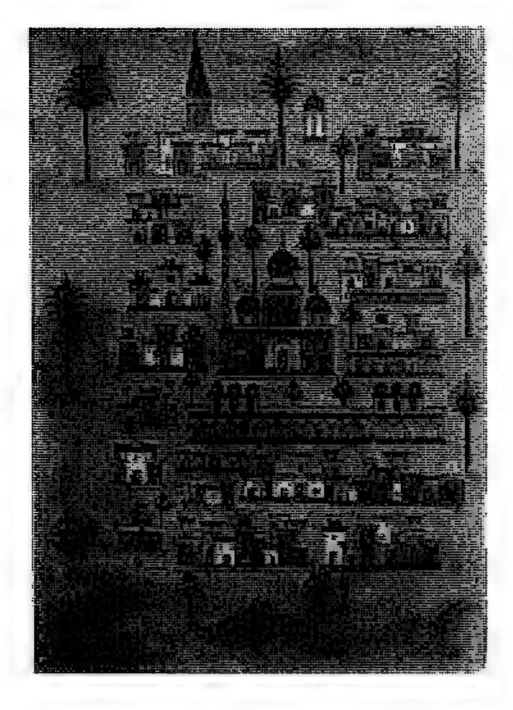


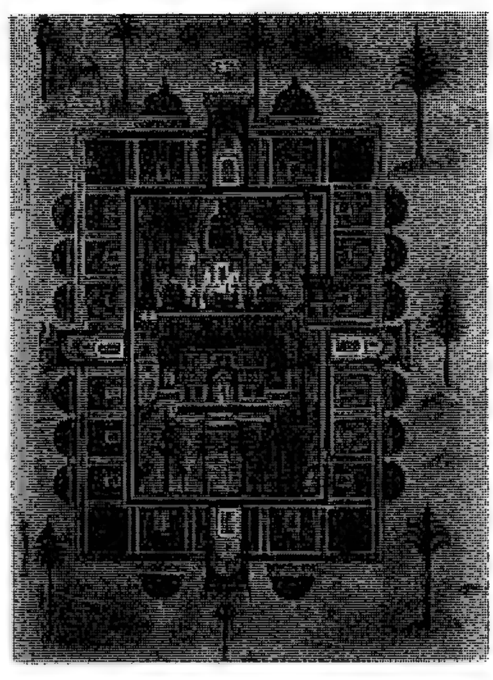


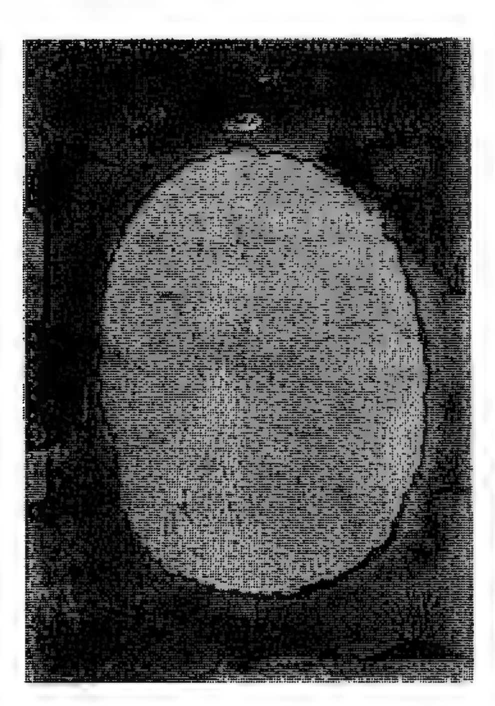


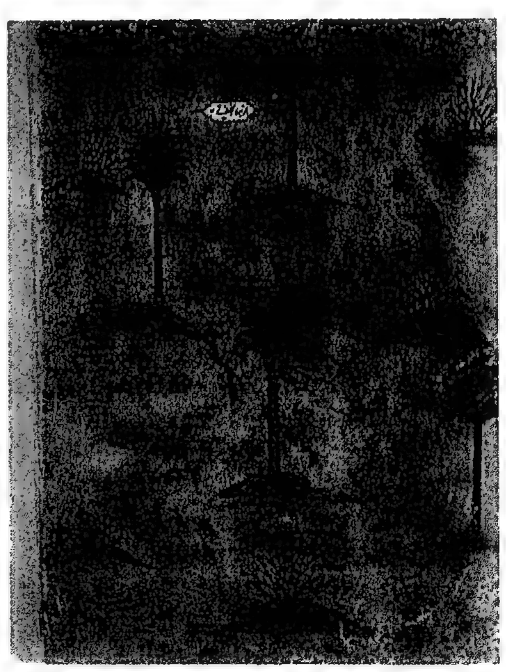


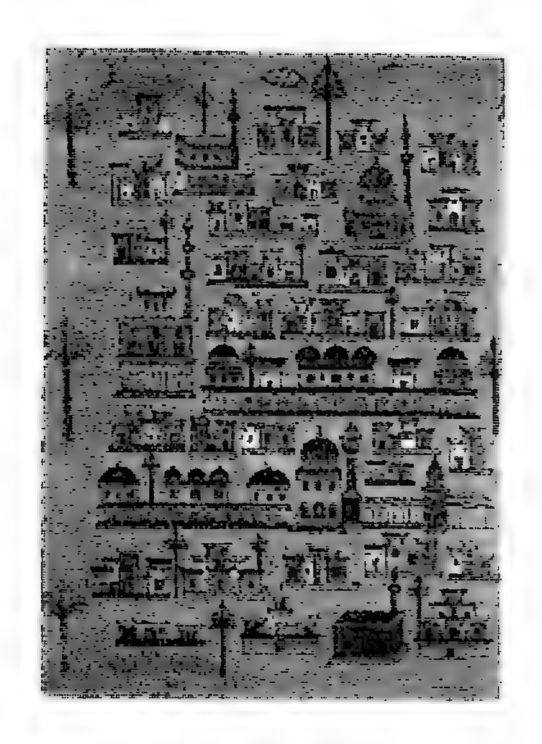


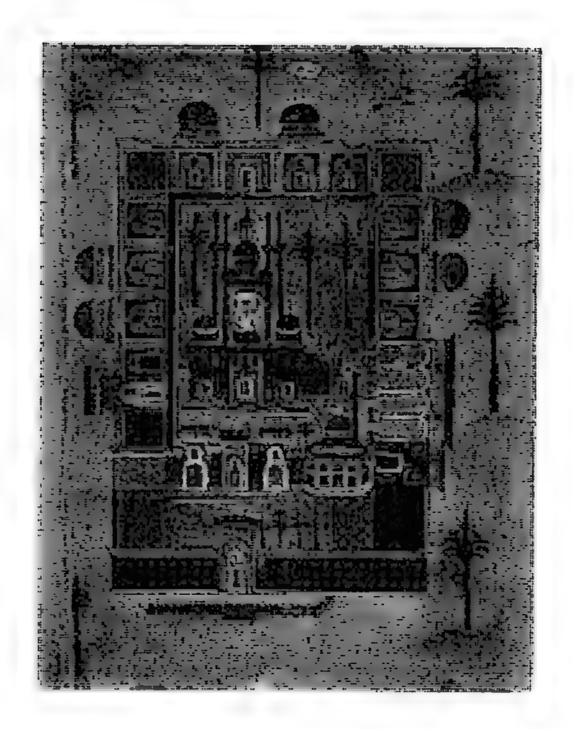


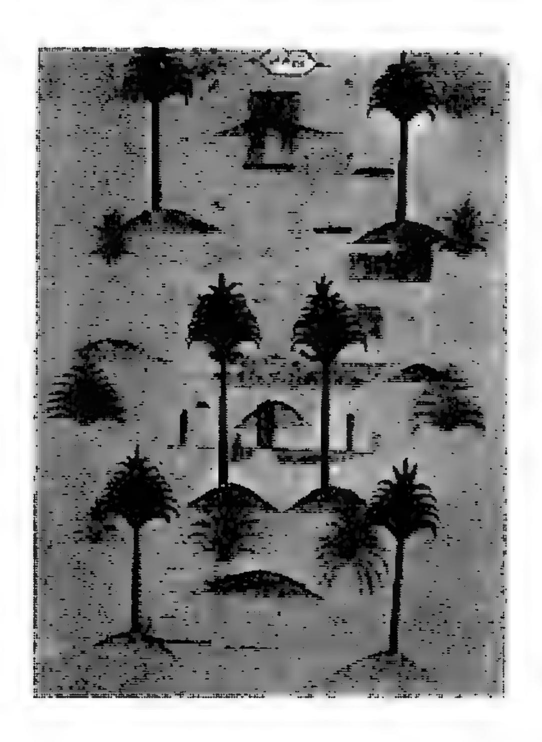




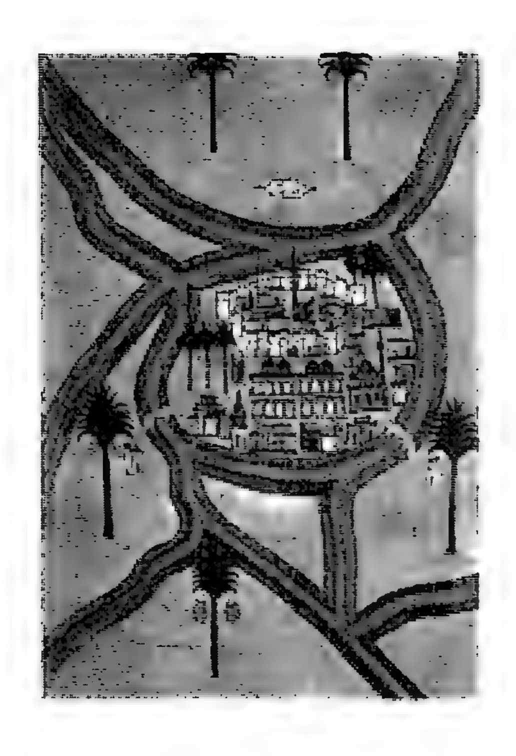


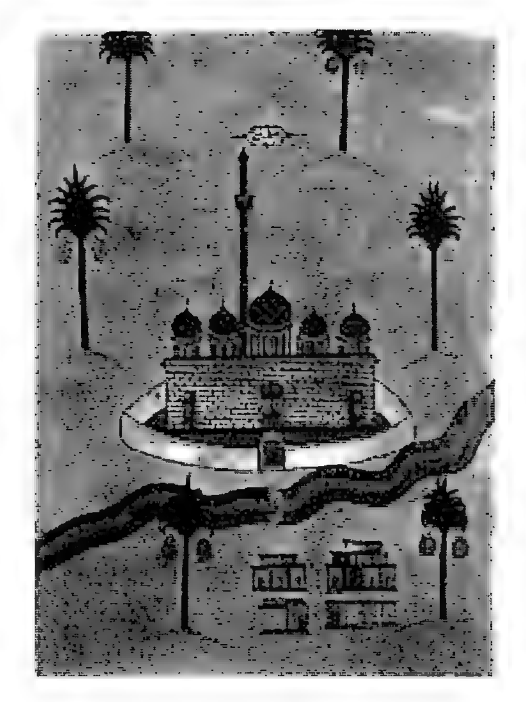


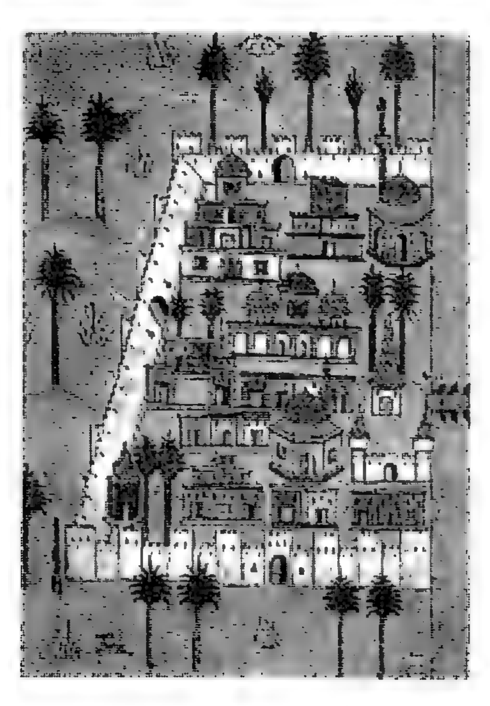


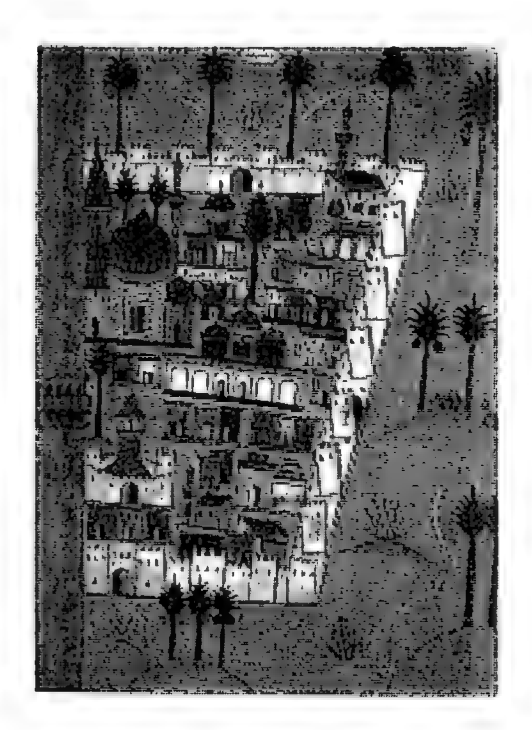


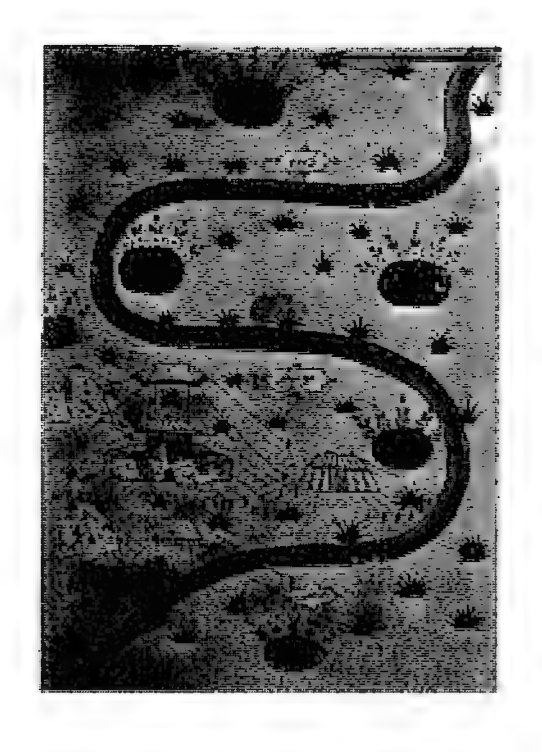


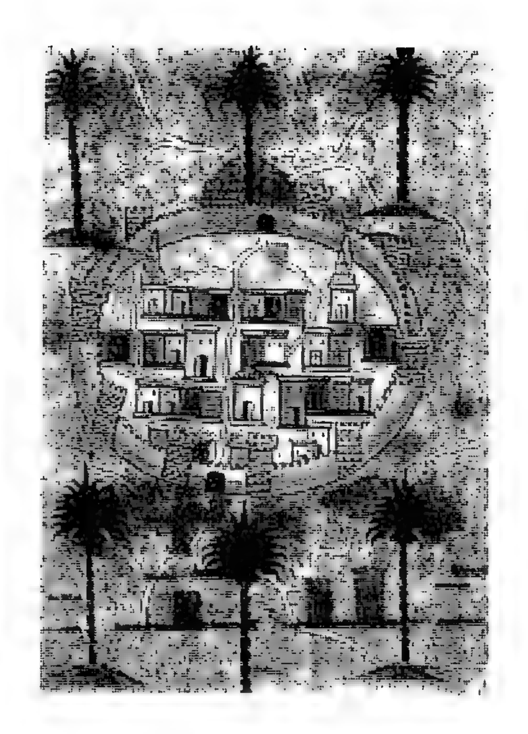






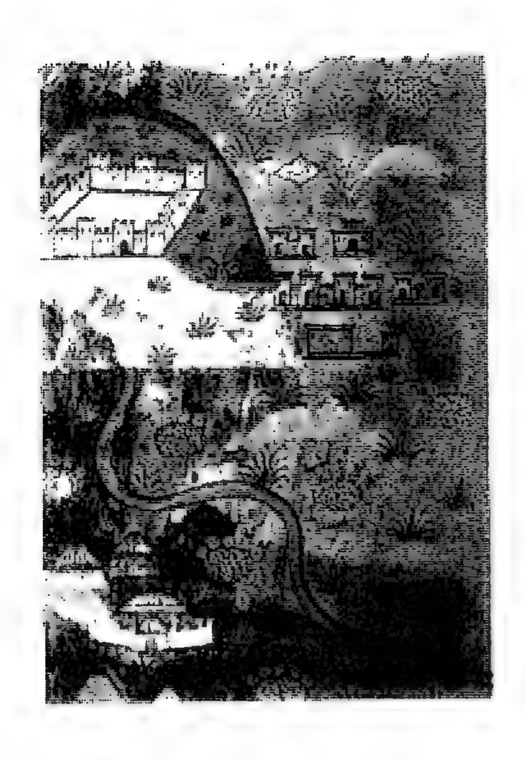
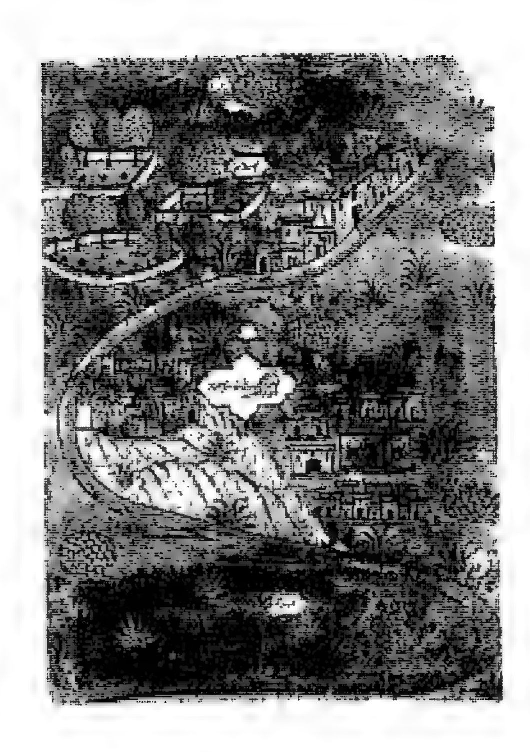
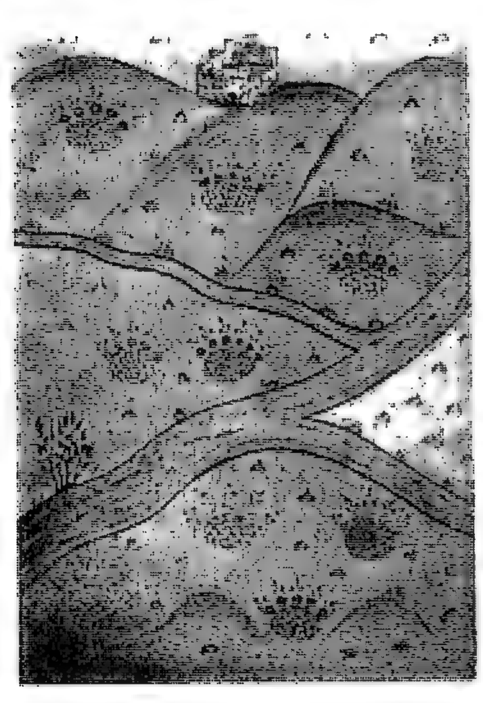
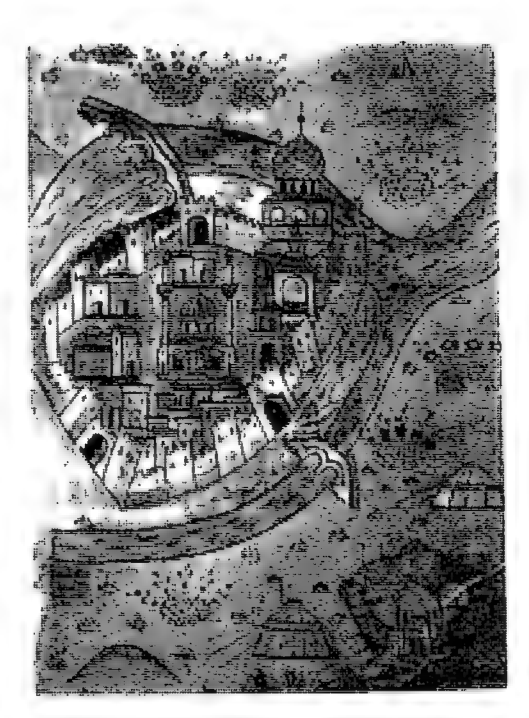








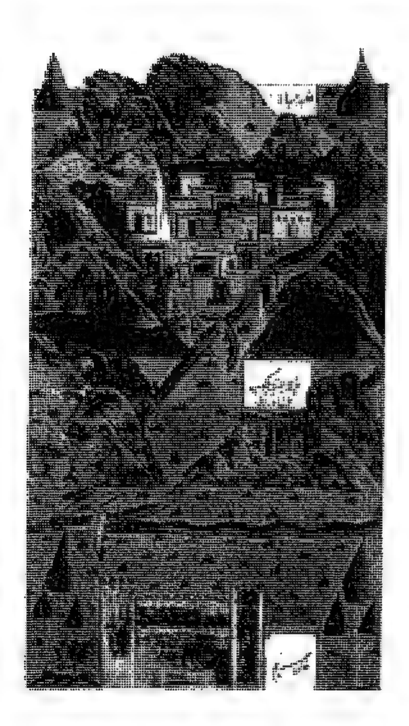


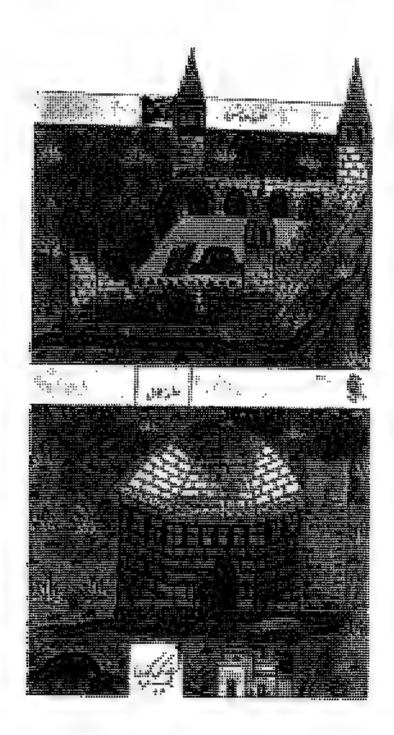









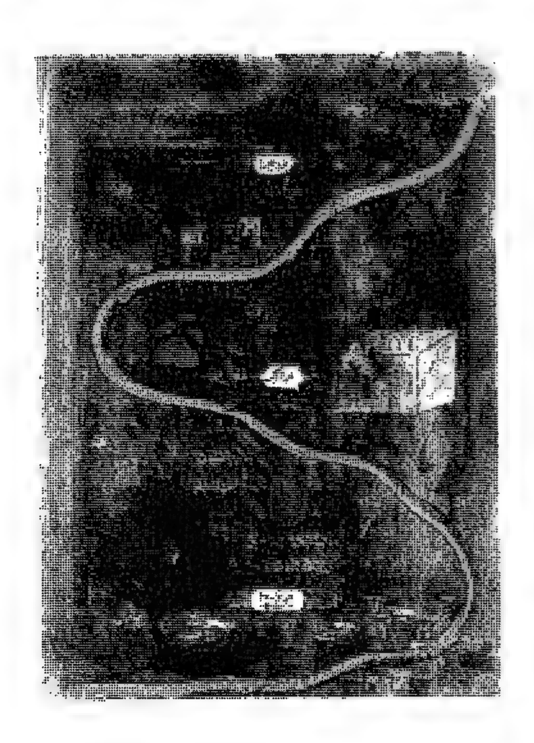
[illegible]
تخت سلطنت اونیدی بیندر طنین طنطنه مهابت و متین شوکت و صلابت ایله
[illegible] دخی زمین و آسمان ولوله و کون و مکانه زلزله [illegible] آهنین وجله
صحرا و طاغلری [illegible] ایلغار ایله یوریوب عقبنجه سلطان [illegible]
حضرتلری دخی عسکر نصرت دستگاه و لشکر ملائکه اشباه ایله [illegible] قطع
مراحل و طی منازل [illegible] ایلغار ایله یوریوب [illegible] مذکوره صحرانك اوجنده
[illegible] وصول بولدی [illegible] سعدآباده
[illegible] سعدآباددن [illegible] منازل و مراحل [illegible]
[illegible] الواقع شهر ذي الحجه سنه [illegible]

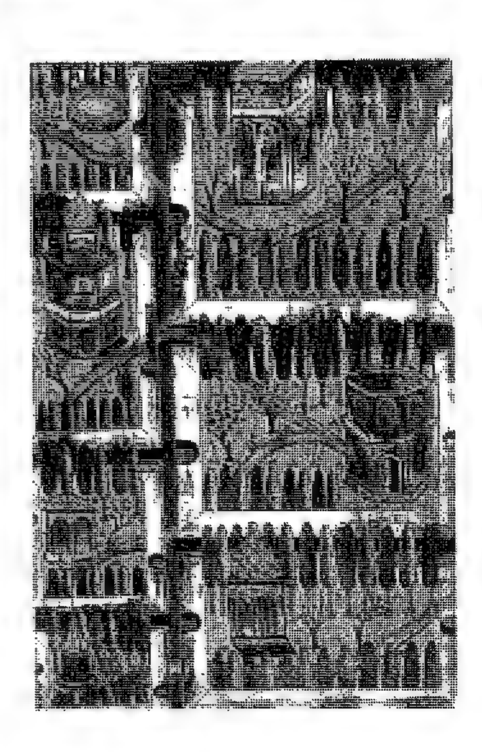


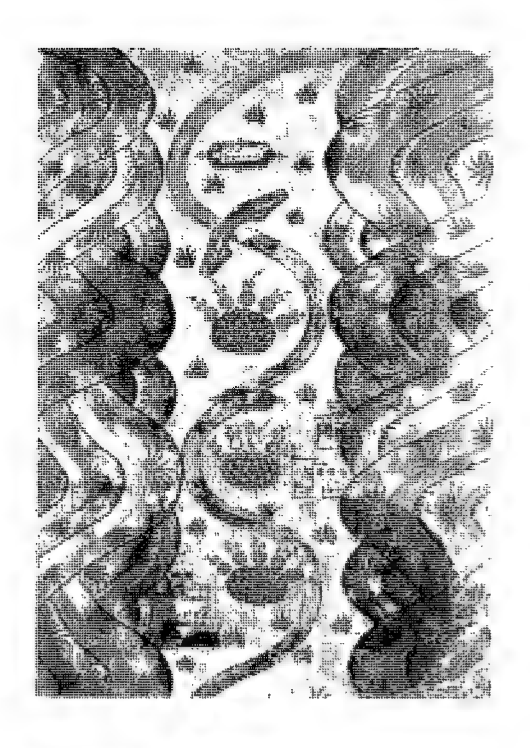












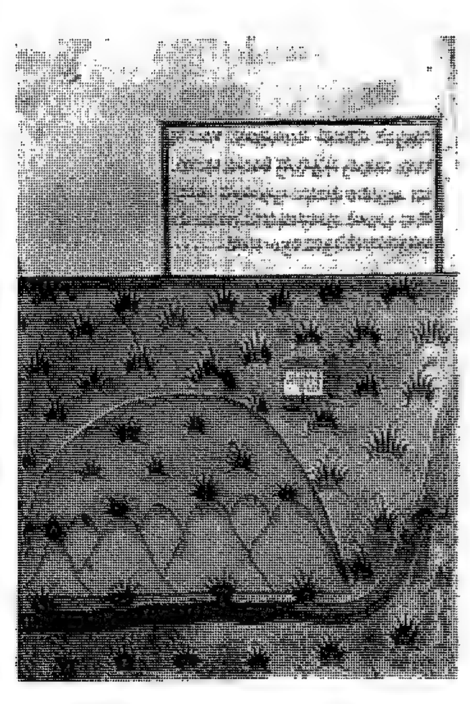


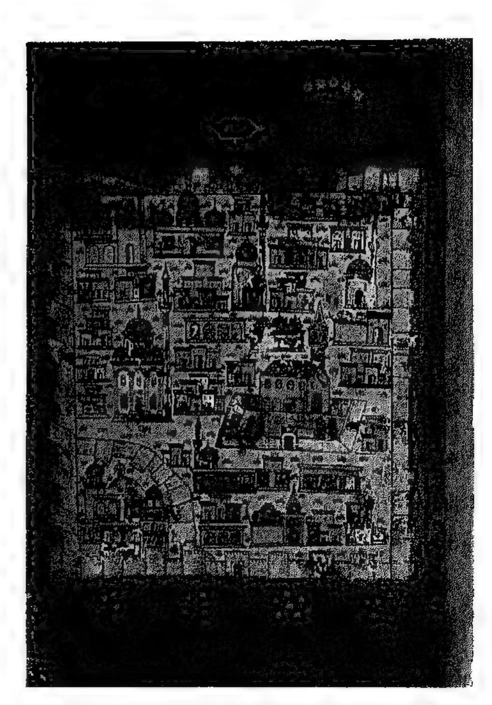


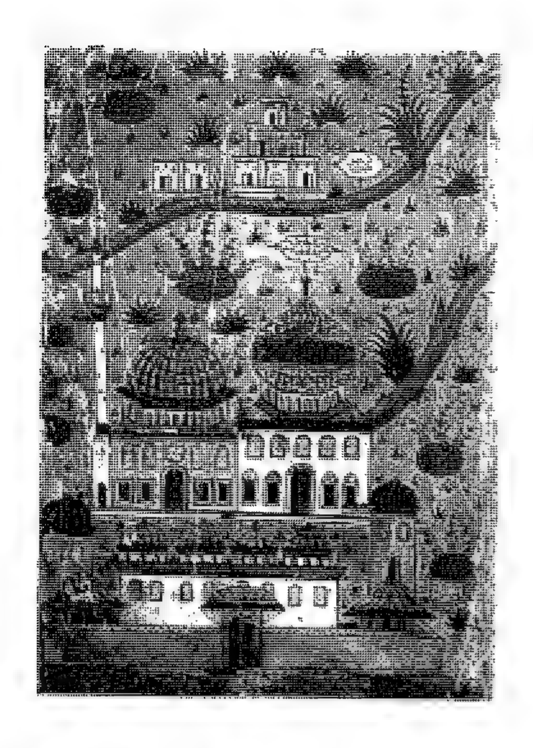
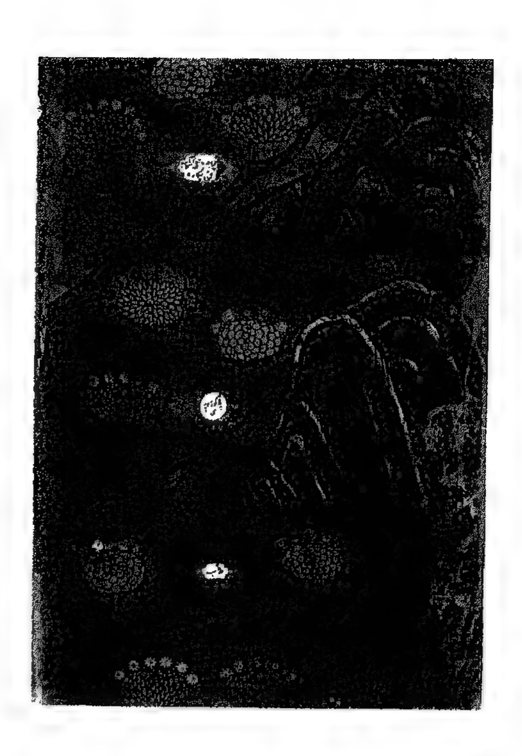
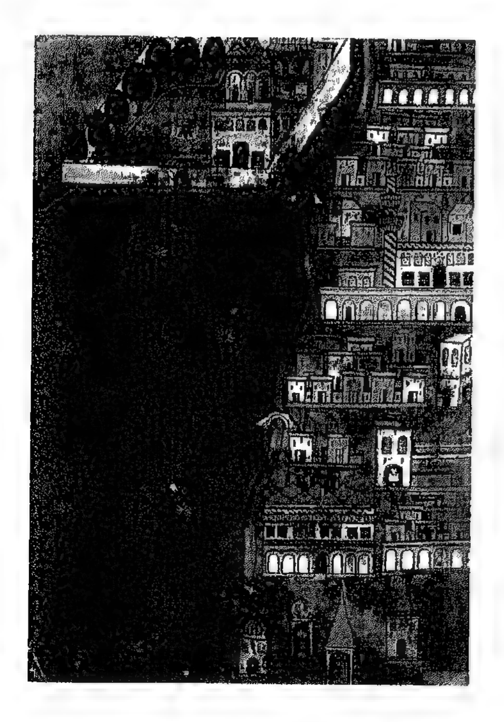
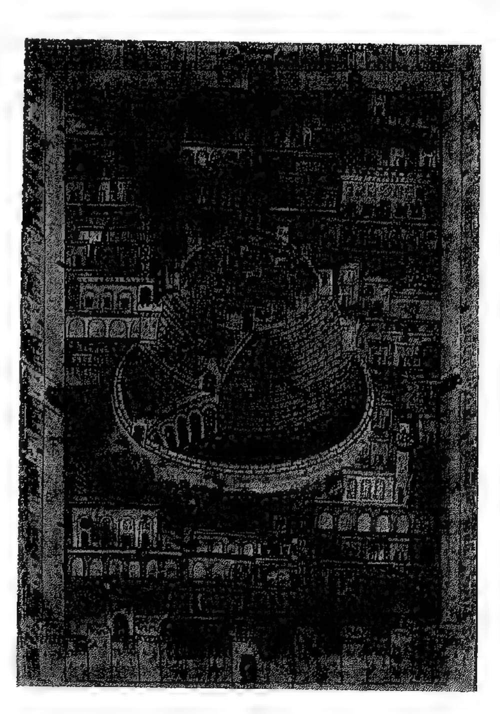


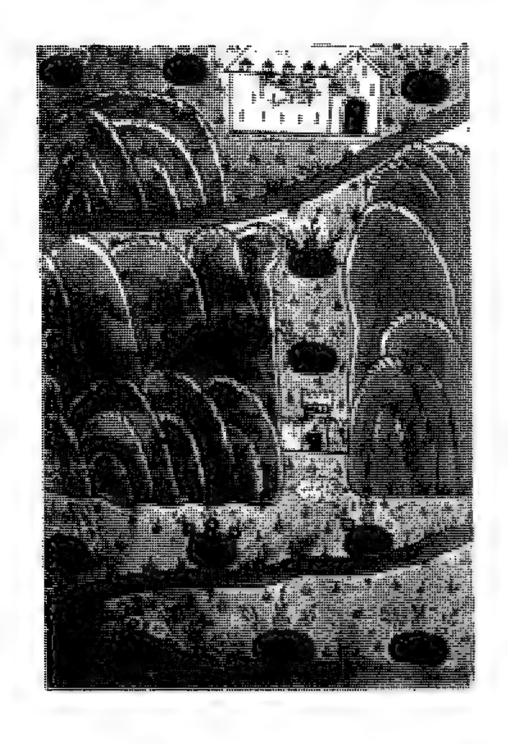


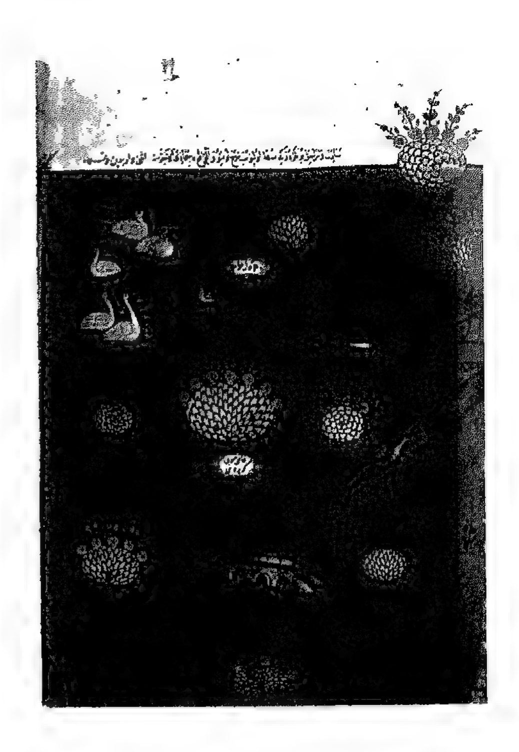


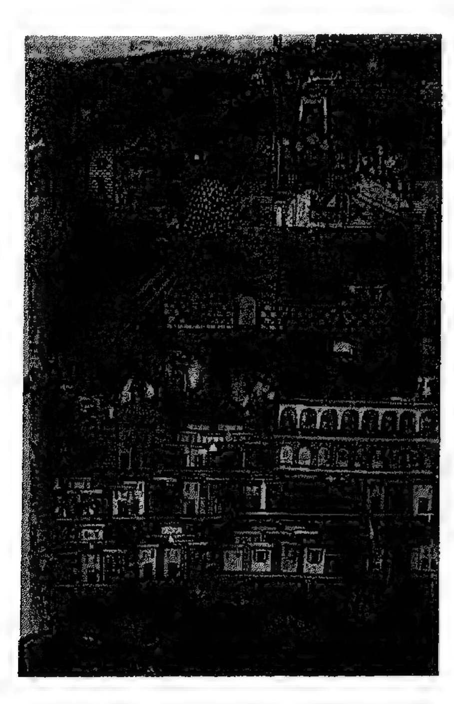


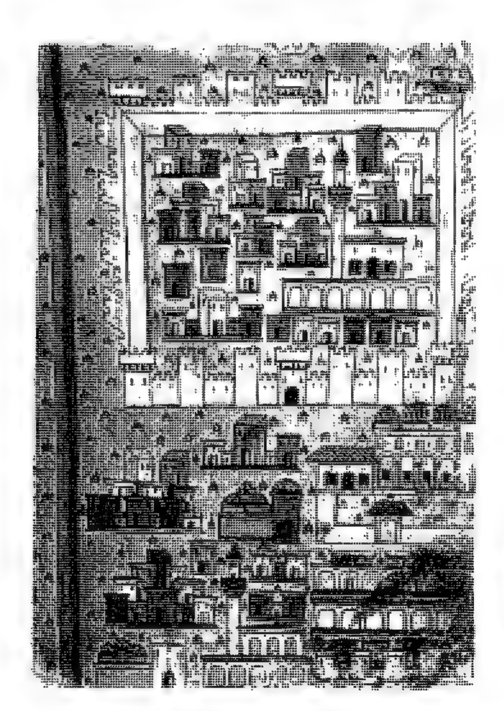








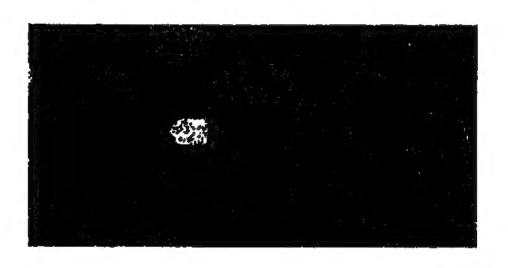




هذا الكتاب

يحثّ فيه مؤلفه الذي تدرّع باسمه «مُطراقي» طريق رحلته، ليطوف في البلاد بصحبة «سليم الأول»، ومرافقة «سليمان القانوني» في حملته الكبرى التي قادها لفتح العراق إبّان القرن العاشر الهجري، بادئاً رحلته من القسطنطينية حتى بغداد.

إنه وصف دقيق مدهش للطريق الذي سلكته الحملة من «اسكدار» حتى وصولها «تبريز»، ومنها إلى بغداد، فذكر المواصلات والقصبات والقرى والقلاع، فضلا على الشهادات النادرة لوقائع الحرب العثمانية – الصفوية، كما رآها بنفسه، فصوّرها ممزوجة بصورة الطبيعة التي دارت عليها المعارك، بوصفه فناناً تشكيلياً، ثم إنه صاحب قلم في تاليف كثير من الكتب التي كان تظهر ميله إلى معسكر العثمانيين.





منشورات المجمع الثقافي

Cultural Foundation Publications

أبوظبي ـ الإمارات العربية المتحدة

ص. ب 2380 . هاتف : 6215300

ABU DHABI - U. A. E. - P.O. BOX : 2380

TEL. 6215300 - Cultural Foundation

Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae

http://WWW.Cultural.org.ae



السعر 30 درهماً

الغلاف : تصميم علي الجاك سعيد - الخطوط : محمد مندي